نظرية عدالة الصحابة

والمرجعية السياسية في الإسلام

رأي الشيعة –رأي السنة – حكم الشرع

تأليف
المحامي أحمد حسين يعقوب

فهرس المطالب

- المقدمة

- الباب الأول: مفهوم الصحبة والصحابة

الفصل الأول: مفهوم الصحبة والصحابة

الفصل الثاني: نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة

الفصل الثالث: نقض النظرية من حيث الشكل

الفصل الرابع: نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة

الفصل الخامس: بذور للتفكر في نظرية عدالة الصحابة

الفصل السادس: طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب

- الباب الثاني: الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الأول: الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الثاني: الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الثالث: ما هي الغاية من ابتداع نظرية كل الصحابة عدول

الفصل الرابع: الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الخامس: الآمال التي علقت على نظرية الصحابة

- الباب الثالث: المرجعية

الفصل الأول: المرجعية

الفصل الثاني: العقيدة

الفصل الثالث: من هو المختص بتعيين المرجعية

الفصل الرابع: مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي (ص)

الفصل الخامس: المرجعية البديلة

الفصل السادس: من هو المرجع بعد وفاة النبي (ص) ؟

-

الباب الرابع: القيادة والسياسة

الفصل الأول: القيادة السياسية

الفصل الثاني: القيادة السياسية

الفصل الثالث: الولي هو السيد والإمام والقائد

الفصل الرابع: تزويج الله لوليه وخليفة نبيه

الفصل الخامس: تتويج الولي خليفة للنبي

الفصل السادس: بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة

الفصل السابع: المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الانقلاب وتفويض الشرعية

الفصل الثامن: مقدمات الانقلاب

الفصل التاسع: مقاصد الفاروق وأهدافه

الفصل العاشر: تحليل موضوعي ونفي الصدفة

الفصل الحادي عشر: تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية

المقدمة

أحمدك اللهم حمدا كثيرا، بمدى علمك، وبسعة رحمتك، طيبا يليق بربوبيتك لي وبعبوديتي لك، وبنفس الكم والكيف أستغفرك من كل ذنوبي وآثامي كما أمرت، وأتوسل إليك أن تجود علي بالمغفرة كما وعدت، إنك يا مولاي لا تخلف الميعاد.

وأسألك باسمك العظيم الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامة، أن تصلي وتسلم على رسولك محمد الذي أرسلته بالإسلام، فميزه وبينه، وسلك بمعتنقيه الصراط السوي إليك، فعبده، اللهم صلي وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، أهل الثقل والتقى، ونجوم الأمان والهدى، وسفين النجا، خصهم الله بالفضل، وقدمهم على أهل الملة، وجعل الصلاة عليهم ركنا من أركان الصلاة المفروضة على العباد، لتكون تذكرة دائمة بتلك المنزلة، (إن نفعت الذكرى) (إن الذكرى تنفع المؤمنين)، أما بعد:

فإن المنظومة الحقوقية الإلهية التي جاء بها الإسلام، ما هي في مجملها وحقيقتها، وبكل جوانبها إلا خطة إلهية متكاملة، أعدت بإحكام، ووضعت خصيصا لترشيد الجنس البشري للأقوم، ولإسعاده في الدارين، وهي بطبيعتها وبحكم تكوينها الإلهي قائمة على الجزم واليقين، بعكس المنظومات الحقوقية الوضعية المبنية أصلا على الافتراض والتخمين. ومما يؤكد الثقة المطلقة بهذه المنظومة أنها لم تبق مجرد قواعد نظرية، إنما شقت طريقها إلى عالم التطبيق، ونقلت من النظر إلى العمل، ومن الكلمة إلى الحركة، وبالتصوير الفني البطئ، عبر دعوة قادها النبي (ص) بنفسه، تمخضت عن دولة ترأسها النبي (ص) نفسه، ونتيجة تطبيق هذه المنظومة، تكونت خير أمة أخرجت للناس، وقامت أعظم دولة عرفتها البشرية، وهي دولة النبي (ص).

والنبي الكريم على فراش الموت، وبعيد انتقاله إلى جوار ربه بدأت سلسلة من

التداعيات والإنهيارات السياسية واقعيا، وبدأت معها عمليات التعتيم والتظاهر بالسلامة، والتستر على هذه الإنهيارات، ظنا من أرباب تلك العمليات أنها قد تعطي الفرصة لإيقاف تلك الإنهيارات، فلا يسمع بها أحد، ولا يشمت بالدين وأهله شامت، ولكن الإنهيارات لم تتوقف، بل توالت عبر التاريخ، ومهد الانهيار إلى انهيار، حتى تحول النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظمي لم يبق له من الإسلام إلا الاسم، حيث اختفى وانهار نهائيا بسقوط آخر سلاطين بني عثمان، واستفاق المسلمون من ذهولهم، فإذا بالأمة الواحدة أمم ممزقة، تحيا الحيرة والضياع، فلو أرادت أن تتحد لما عرفت، كيف تتحد – كما يقول العقاد في مزانه، وإذا بدولة الإسلام الواحدة دول، وإذا بحمى الإسلام يتحول إلى مائدة تتداعى فيها الأمم، والعالم من حولنا تتحكم به شريعة الغاب، وقد أنشبت المادية أظافرها في ذاته فأدمتها، يجري وراء السراب، يتوهم أنه اكتشف العلاج الذي يوقف النزيف، ويحاول أن يجر إليه البشرية جرا، تحت شعار الرحمة وإكراه المريض على تناول العلاج. وبينما الطبول تصدر أنغام الفرح والمسرة، يكتشف العالم أن الذي تصوره علاجا كان وهما، وليس انهيار العقيدة الشيوعية ببعيد.

لماذا حدثت الإنهيارات ؟ لماذا توالت ؟ حتى حولت النظام السياسي الإسلامي إلى هيكل عظمي وأخرجته عن معناه وصورته، ثم أتت عليه ورفعته من واقع الحياة بعد أن أبطلت مفعول المنظومة الحقوقية الإلهية وحرمت الجنس البشري من التداوي بعلاج الإسلام ومن الانتفاع بمنظومته ؟ أين يكمن سبب ذلك كله ؟ من المحال عقلا أن يكون سبب كل هذه البلايا والمحن من المنظومة الحقوقية ذاتها، لأنها من صنع الله الذي أتقن كل شئ خلقه!

إذن، فمن المؤكد أن السبب في كل ذلك يكمن في الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي وصنعوه، أو في الأمة التي اشتركت معهم في صناعة هذا التاريخ وإخراجه، أو بالاثنين معا!

الأحزاب الدينية العربية التي تولت قيادة موكب التقليد الأعمى، وتاجرت بالآلام، وخلطت كل الأوراق لغاية في نفس يعقوب، تحاول بكل قواها أن تلقي بروع الناس، أن فهم هذه الأحزاب للإسلام هو الإسلام بعينه، وأنه لا فرق بين

فهمها للإسلام وبين الإسلام، فهما وجهان لعملة واحدة، مع أن الإسلام من صنع الله، وفهم الأحزاب للإسلام من إنتاجها، كما تحاول بكل قواها أن تثبت للناس بأن التاريخ السياسي الإسلامي الذي صنعه البشر من بعد وفاة النبي (ص) وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان هو عينه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده لترشيد الحركة السياسية للمجتمع البشري، وهي جادة في ما تقول وجادة فيه، مع أنها بعملها هذا قد خلطت الفهم بالمفهوم، وقدمت التابع على المتبوع، والفرع على الأصل، واستبدلت المنظومة الحقوقية الإلهية بالاجتهادات التي نشأت في ظلالها، ولم تتكلف الأحزاب الدينية العربية بذلك، إنما ضاق صدرها بالرأي الإسلامي المخالف، وحاولت بكل الوسائل أن تخنقه، وهي مع ذلك تدعي الانفتاح على الفكر العالمي، وتعد بإعطاء الحرية لهولأربابه ليعرضوا فكرهم في الوقت الذي تخنق فيه هذه الأحزاب الرأي الإسلامي المعارض لها، وتمنع أصحابه من التصريح به، فكيف يصدق عربك العالم ادعاءات هذه الأحزاب بالإنفتاح ؟

هكذا قدمت الأحزاب الدينية العربية الإسلام للعالم الحديث، فالإسلام الذي جاء لينقذ الجنس البشري كله، ويتسع به كله، ويشبع حاجاته وآماله كلها، يضيق على أبنائه ويضيق حتى بهم!! ذلك مبلغهم من العلم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وبهذا البحث المتواضع حاولت جهدي إثبات أن ما أنزله الله شئ، وأن فهمنا له شئ آخر، وأن الإنهيارات التي بدأت بعد وفاة النبي (ص)، وتوالت حتى اقتلعت النظام السياسي الإسلامي من واقع الحياة، لم تكن بسبب علة في الدين، ولا لنقص أو خطأ في منظومته الحقوقية الخالدة، إنما بسبب المسلمين الذين بدلوا نعمة الله وأعمالهم لما تهوى الأنفس، بدلا من حكم الله، وهنا يكمن جذر البلاء، ومن هنا المنطلق نحو الله.

وتأصيلا وتجذيرا وتسهيلا لاستيعاب هذا البحث، فقد قسمته إلى أربعة أبواب، عالجت في الباب الأول مفهوم الصحبة، وفي الباب الثاني كشفت الجذور التاريخية لهذا المفهوم، أما الباب الثالث فقد وضحت فيه المرجعية في الإسلام، ونظرا لارتباط مبدأ المرجعية بالقيادة السياسية، فقد تناولت في الباب الرابع القيادة

السياسية في الإسلام، وسيكتشف القارئ المتمعن أن هذه المواضيع الأربعة تتشابك مع بعضها تشابكا عضويا يتعذر فصله، وفي كل موضوع من هذه المواضيع سقت رأي أهل السنة باعتباره رأيا إسلاميا، قاد أصحابه الأمة الإسلامية طوال التاريخ، بعد أن استخرجته من مصادر أهل السنة المعتبرة، ثم سقت رأي أهل الشيعة، باعتباره رأيا إسلاميا تولى مهمة المعارضة طوال التاريخ الإسلامي، بعد أن استخرجت هذا الرأي من مصادر أهل الشيعة. وبعد ذلك وضعت تحت تصرف عشاق الحقيقة الشرعية المجردة حكم الشرع في كل موضوع من تلك المواضيع.

فجاء البحث وحيد زمانه شكلا وموضوعا ومنهجية، وحسب علمي القاصر، فإنه لأول مرة في العصر الحديث يتم تناول هذا الموضوع من قبل عربي من أهل السنة بهذا الشمول والتكامل والموضوعية، وبهذا الحجم من المعلومات والمراجع.

ولم أخف ولائي لآل محمد خاصة، ولبني هاشم عامة، ومن يلمني ولائي لهم وهم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر، والهداية لا تترك إلا بهما معا، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بهما معا كما هو ثابت في النصوص الشرعية القاطعة، وكيف يلمني لائم وهم سفن النجا، ونجوم الأمان والهدي في كل ليل كما هو ثابت في النص، وهم الحل، فالنبي هو القاسم المشترك بين المسلمين، وحصر القيادة والولاية في أولاده تطييب لنفوس الجميع، وانتزاع لجذور الطمع بها من نفوس الجميع، ونبذ التنافس عليها مما يؤدي إلى الاستقرار، ناهيك عن فضل القرابة الطاهرة على الإسلام، فهم الذي حموا النبي ومنعوه، وهم الذين حاصرتهم كل قبائل العرب مجتمعة وبلا استثناء ثلاث سنين في شعاب أبي طالب، وللعرب مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمدا، أو أن يخلوا بينه وبين العرب ليقتلوه، ولو استجاب الهاشميون لأحد هذين المطلبين لما قامت للإسلام قائمة، ولقتل النبي (ص) كما قتل غيره من الأنبياء، فضلا عن جهاد الهاشميين الذي لا ينكره أحد، وتضحياتهم التي لا تخفى على أحد. هذا غيض من فيض من مبررات ولائي وشغفي، فمن يلمني بعد ذلك ؟

إلهي ومولاي، أنت تعلم سري وعلانيتي، وتعلم أنني ما قصدت إلا رضاك، فإن أصبت فمنك، إنك نعم المولى ونعم النصير، وإن أخطأت فمن نفسي، وثانية

أقول: اللهم اجعل عملي هذا خالصا لوجهك وهدية لمحمد ولآل محمد ولكل هاشمي أو مطلبي دب على وجه الأرض أو سيدب إلى يوم الدين، وليكن عملي صدقة تطفئ بها خطاياي، وتقربني منك، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الباب الأول

مفهوم الصحبة والصحابة

الفصل الأول

مفهوم الصحبة والصحابة

1 – معنى الصحابة لغة

أ – في قواميس اللغة

الأصحاب، الصحابة، صحب، يصحب صحبة " بالضم " وصحابة " بالفتح "، صاحب أي عاشر،رافق، جالس، انقاد، شايع. والصاحب هو المعاشر أو المنقاد، أو المجالس أو المشايع، أو الموافق، أو القائم على الشئ، أو الحافظ له. ويطلق أيضا على كل من تقلد مذهبا، فيقال: أصحاب الإمام جعفر (عليه السلام)،وأصحاب أبي حنيفة. وأصحاب الشافعي.... الخ. يقال: اصطحب القوم أي صحب بعضهم بعضا،واصطحب البعير أي انقاد له [1].

ب – في القرآن الكريم

الله تبارك وتعالى أنزل الكتاب قرآنا عربيا،وهو بوجه من وجوهه المرجع اليقيني الأوحد للغة العربية، لأنه كلام الله العالم علما يقينا بأدق خفايا هذه اللغة

(1) ويمكن لمن أراد التفصيل أن يراجع على سبيل المثال: لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ج 1 ص 915. وتاج اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري ص 161 - 162 . وتاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ج 3 ص 186 . والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ورفقاه ج 1 ص 509 - 510. والقاموس المحيط للفيروز آبادي مجدي بن محمد يعقوب. ومختارات الصحاح لأبي بكر الرازي ص 356.

وأعمق أسرارها.

وبتلاوتنا للقرآن الكريم، نجد أنه قد اشتمل على كلمات: " تصاحبني، وصاحبهما وصاحبه، وصاحبته،وأصحاب، وأصحابهم ".وأن هذه الكلمات تكررت بمجموعها في القرآن الكريم (97) مرة.

ومن المثير للانتباه، أننا لم نعثر في القرآن الكريم كله على لفظ لكلمتي (صحابة / بالفتح / أو صحبة / بالضم).

ج – استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي

وباستقرائنا لتلك الكلمات نجد أنها تشكل تغطية كاملة للمعاني اللغوية التي أشرت إليها في الفقرة السابقة (أ). فالصحبة يمكن أن تأخذ وجها أو صورة واحدة ويمكن أن تأخذ وجوها أو صورا متعددة، ويمكن أن يكون لها وجه أمثل يشمل كل

نواحي الخير، وقد يكون لها وجه أبشع يشمل كل نواحي الشر.

د – وجوه أو صور الصحبة

فقد تكون بين مؤمن ومؤمن [1]، وقد تكون بين ولد ووالدين مختلفين بالاعتقاد [2] وقد تكون بين رفيقي سفر [3] وقد تكون بين تابع ومتبوع [4] وقد تكون بين مؤمن وكافر [5] وقد تكون شمولية على الشر بين كافر وكافرين [6] وقد تكون بين نبي وقومه الكافرين النبي يحاول أن يشدهم نحو الخير وهم يحاولون إعادته إلى

---

(1) راجع الآية 26 من سورة الكهف، و ج 3 ص 92 - 93 من تفسير ابن كثير على سبيل المثال.

(2) راجع الآية 15 من سورة لقمان و ج 3 ص 444 من تفسير ابن كثير.

(3) راجع الآية 36 من سورة النساء و ج 1 ص 494 من تفسير ابن كثير.

(4) راجع الآية 40 من سورة التوبة ج 2 ص 358 من تفسير ابن كثير.

(5) راجع الآيتين 34 و 37 من سورة الكهف و ج 3 ص 83 من تفسير ابن كثير.

(6) راجع الآية 29 من سورة القمر و ج 4 ص 265 من تفسير ابن كثير.

حظوة الشر [1] وقد تكون الصحبة اضطرارية [2] وقد تكون صحبة أثر فيقتدي فاسد بفعل فاسد وينسج على منواله [3]

وقد تكون الصحبة انقيادا لعقيدة إلهية وولاء مطلق لقيادتها السياسية كانقياد الآل الكرام للعقيدة الإلهية وولائهم المطلق لقيادة النبي السياسية وتضحياتهم الجسام، وكانقياد وولاء الصفوة الصادقة من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله). فمحور الصحبة (بالضم) محور شمولي يرتكز على عقيدة وقيادة وأهداف ومثل عليا يسعى القائد وأصحابه لتحقيقها وسيادتها على مجتمع معين [4].

2 – معنى الصحابة اصطلاحا

يقول ابن حجر العسقلاني الشافعي بالحرف: " الصحابي من لقي النبي (صلى الله عليه وآله) مؤمنا به ومات على الإسلام " [5].

أ – توضيح ابن حجر لهذا التعريف

1 – فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت.

2 – من روى عنه أو لم يرو.

3 – من غزا معه أو لم يغز.

4 – من رآه ولو لم يجالسه.

5 – من لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان " مؤمنا به "

(1) راجع الآية 2 من سورة النجم والآية 41 من سورة سبأ و ج 3 ص 543 و ج 4 ص 246 لابن كثير.

(2) راجع الآية 31 من سورة يوسف ج 2 ص 479 لابن كثير.

(3) راجع الآية 59 من سورة الذاريات و ج 2 ص 238 لابن كثير.

(4) راجع سلسلة مقالاتنا المنشورة تباعا في جريدة اللواء الأردنية عام 91 – 92.

(5) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر ص 10.

1 – من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

2 – وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث، أو لا يدخل محل احتمال، ومن هؤلاء بحيرة الراهب ونظراؤه.

3 – ويدخل في قولنا مؤمنا به كل مكلف من الجن والإنس.

4 – وإنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر.

5 – وقال ابن حزم: من ادعى الإجماع فقد كذب على الأمة فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهم صحابة [1].

6 – الملائكة محل نظر، وقد نقل الإمام فخر الدين الرازي في " أسرار التنزيل " الاجماع على أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن مرسلا إلى الملائكة، ونازع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي أنه كان مرسلا إليهم واحتج بأشياء.

7 – وخرج بقولنا " ومات على الإسلام " من لقيه مؤمنا به ثم ارتد ومات على دينه والعياذ بالله من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوجا لأم حبيبة، فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر ومات على نصرانيته، وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

8 – ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به (صلى الله عليه وآله وسلم) مرة أخرى أم لا. وهذا هو الصحيح المعتمد والشق الأول لا خلاف في دخوله. وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالا وهو مردود لإطباق أهل الحديث على أن ابن قيس من الصحابة وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد وهو من ارتد ثم عاد للإسلام في خلافة أبي بكر.

(1) راجع ص 11 وما فوق من المرجع السابق

ب – تقييم ابن حجر لهذا التعريف

هذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما. ووراء ذلك أقوال آخرين شاذة كقول من قال: لا يعد صحابيا إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: 1 – من طالت صحبته. 2 – أو حفظت روايته. 3 – أو ضبط أنه قد غزا معه. 4 – أو استشهد بين يديه. وكذلك من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت. وأطلق جماعة أن من رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فهو صحابي، وهو محمول على من بلغ سن التمييز، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه، وعندما يراه النبي (ص) فيكون صحابيا من هذه الحيثية ومن حيث الرؤية يكون تابعيا. وهل يدخل من رآه ميتا قبل أن يدفن كما وقع لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر إن صح محل نظر والراجح عدم الدخول.

ج – وسائل معرفة الصحابة

أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي ثم بالإستفاضة والشهرة، ثم أن يروي عن أحد من الصحابة أن فلانا له صحبة مثلا، وكذلك عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح، ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة: أنا صحابي.

أما الشرط الأول وهو العدالة فجزم به الآمدي وغيره لأنه قوله قبل أن تثبت عدالته:

أنا صحابي، أو ما يقوم مقام ذلك يلزم من قبوله قوله إثبات عدالته، لأن الصحابة كلهم عدول فيكون بمنزلة القائل أنا عدل وذلك لا يقبل.

وفوق ذلك المعاصرة فيعتبر بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي (ص). ومن هنا لم تصدق الأئمة من ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة، وقد ادعاها جماعة فكذبوا لأن الظاهر كذبهم في دعواهم، ومن لا تعرف حاله إلا من نفسه فمقتضى كلام الآمدي أن لا تثبت صحبته.

د – كل الشعب صحابة

من المجمع عليه أن الدعوة المحمدية تمخضت عن الدولة المحمدية التي قادها

النبي (ص) بنفسه قرابة عشر سنين، أرسى خلالها قواعد النظام السياسي الإسلامي وبين عقيدة الإسلام بيانا كاملا من خلال نقل النص من النظر إلى التطبيق على كل صعيد، ومن خلال إبراز روحها العامة.

ومن المتفق عليه دستوريا أن مقومات الدولة – أية دولة – على الاطلاق تتكون من: 1 – شعب 2 – إقليم يستقر فوقه هذا الشعب 3 – سلطة تسوس هذا الشعب.

وإذا أخذنا بالتعريف الذي أورده ابن حجر العسقلاني للصحابة فإن المعول لينال شرف الصحبة ويكون صحابيا هو:

1 – الالتقاء بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) سواء أكان هذا الالتقاء عن طريق المجالسة أو المحادثة أو المشاهدة. فمن

شاهد النبي أو شاهده النبي فهو صحابي حتى ولو كان طفلا رضيعا لأن المشاهدة لا تنسب له إنما تنسب للنبي نفسه.

2 – الإيمان بالنبي أنه نبي، فلو أخذنا برأي ابن حجر العسقلاني لوجب علينا أن نتأكد من حقيقة هذا الإيمان، وهذا أمر خارج عن قدرة البشر، وكان على ابن حجر العسقلاني أن يقول: مؤمنا به أو متظاهرا بالإيمان به. فعبد الله بن أبي زعيم المنافقين قولا واحدا هو من الصحابة بالإجماع. فقد قال النبي (ص) لمن أشار بقتله: " فلعموري لنحسن صحبته ما دام بين أظهرنا " [1] . و عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ثم افترى على الله الكذب، وأباح الرسول (ص) دمه ولو تعلق بأستار الكعبة. وعند فتح مكة تشفع له عثمان ودخل في الإسلام لينجو بروحه.... وهو صحابي شاء الناس أم أبوا [2] . ومثله الحكم بن العاص طريد رسول الله (ص) إذ طرده الرسول وحرم عليه دخول المدينة، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبا بكر ليدخله لكن أبا بكر رفض، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخل ولكن عمر رفض أيضا أن يدخله المدينة في عهده،

(1) راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 56 على سبيل المثال وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 103.

(2)راجع المعارف لابن قتيبة ص 131 و 141.

ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززا مكرما وأعطاه مئة ألف درهم لأنه صحابي [1] . وباختصار فلا يشترط بالشخص حتى يكون صحابيا أن يكون مؤمنا حقيقة بالنبي بل يكفي أن يتظاهر بالإيمان وأن يموت على هذا الإيمان أو على هذا التظاهر به، لأن النبي لا يعنى بالبواطن إنما يكلها إلى الله.

ومن هنا، ومن خلال دعوة النبي ومن خلال دولته وغزواته [2] ، ومن خلال بيعة الناس له، والحج والعمرة وفتح مكة وحجة الوداع خاصة، وسيطرة دولته الكاملة على الجزيرة العربية أتيحت الفرصة للجميع للإلتقاء به لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج أنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي إلا ودخل في الإسلام، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر [3] " حتى الأطفال صاروا صحابة " على سبيل الالحاق لغلبة الظن على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) رآهم لتوفر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده عند ولايتهم ليحنكهم ويسميهم ويبرك عليهم. والأخبار بذلك كثيرة: " كان النبي يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم " " ما كان يولد مولود إلا أتي به النبي " [4] .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الفوارق قد أزيلت تماما بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي، وأنه كان يمشي في الشارع وحده. ويقضي حاجته بنفسه، فكان بإمكان أي مواطن في الدولة الإسلامية أن يراه وأن يتكلم معه أو أن يحضر مجلسه مما جعل شعب دولة النبي كله صحابة بهذا المفهوم، بمعنى أن كل مواطني الدولة قد التقوا بإمامهم ورئيس دولتهم أو شاهدوه أو سمعوه فيه أو جالسوه.

الفرق الإسلامية الأخرى تتفق مع أهل السنة من حيث المعنيين اللغوي والاصطلاحي، ولكنهم يختلفون من حيث صفة العدالة، فبينما يعمم أهل السنة

(1) راجع المعارف لابن قتيبة ص 54 و 131 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 103.

(2)راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 232 وما فوق.

(3)راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص 16.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة ص 7 لابن حجر العسقلاني.

ويرون أن كل الصحابة بلا استثناء عدول وى الفرق الإسلامية الأخرى أن العدالة لها مستلزمات شرعية ومواصفات موضوعية. فمن توفرت فيه تلك المستلزمات والمواصفات فهو العدل، ومن لم تتوفر فيه فليس بعدل، ولديهم أدلة من الكتاب والسنة والمنطق كما سنرى.

الفصل الثاني

نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة

اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، على حد تعبير ابن حجر العسقلاني، ويجب الاعتقاد بنزاهتهم، إذ ثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار [1]. والمقصود بالصحابة كل الصحابة بالمعنى الذي عرضناه عند تحليل تعريف ابن حجر.

ما هو دليل أهل السنة على ذلك

ذكر الخطيب أن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم. فمن ذلك قوله تعالى: * (كنتم خير أمة أخرجت للناس) * وقوله: * (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) * وقوله: * (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم) * وقوله: * (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) * وقوله:

* (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) * وقوله: * (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) * إلى قوله: * (إنك رؤوف رحيم) * وفي آيات كثيرة يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها [2].

(1) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ص 9 و 10 (2) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ص 9 و 10.

مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة

تعني عدالة الصحابة فيما تعنيه، أن كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره، لا يجوز عليه الكذب والتزوير، ولا يجوز تجريحه، ولو قتل آلافا، وفعل المنكرات. وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويين، كأبي سفيان وأولاده، وجميع المروانيين بما فيهم طريد رسول الله وأولاده، والمغيرة بن أبي شعبة وولده عبد الله الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع ذلك نسبوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النبي في صحيفة يسمونها الصادقة. فجميع هؤلاء من العدول ومروياتهم من نوع الصحاح ولو كانت في تجريح علي وأهل البيت، وفي التقريظ والتقديس لعبد الرحمن بن ملجم. هذه المرويات يجب قبولها ولا يجوز ردها لأن رواتها من العدول، والعادل لا يتعمد الكذب، والذين اتبعوا معاوية وسايروه طيلة ثلاثين عاما من حكمه، هؤلاء كلهم على الحق والهدى، وحتى الذين سموا الحسن بن علي وقتلوا الحسين وأصحابه، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها كانوا محقين ومن المهتدين بحجة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال زعمهم: " أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتم اقتديتم " [1]. وهذا الحديث ضعفه أئمة أهل الحديث فلا حجة فيه وطعن فيه ابن تيمية [2].

ما هو جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي ؟

بأقل أقوال أهل السنة: " إذا رأيت الرجل ينقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق. والذين ينقصون أحدا على الاطلاق من أصحاب رسول الله هم زنادقة والجرح أولى بهم " [3]. ومن عابهم أو انتقصهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا

---

(1) راجع ص 81 و 82 من كتاب آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي.

(2) المرجع السابق ص 91 وقد نقل عن محب الدين الخطيب وعن المنتقى للذهبي.

(3) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص 17 و 18.

تصلوا عليه) [1].

ما هو سر هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة ؟

ذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة. وهؤلاء الذين ينقصون أحدا من الصحابة يريدون أن يخرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح أولى بهم وهم زنادقة [2].

استذكار

يقصد أهل السنة بالصحابة ما قصده ابن حجر عند تعريفه للصحابي بدءا من خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبي بكر وانتهاء بآخر طفل رأى الرسول أو رآه الرسول، ويستحسن أن نرجع لعرضنا لتحليل ابن حجر لتعريف الصحابي.

محاولة للتخفيف من هذا الغلو

قال المازري في شرح البرهان: " لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما أو زاره لماما، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب، وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " انتهى [3].

استنكار المحاولة ودفنها

والجواب على ذلك أن التغييرات المذكورة خرجت مخرج الغالب وإلا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة.

وأما كلام المازري فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء. وقال الشيخ صلاح العلاني: هذا قول غريب يخرج

---

(1) راجع ص 238 من كتاب الكبائر للحافظ الذهبي وراجع آراء علماء المسلمين ص 85 للسيد مرتضى.

(2) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص 17 و 18.

(3) الأعراف: 157 ،راجع الإصابة في تمييز الصحابة ص 19.

كثرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن العاص وغيرهم ممن وفد عليه (صلى الله عليه وآله) ولم يقم عنده إلا قليلا وانصرف. وكذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر [1].

الآثار المترتبة على هذا التعميم

المساواة العشوائية، فالصحابة حسب رأي أهل السنة متساوون بالعدالة، فجميعهم عدول، فالقاعد كالمجاهد، والعالم كالجاهل، ومن أسلم عن اقتناع تماما كمن أسلم لينجو بروحه، والسابق كاللاحق، والمنفق كالمقتر، والعاصي كالمطيع، والطفل المميز تماما كالراشد، ومن قاتل الإسلام في كل المعارك تماما كمن قاتل مع الإسلام كل معاركه. فعلي عليه السلام الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه هو تماما كأبي سفيان الذي قاد كل الحروب ضد الإسلام، وهو تماما كمعاوية ابن أبي سفيان وحمزة عليه السلام وهو المقتول وسيد الشهداء تماما مثل قاتله (وحشي) وعثمان بن عفان المبشر بالجنة هو تماما مثل عمه الحكم بن العاص والد خلفاء بني أمية، وهو طريد رسول الله وطريد صاحبيه. وقد لعنه الرسول ولعن ولده [2]، و عبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب وارتد عن الإسلام وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة [3] هو تماما كأبي بكر، و عبد الله بن أبي زعيم المنافقين تماما كعمار بن ياسر..... الخ.

كيف لا ؟ فكلهم صحابة وكلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار أبدا كما نقلنا.

---

(1) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ص 19.

(2)راجع كنز العمال ج 11 ص 358 – 361 وراجع المعارف لابن قتيبة ص 131 و 41 و 54.

(3)راجع كنز العمال ج 11 ص 358 – 361 وراجع المعارف لابن قتيبة ص 131 و 41 و 54.

تساؤل واستنتاج

هل يعقل أن يكون العالم كالجاهل والقاعد كالمجاهد ومن أسلم عن اقتناع كمن أسلم خوفا ؟ هل من المعقول أن يتساوى القاتل والمقتول ؟وهل يتساوى السابق باللاحق،والمنفق بالمقتر والعاصي بالمطيع وصادق الإيمان بالمتظاهر ؟وأن يتساوى المؤمن والمنافق.... الخ هل يعقل أن يكون معاوية مثل علي ؟

لا الشرع يقبل هذه المساواةولا العقلولا المنطق وهي ظلم صارخ وخلط فظيع ينفر منه العقل وتأباها الفطرة الإنسانية السليمة [1].

نقدرأي أهل السنة

الائتلاف والاختلاف

على ضوء المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة صحابة فإنه لا بديل أمام أتباع الإسلام (الفرق الإسلامية) من الاتفاق على أن اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وسمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو جالسوه أو شاهدوه، ولكن الخلاف يكمن في التعميم، فبينما يرى أهل السنة أن الصحابة بهذا المعنى الواسع كلهم عدول إلا أن الفرق الإسلامية الأخرى لا تقر أهل السنة على ذلكولا توافق على هذا التعميم.

محاولة للتوفيق

الصحابة بالمعنى الواسع الذي يركن إليه أهل السنة هم كل شعب دولة النبي، أو هم كل الأمة الإسلامية التي دانت لدولة النبي (صلى الله عليه وآله)،وهم أول المخاطبين المعنيين بآيات القرآن الكريم. فعليهم طبقت أحكامه كلها، فمن أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا اللهوأن محمدا رسول الله اعتبر مسلما ومواطنا في دولة النبي، لأن الله هو المطلع على الضمائر، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور،

(1) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 106 وما فوق.

وهو وحده الذي يثيب على هذا الإسلام.وانطلاقا من هذا الاعتقاد، فقد كان النبي يكتفي بالظاهر ويترك البواطن لله. وسلوك الإنسان متروك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم عليه، ولموقف الفرد من معارك الإيمان مع الكفر تحت

قيادة النبي أو من ينتدبه. ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق أنت منافق، بل كان يدعو الله أن يستر على عيوب خلقه وأن يصلحهم ويهديهم، مع أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تقرع بشدة المنافقين المنتشرين في عاصمته المدينة ومن حولها من الأعراب. وكشفت هذه الآيات أسرارهم وفضحت أضغانهم وعالجت أمورا واقعية ووصفت وشخصت حالات فردية لأشخاص كانوا يعتبرون صحابة بل وأقيمت الحدود على الكثير منهم.

والشريعة وضعت صفات موضوعية لأعمال البر والتقوى ولأعمال الفجور.

فمن توافرت فيه صفات معينة حشرته تلك الصفات بإحدى هاتين المجموعتين، وترجمة الصفات وبيانها متروك لسلوك الإنسان ميدانيا. فالصدام مع الكفر لم يتوقف طيلة حياة النبي، والإنسان بطبعه يعكس دائما حقيقة اعتقاده بسلوكه آجلا أم عاجلا.

وبانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، كان كل مسلم من مواطني الدولة الإسلامية يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور، وعرف الناس كلهم منزل بعضهم، مع أن المجتمع المسلم، خاصة مجتمع المدينة المنورة، كان مجتمع صحابة ولكل واحد من أفراده صفة صحابي لغة واصطلاحا. ثم من يأمن مكر الله وما معنى الأمور بخواتمها ؟ إنه لا بديل من تقسيم الصحابة الكرام إلى مجموعتين كبيرتين:

1 – أفاضل الصحابة: وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم وتحملوا سخرية وأذى الأكثرية الكافرة حتى ظهر أمر الله وتمسكوا بأمر الله ووالوا نبيه ووالوا من والاه، وانتقلوا إلى جوار ربهم وهم معتصمون بحبل الله، فهؤلاء عدول بالإجماع ولا تشذ عن ذلك أية فرقة من الفرق الإسلامية.

2 – بقية الصحابة: وهم متفاوتون، الله أعلم بهم، فمنهم الصبي ومنهم المنافق.

فالمنافقون الأشرار جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار مع أنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام ويسمون أيضا صحابة بكل المعايير الموضوعية المعروفة عند أهل السنة.

ما هي الفائدة من هذا التقسيم ؟

إن معرفة أفاضل الصحابة أمر في غاية الأهمية، فهم الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة، وهم ركن من أركان أهل الشورى، وهم الذين ينفذون أوامر الإسلام، وهم حكومة الإمام الفعلية، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر ولتطبيق الشريعة ولإعطاء البيعة العامة ورضاهم يجب أن ترضى العامة وبسخطهم يسخطون.

فإذا تحقق ذلك نجت الأمة ونجوا، وإن لم يتحقق هلكت الأمة وتأخروا، ووسد الأمر لمن يغلب. وفائدة هذا التقسيم الآن هو دراسة الماضي دراسة موضوعية لمعرفة سر اختلاف المسلمين وبعثرة كلمتهم وانهيار دولتهم تمهيدا لاستشراق مستقبلهم وتوثيق خطواتهم بحيث تبقى ضمن المقصود الشرعي كطريق أوحد لتوحيدهم ثانية وإقامة دولتهم التي ينبغي أن تقوم على الأسس الشرعية حتى تدوم وتحقق غايتها ولا تنهار ثانية.

ثم إن التفضيل ضروري لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة. يقول تعالى: * (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)، وقد فسرها الطوي بإسناد الولاية لمن هو جدير بها. وكيف يمكن تأدية هذه الأمانات في هذا المجال دون اللجوء للتفاضل ؟ إن أول من سمع بذلك هم الصحابة، ومن المعني بذلك غيرهم ؟!.

التفاضل سنة إلهية

التفاضل سنة إلهية، ومنهج من مناهج الحياة، وحافز من حوافز السمو بها تقتضيه طبيعة الحياة ويقتضيه التباين بين الخلق في القدرة والقوة والفهم، وتحقيق العدل السياسي والوظيفي من حيث وضع الشخص المناسب في المكان المناسب المؤدي لتحقيق الغاية الشرعية ووسيلة ذلك كله هو نظام التفاضل الشرعي في الإسلام على اعتبار أن التفضيل مكافأة وحافز إلهي وأن التفاضل وسيلة شرعية.

الدليل الشرعي للتفاضل

وسيلة التفاضل مكرسة بالشريعة الإسلامية وبروحها العامة. قال تعالى:

* (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) * * (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) *. والتفضيل ورد حتى على مستوى الأسر والأقوام، فها هو سبحانه وتعالى يخاطب بني إسرائيل: * (أني فضلتكم على العالمين) * * (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) * * (وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا) * * (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) * * (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) *..... الخ.

والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة عملا بقوله (صلى الله عليه وآله): من ولي على عصابة رجلا وهو يجد من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله.

طبقات الصحابة

إن الصحابة شرعا وعقلا وواقعا ليسوا بدرجة واحدة. فمنهم الصادقون وهم طبقات في صدقهم، ومنهم الأقوياء وهم طبقات في قوتهم، ومنهم الضعفاء وهم أيضا طبقات في درجات ضعفهم، ومنهم المنافقون وهم أيضا طبقات في نفاقهم.

أنظر إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي رأس النفاق في المدينة: " لعمري لنحسن صحبته ما دام بين أظهرنا " [1] وعيم المنافقين حسب هذا النص صحابي، وهو صحابي بالموازين المتفق عليها عند أهل السنة.

ولو جارينا أهل السنة بحرفية فهمهم لتجمدت الحياة ولتجمد الفكر تماما. وبالرغم من أن أهل السنة قد أجمعوا أو أشاعوا الاجماع على أن الصحابة كلهم عدول، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يعترفوا ضمنا بأن هذا التعميم غير واقعي وغير منطقي

ويتعارض مع المقصود الشرعي. ولعل تقسيمهم الصحابة الكرام إلى طبقات أكبر شاهد على

(1) راجع الطبقات لابن سعد ج 6 ص 65 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 103.

هذا الاعتراف حيث أن انتماء الصحابة لطبقة من الطبقات يحدد شرعا دوره في الأمور السياسية والحقوق [1] وهذه ليست مسألة اجتهادية لأن الشرع الحنيف بقرآنه وسنته قد وضع معالم تلك الطبقات. ومن هنا فإن ابن سعد تصدى لهذه الناحية فجمع الصحابة في خمس طبقات [2] . وكذلك فإن الحاكم في مستدركه قسم الصحابة إلى اثنتي عشرة طبقة.

طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه [3]

الطبقة الأولى: الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة.

الطبقة الثالثة: مهاجروا الحبشة.

الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا بعد هجرة الرسول للمدينة.

الطبقة السابعة: أهل بدر.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة: من هاجر بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

الطبقة الحادية عشرة: الطلقاء وهم الذين أسلموا يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح.

فأول الناس إسلاما خديجة ثم علي عليه السلام: تنبأ رسول الله

(1) راجع فتوح البلدان للبلاذري وانظر إلى طريقة عمر بن الخطاب بتسلسل العطايا ومقدارها.

(2) ويمكن لمن أراد التوسع أن يراجع طبقات ابن سعد.

(3) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 227 – 228 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 108.

(صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر [1] .

وتقسيم الصحابة إلى طبقات دخول واقعي في باب التفاضل، فمن غير المنطقي أن يكون أول من أسلم بنفس الدرجة من

العدالة التي يتمتع بها طليق أسلم يوم الفتح. وقد تنبه إلى هذه الناحية الفاروق عند توزيع العطايا، فأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة، ولم يساو بين أول من أسلم وآخر من أسلم،ولا سوى بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصر بجزيرة الشوك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه. وفي اجتماع السقيفة كانت حجة المهاجرين على الأنصار: هي أنهم أول من عبد الله في الأرض (السابقة في الإيمان) وأنهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده،ولا ينازعهم إلا ظالم،ولأن العرب تأبى أن تؤمر الأنصار ونبيها من غيرهم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. وانظر إلى قول عمر: " من ينازعنا سلطان محمد ومواثه ونحن أهله وعشيرته " هذا بالحرف ملخص ما قاله أبو بكر وعمر في السقيفة [2] . ألا ترى أن هذا تطبيق نظري دقيق لعملية التفاضل الشرعية وبالتالي نسف لكامل المقولة إن الصحابة كلهم بلا استثناء عدول ؟ فأذعن الأنصار لتلك الحجج القوية وقالوا: طالما أن الأمر هكذا فإننا لا نبايع إلا عليا [3] . وعند ما واجه الإمام علي القوم بحجته بعد البيعة قال بشير بن سعد الذي شق إجماع الأنصار وبايع أبا بكر مخاطبا عليا: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، وما كان بالإمكان الوصول إلى هذه القناعات لولا إعمال نظام التفاضل كوسيلة لتقديم الأعلم والأفضل والأنسب لكل أمر تحتاجه الأمة. ونظام التفاضل يتعارض بطبيعته مع مقولة " كل الصحابة عدول: لأنه لو

---

(1) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 227.

(2) راجع تاريخ الطبري ج 7 ص 198 وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ج 2 ص 326 من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 126 و 133.

(3) راجع تاريخ الطبري ج 7 ص 198 وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ج 2 ص 326 من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 126 و 133.

صحت هذه المقولة لما كانت هنالك دواعي لوجود هذا النظام ولا لسلوك منهج التفاضل باعتبار أن الجميع متساوون بالعدالة.

نظام التفاضل في الإسلام

تجنبا للخلاف والاختلاف، واستبعادا لدور المزاج والهوى، وتقويما لأي واقع متجبر سيفوض على الأمة، فقد حدد الإسلام بنصوص قاطعة لا تحتمل الانكار والتأويل الأركان الأساسية لنظام التفاضل في الإسلام وحصرها في خمسة أركان، لتكون مسارب للفضل والعدالة وطرقا لمنازل الخير، وهي التي تحدد موقع الإنسان المسلم وتبين دوره وتحدد حجم اعتباره. وهي مجتمعة تقدم الجواب الشرعي الأمثل لكل سؤال يتعلق بالمنازل والكرامات، وهي بالتالي الطريق الأوحد لمعرفة الأعلم والأفضل والأنسب في كل أمر من الأمور.

فإذا كان الصحابة كلهم بلا استثناء عدول لا فرق بين واحد وآخر، فما الداعي لإيجاد نظام التفاضل في الإسلام ؟ وما الداعي لتشريع الحدود ووضع الأحكام ؟

أركان التفاضل أو مسارب العدالة

باستقراء أحكام العقيدة الإلهية الإسلامية، يتبين لنا أن التفاضل يقوم على خمسة أركان، وهذه الأركان بمثابة موازين أو معايير شرعية تحدد حجم الاعتبار لكل مسلم وتبين منزلته.

الركن الأول والأهم: القرابة الطاهرة، فهم قيادة الأمة السياسية والروحية بعد نبيه الكريم بالنص الشرعي القاطع. أما لماذا هم بالذات ؟ هذا فضل الله يؤتيه من يشاء لماذا أنزل الله الوحي على محمد واختاره للرسالة ؟ لماذا محمد بالذات ؟ لماذا موسى بالذات ؟ هذا أمر بيد الله تعالى. هذه القرابة هي مركز الدائرة بالنص وهي سفينة النجاة بالنص، وهم باب حطة بالنص، وهم نجوم الهدى بالنص، وهم الأسبق بالإيمان بالنص، وهم الأتقى بالنص، وهم الأعلم بالنص، وهم الأكثر بلاء بالنص، ومحبتهم مفروضة على الجميع بالنص، وعميدهم في كل زمان هو الإمام الشرعي للأمة وهو مرجعها فالنبي أولا والكتاب ثانيا، والهادي أولا والهداية ثانيا

فمتى بعث الله رسالة بدون رسول ؟ ومتى أنزل الله كتابا إلا على عبد ؟ وسأثبت ذلك في حينه، فهم محط الولاية ومحورها.

الركن الثاني: السابقة في الإيمان.

الركن الثالث: التقوى.

الركن الرابع: العلم.

الركن الخامس: تقييم الرسول القائد أو الإمام الشرعي (المعين شرعا) ليقوم مقامه والذي بايعته الأمة المسلمة بالرضى

وبمحض اختيارها بدون إكراه ولا إغراء ولا لف ولا دوران (بدون غلبة).

الحكم على هذه الموازين

تلك موازين شرعية موضوعية مستمدة من الشريعة ومن الشريعة وحدها، وهي تبين معالم العدالة لدى كل فرد – وما سواها – مع عميق الاحترام إلا مواءمة بين واقع مفروض ومثال إلهي آخذ بالأعناق، وهذه الموازين معترف بها، وكانت حجة لا تعلوها حجة في نظام الخلافة التاريخي.

فعلى سبيل المثال أرجع حجة أبي بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة [1]، وارجع إلى حجة عمر في السقيفة [2]، وارجع إلى حجة أبي عبيدة [3].

فقد قالوا إنهم الأولى بمحمد: 1 – لأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم. 2 – إن أهل محمد وعشيرته هم أولى بميراثه وسلطانه (وهذا معيار القرابة بعينه) وقالوا: إنهم أول من عبد الله في الأرض، وهذا معيار السابقة في الإيمان والتقوى.... الخ. ثم طريقة عمر بتوزيع الأعطيات. لقد أخذ بأكثر هذه المعايير [4].

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 5 - 7.

(2) راجع الإمامة والسياسة ص 7 – 8.

(3) راجع الإمامة والسياسة ص 8.

(4) راجع فتوح البلدان للبلاذري.

تساؤلات

فإذا كان الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار، وأن الله سوى بينهم، فما الذي منع الأنصار من أن يتولوا الخلافة ؟ ولماذا اقتنعت أكثريتهم وأعطوا القيادة للمهاجرين الثلاثة عن قناعة ؟ لماذا فوق الخليفة العادل عمر ولم يساو بينهم بالعطايا مع أنهم صحابة وكلهم عدول ولا فوق بين واحد وآخر ؟

لماذا أقيمت الحدود على بعضهم ؟ وهل يسوق العادل التريه المضمون دخوله في الجنة ؟ أنتم لستم أفقه من الشيخين في الدين، وكفى بفقههما عندكم حجة، ليجب كل واحد منكم على هذه التساؤلات أو ليحاول، فمتى كان التقليد الأعمى طريقا للهدى ؟ لقد أنبأنا الله أنه طريق إلى النار، وقد أنعم الله علينا بالعقل لنستثمره في طاعة ومعرفة مقاصد الشريعة [1].

(1) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 101 وما فوق فقد فصلنا هذه الموازين بالقدر الذي يفهم.

الفصل الثالث

نقض النظرية من حيث الشكل

حجة أهل السنة منقوضة شكلا من وجهين:

الوجه الأول: حول الشهادة والشهود

إن القرآن الكريم هو الذكر، وما جاء به النبي هو بيان لهذا الذكر وترجمة له وهو من مستلزماته، وقد تكفل الله جلت قدرته بحفظه على مر الأزمان * (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) *. فحفظ الذكر مضمون بضمانة إلهية ولا علاقة للصحابة الكرام بهذا الحفظ. فالدين محفوظ وثابت وبدون شهود لأن الله هو الشاهد والمتكفل بإثباته، ولأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة. فالشاهد على المسلمين هو محمد والمسلمون في كل زمان هم شهداء على الناس. ثم إن كتاب الله منزل من عند الله وليس بإمكان أحد كائنا من كان أن يزيد فيه حرفا أو ينقص منه حرفا أو أن يبدل فيه حرفا لأنه ترتيب إلهي. فقد كانت الكوكبة من آيات القرآن الكريم تتنزل على رسول الله مع التوجيه الإلهي بأي سورة توضع، وعند ما انتقل الرسول إلى جوار ربه، كان القرآن كله مرتبا بالصورة التي بين أيدينا ومكتوبا كاملا وليس في صدور الرجال فحسب كما يزعم بعض إخواننا. فالقول بأن الصحابة كلهم عدول لا يزيد الثابت ثباتا ولا المحفوظ حفظا، والقول بأن المخلصين من الصحابة فقط هم العدول لا يهز هذا الثابت ولا يؤثر على هذا المحفوظ، وإقحامهم للقرآن وحفظه لإثبات عدالة كل الصحابة لا مبرر له، لأن الفضل في ذلك كله والمنة والشكر لله تعالى، والفخر لمحمد وآل محمد وللصادقين من الصحابة الذين التفوا حولهم. (فلو أن الآل

الكرام سلموا محمدا لزعامة قريش أو خلوا بينها وبينه لقتلوه كما قتل كثير من الأنبياء من قبل)، ولما تحمل الآل الكرام كل سني الحصار والعذاب والألم. وبالمناسبة فإنني أتساءل: أين كان كل الصحابة والهاشميون محصورون في شعاب أبي طالب يأكلون ورق الشجر من الجوع ويمص أطفالهم الرمال من العطش ؟ هل من العدالة الوضعية أو السماوية أن يتساوى المحاصر مع المحاصر، * (ما لكم كيف تحكمون) *.

الوجه الثاني

أما القول بأن هؤلاء الذين ينقصون أحدا من الصحابة (زنادقة) فلا يستقيم لعدة وجوه، لأن الإسلام بوصفه آخر الأديان السماوية، وبوصفه الصيغة النهائية لدين الله معد ومصاغ ليفهم منه كل إنسان على قدر فهمه، والفهم الأمثل هو ما يتطابق مع المقصود الشرعي أو الغاية الشرعية من النص بحيث يكون الفهم هو عين ما أراد الله وتلك مهمة عسرة بل واختصاص فني تماما، وإلا فما الداعي لإرسال الرسل مع الكتب وابتعاث الهادي مع الهداية ؟ وما هي الغاية إذن من وجود الأئمة ومن

رئاسات الأنبياء لدول الإيمان ؟ ومن هنا فإن الإسلام شئ وفهمنا له شئ آخر يختلف حسب ثقافاتنا. فاختلاف الرأي وتباين الأفهام ليس زندقة، وهنالك من الصحابة من عاب النبي نفسه وطعن في عدالته. أنظر إلى قول ابن الخويصرة: " إعدل يا محمد والله ما أردت بهذه القسمة وجه الله " لم يقل له النبي: أنت زنديق أو منافق، قال له:

ويحك من يعدل إن لم أعدل. فهل للصحابي مكانة أعظم من مكانة النبوة ؟ فإذا كان سيد البشر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: " أنا بشر أصيب وأخطئ " فكيف تعممون العدالة على جميع الصحابة وتعتبرون من يناقشكم بالأمر زنديقا ؟

نقض حجة أهل السنة يجمع أهل السنة أو يتظاهرون بالإجماع على القول وبالحرف " إن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به النبي حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فهم الشهود وهؤلاء الذين ينقصون أحدا من الصحابة – أي واحد – يريدون أن يخرجوا شهودنا

ليبطلوا الكتاب والسنة وهؤلاء زنادقة [1] ، فمن عابهم أو انتقص منهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه " [2] .

قراءة أولية أولا: الخلط

القول بأن النبي حق والقرآن حق وما جاء به النبي حق، هذا قول لا غبار عليه ولا اختلاف فيه، وهو قدر مشترك بين كل المسلمين من سنة بمختلف فرقهم ومن شيعته بمختلف فرقها، وهم يتساوون بالإنتماء لهذا الدين ولحمل هويته الخالدة.

والدين يتكون من مقطعين: 1 – نبي الله بذاته وقوله وفعله وتقريره، و 2 – كتاب الله المنزل من عند الله. هذا إجماع كل المسلمين، والخلاف منحصر بفهم المقصود الشرعي لهذا الدين، فلا ينبغي الخلط بين الدين وبين مفاهيمنا له. فالدين هو المركز الثابت ومفاهيمنا هي المتحركات والمتغيرات من حوله. فالدين شئ ومفاهيمنا له شئ آخر، هذه المفاهيم عمليا تختلف من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة حسب درجة العلم وقوة الفهم والطاقة والتجرد من الهوى. ولو كان مجديا فرض فهم واحد للنص لفرضه الله تعالى ولما كان هنالك داع للإجماع ولما كان هنالك داع للفهم أصلا. فعندما نفهم نصا معينا بفهم ما، ويفهم الآخر النص نفسه بفهم آخر ثم يدعي كل واحد منهما أن فهمه هو المقصود الشرعي، فمعنى ذلك أنه لا بد للاثنين من دراسة النص دراسة ثانية وثالثة... الخ حتى يصلا إلى مفهوم واحد للنص لأن النص الشرعي الواحد له مقصد شرعي واحد وهو عين المقصود الإلهي، إذ لو قلنا بغير ذلك لأضفينا طابع الشرعية على الفرقة والاختلاف، ولذهبت كل جماعة باتجاه مع أن مصلحة الأمة تتحقق بوحدتها لا بفرقتها، ثم إنه لا مصلحة لك ولا مصلحة لي إذا كانت النفوس خالصة لله أن يصح هذا الفهم أو ذاك، إنما مصلحتنا تتحقق بفهم المقصود الإلهي الأمثل والعمل به.

(1) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص 17 - 19.

(2) كتاب الكبائر للحافظ الذهبي ص 238.

فمن غير الجائز أن نخلط أفهامنا بالدين وبنوايا مختلفة حسنت أم ساءت، نقول: إن هذه الأفهام هي الدين، ثم نضع عقوبة لمن يخالفنا بهذه الأفهام متجاوزة دائرة الاتباع إلى دائرة التشريع المخصصة لله تعالى. فحكم الزندقة وقوار عدم المواكلة والمشاربة وعدم الصلاة على من يخالفك الرأي هو قوار لا يقره الدين، وهو عقوبة بغير نص وتصرف ممن لا يملك في ملك الغير، وهو باطل من أساسه ولا يعادل شروى نقير.

ثانيا: كلمات للتلقين

1 – الإسلام كلمة محددة ولفظ يدل على معنى بعينه وهو يعني: نبي الله محمدا بذاته وقوله وفعله وتقريره، ويعني القرآن الكريم على الصعيدين النظري والعملي، وهو مجموعة البنى الحقوقية المتكاملة التي أوحاها الله لنبيه وبينها النبي للناس، إنه العقيدة الإلهية التي أرادها الله أن تكون دينه ودين المطيعين من خلقه. وهو شئ ومعنى قائم بذاته ومستقل عن غيره.

2 – الصحابة الكرام اتبعوا هذا الدين ووالوا نبيه على صعيدي الدعوة والدولة هم أتباع للدين وليسوا دينا أو جزءا من الدين.

3 – المسلمون كلهم هم الذين اتبعوا الإسلام وآمنوا به، لكنهم ليسوا هم الإسلام، إنهم أتباع وشتان ما بين العقيدة والمعتقد وما بين القانون والشعب، وما بين القضاة والمتقاضين.

ثالثا: الحماية والتستر

قلنا: إن مصلحة الإسلام والمسلمين تتحقق بفهم المقصود الشرعي بالذات وهو عين المقصود الذي قصده الله تبارك وتعالى، والوقوف على هذا المقصود يحتاج إلى اختصاص وملكات خاصة والوقوف عليه مطلب الجميع وغايتهم، ولكن أناسا أولوا أنفسهم منزل ليست لهم واجتهدوا، وهذا حق لهم، ثم حاولوا رغبة أو رهبة أن يفوضوا هذا الاجتهاد على أبناء الملة وأغلقوا طريق البحث عن الحقيقة الشرعية وأوصدوا مسالك التحري عن المقصود الشرعي وأعلنوا بأن رأيهم هو الدين ومن

يعارضهم زنديق... الخ وهذا ليس من حقهم لأنهم شئ والدين شئ آخر، ومخالفتهم بالرأي أو بالاجتهاد أو بالفهم ليس مخالفة للدين لأن القول بغير ذلك ترجيح بغير مرجح ووصاية من إذن شرعي بالوصاية مما يحول العملية كلها إلى تستر بالدين واحتماء به لنصرة رأي على رأي أو مذهب على مذهب. فاختلافك معي بفهم نص من النصوص الشرعية لا يجعل منك زنديقا ولا يجعل مني مرجعا وقديسا، فذلك ترجيح بغير مرجح وتقبيح بغير سند وخدمة لأولئك الذين غلبوا هذه الأمة وفرقوها إلى شيع وأحزاب بأحابيلهم السياسية الملتوية، وبمساعدة السذج من علماء السوء الذين يقفون في كل زمان ضد تفاهم هذه الأمة ووحدتها، فيقولون: هذا زنديق، وهذا رافضي، وهذا شيعي، وهذا سني، وهذا جعفري وهذا مالكي، وذلك كفر وتلك زندقة... الخ.

وتلك ألفاظ يعافها الذوق السليم، وتنفر منها الفطرة النقية، وقد ترفع عن مثل هذه الأمور حتى الكفرة من أهل الكتاب،

وبالتالي هي تعبر عن ضيق الصدر وتتعارض مع مبادئ الأخوة الإسلامية وروح الإسلام العامة. الله وحده يعلم كم هو مؤذ التعصب ومثير للوقف. يقول الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواة الثقات:

" قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين – يحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذي جعلوا قوله في الرجال حجة قاطعة – سألته عن الشافعي فقال: ليس ثقة، وجعفر بن محمد الصادق وثقه أبو حاتم والنسائي إلا أن البخاري لم يحتج به " [1] . أنت تلاحظ أن يحيى بن معين وهو العملاق الشهير يزعم أن الشافعي ليس ثقة، مثلما تلاحظ أن البخاري لم يحتج بالإمام جعفر الصادق واحتج بمن هو أقل من الإمام جعفر، وجعفر عليه السلام هو صاحب مذهب أهل البيت الكرام، وهو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة، وهو العالم الألمعي الذي لا يشق له غبار والذي تخرج على يديه أربعة آلاف فقيه ومحدث، وفوق ذلك كله هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الكرام، فهو جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومع هذا لم

(1) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن للسيد مرتضى الرضوي ص 97 - 98.

يحتج به البخاري ولم يوثقه وتجافى عن روايات أهل البيت مع أنهم صحابة بالمعنى الذي يقصده أهل السنة والصحابة كلهم عدول.

نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع

يؤمن أهل السنة بالنظرية القائلة " بأن كل الصحابة بلا استثناء عدول "، تلك النظرية التي ابتدعها رجال السياسة الغالبون، كما سنثبت ذلك، ولغاية في نفس يعقوب، وألقوا في روع الغافلين الذين يحبون هذا الدين، بأن هذه النظرية جزء لا يتجزأ من دين الإسلام وفصل ثابت من فصول العقيدة الإلهية من شك فيها أو خرج عليها أو ناقشها فهو زنديق لا ينبغي أن يواكل أو يشارب أو يصلي عليه إذا مات.

حقيقة أن الصحبة شرف عظيم ومراتبها عالية، ولكنها بالمعنى اللغوي وبالمعنى الاصطلاحي المتفق عليه عند أهل الملة، هذه الصحبة تشمل كل المسلمين الذين عاصروا رسول الله. بمعنى أن كل شعب دولة النبي كانوا صحابة، لأن العبرة والمعول عليه هو:

1 – الالتقاء بالنبي.

2 – الإيمان الصادق به كحال الصحابة الصادقين أو التظاهر بهذا الإيمان، وكحال المنافقين وكحال الذين حاربوا الإسلام بكل وسائل الحرب ثم أحيطوا واضطروا للإسلام لأن كل الأبواب قد أوصدت في وجوههم إلا باب الإسلام فولجوه، الله وحده أعلم بنواياهم.

3 – الموت وهو على هذه الحال.

إن هؤلاء المؤمنين الصادقين، والمنافقين المتظاهرين، ومن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، لم يكونوا بدرجة واحدة حتى يقال بأنهم جميعا عدول، بل إن منهم من كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعصيان، وهم الفئة المنافقة من المسلمين الذين عاصروا النبي ومات النبي وهم على قيد الحياة.

وقد كشف القرآن الكريم بأن أفراد هذه الفئة مردوا على النفاق وخانوا، وغدروا، ووعدوا فأخلفوا، وحدثوا فكذبوا، وابتغوا الفتنة وآذوا النبي، وقللوا الأمور.

وكانت راية الإسلام ترتفع كل يوم حتى بسطت دولة النبي سلطانها المبارك على الجزيرة، وأضفت هيبتها على الجميع وأكمل الله الدين، وأتم النعمة، وانتقل النبي إلى جوار ربه، وتلك الفئة المنافقة على حالها، والمسلمون متفاوتون بإيمانهم وتضحياتهم ومنازلهم.

العجب العجاب

وبدون مقدمات أو بمقدمات سياسية أصبح كل رعايا دولة النبي عدول بحجة أنهم كلهم صحابة شاهدهم النبي أو شاهدوه، وآمنوا به أو تظاهروا بالإيمان وأنهم ماتوا على هذا الإيمان مع أن النظرية قد ابتدعت في العصر الأموي (عصر خلافة الطلقاء) وقبل أن يموت جيل الصحابة بالمفهوم الآنف الذكر، أي أنهم قد حكموا بالعدالة قبل أن يتأكدوا من حسن الخاتمة، وهذه النظرية منقوضة من أساسها.

وجوه النقض

1 – أنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة.

2 – أنها تتعارض مع السنة النبوية بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير.

3 – نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال.

4 – أنها تتعارض مع روح الإسلام العامة ومع حسن الخاتمة ومع الغاية من الحياة نفسها.

تفصيل وإثبات وجوه النقض

1 – نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة

ظاهرة النفاق

شاعت ظاهرة النفاق في زمن النبي، وبرز المنافقون كقوة حقيقية يحسب حسابها، والمنافقون هم فئة آمنت بالظاهر، فهم بأفواههم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ويرددون نفس الألفاظ والمصطلحات التي يرددها

المسلمون خداعا واستهزاء * (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر...

يخادعون الله والذين آمنوا...) * وهم يجاهرون بذلك ويحرصون على أن يسمعه النبي والذين آمنوا: * (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا...) * ولا تقتصر ظاهرة النفاق على القول بل تتعداها إلى العمل، فقد كانوا يصلون وينفقون ويقدمون الأعذار إذا تخلفوا عن الخروج مع النبي، ويكررون مزاعمهم بالإيمان. سلوك الإنسان يعكس عاجلا أم آجلا حقيقة اعتقاده، لكن النوايا لله، والنبي يعنى بالظاهر والسلوك ويكل البواطن لله، وهو بطبيعته رؤوف رحيم خلوق ونموذج فرد للإنسان الكامل. ولكنهم تجاوزوا الحدود فبدأت الآيات القرآنية تتنزل وتكشف حقائق هذه الفئة. من ذلك:

* (... وما هم بمؤمنين.... يخادعون الله والذين آمنوا....) *.

* (... وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون...) *.

* (... ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون...) * * (... ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم....) *.

* (... لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم...) *.

* (... ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون...) *.

* (... ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا...) *. (قرآن كريم).

الحكم الإلهي القاطع

بعد أن كشف حقيقتهم، وعرى بواطنهم، أصدر حكمه العادل الذي يتلاءم وجريمتهم بالكذب على الناس وعلى الله، وكلف نبيه أن يبلغهم مضمون هذا القرار الإلهي وحيثياته وأسباب صدوره * (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) *.

لماذا ؟ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا ومزاعمهم بالإيمان غير صحيحة واستهزاء، وبالتالي فإنهم قد كفروا بالله ورسوله بالرغم من كل مزاعمهم. وأذاع

النبي القرار الإلهي وأسبابه وحيثياته ووضع كل الحقائق أمام الجميع. ومع هذا لطبيعته الفذة (صلى الله عليه وآله) كان يستغفر لهم ويسأل الله الهداية فجاءه الرد الإلهي واضحا * (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) *.

أمثلة على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن الكريم

المثال الأول

قال تعالى: * (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به

وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) * (سورة التوبة).

إنها قصة ثعلبة، ذلك الصحابي المعدم الذي سأل الرسول أن يدعو الله له حتى يرزقه المال، فقال له الرسول: " ويحك يا ثعلبة، قليل تشكره خير من كثير لا تطيقه " فقال ثعلبة: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فيرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه. فقال الرسول: " اللهم ارزق ثعلبة مالا "، فرزقه الله ونماه له، وعندما طلب منه الرسول زكاة أمواله بخل ثعلبة معللا بخله بأن هذه الزكاة جزية وامتنع عن دفعها ومات النبي وثعلبة على قيد الحياة، فأرسل زكاة أمواله إلى أبي بكر الصديق فرفضها، وأرسلها إلى عمر فرفضها، وهلك ثعلبة في زمن عثمان [1].

المثال الثاني

قال تعالى: * (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون. أما الذين آمنوا

(1) راجع على سبيل المثال تفسير فتح القدير للشوكاني علي بن محمد مجلد 2 ص 185 وراجع تفسير ابن كثير لإسماعيل بن كثير الدمشقي مجلد 2 ص 373 . وراجع تفسير الخازن لعلاء الدين علي بن إبراهيم البغدادي مجلد 2 ص 125 . وراجع تفسير البغوي محمد بن الحسن بن مسعود الفرا مجلد 2 ص 125 بهامش تفسير الخازن. وراجع تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري مجلد 6 ص 131.

وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) * (سورة السجدة).

المؤمن هو علي بن أبي طالب، والفاسق هو الوليد بن عقبة، وقد تولى الكوفة لعثمان، وتولى المدينة لمعاوية ولابنه يزيد [1].

المثال الثالث

قال تعالى: * (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) * (سورة الصف).

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح وهو والي عثمان على مصر، فهو

(1) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ح 445 و 453، 610، 626 وراجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 324 و 370 و 371 وراجع تفسير الطبري ج 21 ص 107 وراجع الكشاف للزمخشري ج 3 ص 514 وراجع فتح القدير للشوكاني ج 4 ص 255 وراجع تفسير ابن كثير ج 3 ص 462 وراجع أسباب النزول للواحدي ص 200 وراجع أسباب النزول للسيوطي مطبوع بهامش تفسير الجلالين ص 550، وراجع أحكام القرآن لابن عربي ج 3 ص 1489 وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص 80 و ج 6 ص 292 وراجع كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 140 وراجع الدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 178 وراجع ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 88 وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص 197 وراجع نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 92 ، وراجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي الحنفي ص 207 وراجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 250 وراجع زاد المسير لابن الجوزي الحنبلي ج 6 ص 340 وراجع أنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 148 ح 150 ، وراجع تفسير الخازن ج 3 ص 470 و ج 5 ص 187 وراجع معالم التنزيل للبغوي الشافعي بهامش الخازن ج 5 ص 187 وراجع السيرة الحلبية للحلبي الشافعي ج 2 ص 85 وراجع تخريج الكشاف لابن حجر العسقلاني مطبوع بذيل الكشاف ج 3 ص 514 وراجع الانتصاف في ما تضمنه الكشاف بذيل الكشاف ج 3 ص 244 وراجع إحقاق الحق ج 3 ص 273 وراجع فضائل الخمسة ج 1 ص 268 وراجع المراجعات ص 64 حسين الراضي.

الذي افترى على الله الكذب، وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة كما يروي صاحب السيرة الحلبية الشافعي في باب

فتح مكة، وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له كما يروي صاحب السيرة، وسكت الرسول على أمل أن يقتل خلال سكوته كما أوضح رسول الله، ولما لم يقتل أعطاه الأمان [1].

تحليل الأمثلة الثلاث

1 – حكم الله في الثلاث

في المثال الأول: حكم الله بنفاق قلب ثعلبة وأنه من الكاذبين.

وفي المثال الثاني: بين الله أن الوليد بن عقبة فاسق وأنه من أهل النار وأنه لا محيد له عنها ولا مخرج له منها.

وفي المثال الثالث: بين الله أن عبد الله بن أبي سرح افترى على الله الكذب، وحاول أن يحرف كتاب الله وهو من أكثر الخلق ظلما وبين أن من المحال أن يهتدي لأن الله لا يهدي القوم الظالمين.

2 – حكم أهل السنة في الثلاث

هؤلاء الثلاثة من الصحابة، فشروط الصحبة قد توفرت فيهم بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي وبما أنهم صحابة فهم عدول لا يجوز عليهم الكذب ومحكوم بنزاهتهم وهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار، كيف لا و عبد الله بن أبي سرح وهو والي مصر لعثمان وأحد وزرائه، وكذلك الوليد بن عقبة فهو والي الكوفة والذي صلى الصبح أربعا ولو طلبوا الزيادة لزادهم وهو وزير عثمان ووالي معاوية على المدينة. ومن ينتقص من هؤلاء الثلاثة فهو زنديق ولا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه إذا مات.

---

(1) راجع السيرة الحلبية باب فتح مكة.

أيهما الأولى بالتصديق: كتاب الله وحكمه أم التقليد الأعمى ؟ ومن هنا فإن نظرية عدالة كل الصحابة منقوضة من حيث الموضوع لأنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة وهذا التعميم – كل الصحابة عدول – يتعارض مع الأحكام الإلهية ويخالفها [1].

2 – نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية

المثال الأول

ذو الثدية فقد كان من الصحابة المتنسكين وكان يعجب الناس تعبده واجتهاده، وكان رسول الله يقول: إنه لرجل في وجهه لسعة من الشيطان. وأرسل أبا بكر، ليقتله فلما رآه يصلي رجع، وأرسل عمر فلم يقتله ثم أرسل عليا عليه السلام فلم يدركه [2]. وهو الذي ترأس الخوارج وقتله علي عليه السلام يوم النهروان [3].

المثال الثاني

كانت مجموعة من الصحابة يجتمعون في بيت أحدهم يثبطون الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر من أحرق عليهم هذا البيت [4].

المثال الثالث

قرمان بن الحرث قاتل رسول الله في أحد قتال الأبطال، فقال أصحاب النبي:

ما أجزأ عنا أحد كما أجزأ عنا فلان. فقال النبي: أما إنه من أهل النار، ولما أصابته الجراح وسقط قيل له هنيئا لك بالجنة يا أبا الفيداق. قال جنة من جرمل والله

---

(1) أرجع للمراجع السابقة.

(2) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 ص 439.

(3) راجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي.

(4) راجع سيرة ابن هشام ج 3 ص 235.

ما قاتلنا إلا على الأحساب [1].

المثال الرابع

الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس عم عثمان بن عفان ووالد مروان بن الحكم لعنه رسول الله [2] ولعن ما في صلبه وقال ويل لأمتي مما في صلب هذا.

ومن حديث عائشة أنها قالت لمروان أشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه فنفاه النبي إلى وج قرب الطائف وحرم عليه أن يدخل المدينة، ولما مات رسول الله راجع عثمان أبا بكر ليدخله فرفض أبو بكر، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخله المدينة فأبى عمر، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززا مكرما وأعطاه مئة ألف درهم واتخذ مروان ابنه بطانة له وتسبب فيما بعد بقتل الخليفة وخراب الخلافة الراشدة. وكان مروان يلقب بخيط باطل ثم خليفة المسلمين. يقول الشاعر:

لي الله قوما أمروا خيط باطل على * الناس يعطي من يشاء ويمنع [3]

المثال الخامس

وهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وقالوا: إنهم بنوا هذا المسجد تقربا لله تعالى وكانوا اثني عشر رجلا من الصحابة المنافقين [4].

المثال السادس: لعن الرسول لبعض الصحابة

قال الحلبي في رواية: صار (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: " اللهم العن فلانا وفلانا " [5]. وأخرج البخاري قال: حدثني

سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله

(1) راجع الإصابة ج 3 ص 235 وراجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى ص 127 وما فوق.

(2) راجع كنز العمال.

(3) راجع مروج الذهب للمسعودي.

(4) راجع سيرة بن هشام.

(5) السيرة الحلبية ج 2 ص 234.

(صلى الله عليه وآله) إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: " اللهم العن فلانا وفلانا " بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده. وقال السيوطي وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد: " اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو واللهم العن صفوان بن أمية ". قال السيوطي وأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو على أربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر: " اللهم العن فلانا وفلانا " وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان [1] ومعه معاوية، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيص " فقال ابن براء لأبيه: من الأقيص قال:

معاوية [2]. وأخرج نصر عن علي بن الأقمر في آخر حديثه قال: فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " اللهم العن القائد والسائق والراكب "، قلنا أنت سمعت رسول الله ؟ قال: نعم وإلا قصمت أذناي [3]. وانظر إلى رسالة محمد بن أبي بكر الصديق التي وجهها لمعاوية فقد جاء فيها: وقد رأيتك تسامي وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم أخوه الشري بنفسه يوم مؤتة وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن حوزته. وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الغوائل وتجهدان في إطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل وعلى ذلك مات أبوك وعليه خلفته [4]. ولم ينف معاوية لعنه ولا

(1) الدر المنثور في التفسير المأثور ج د ص 71.

(2) وقعة صفين ص 217 تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون (3) وقعة صفين ص 220.

(4) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 14 وقد نقلت هذا المقتطف حرفيا.

لعن أبيه مع أنه قد ردردا بليغا على هذه الرسالة [1].

دعوة لتحليل هذه الأمثلة

الأمثلة الست التي سقناها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنقض نقضا كاملا القول (بأن كل الصحابة عدول).

فمن يأمر الرسول بقتله ليس من العدول. ومن يحرق عليهم رسول الله البيت ليسوا من العدول.

ومن يقل عن الجنة جنة من (حرمل) ويقاتل على الأحساب ليس من العدول.

ومن يلعنه الرسول ويلعن ما في صلبه ليس من العدول.

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا ليسوا من العدول.

لأن القول بعدالتهم يتعارض مع السنة المطهرة. فالسنة المطهرة تنفي هذه العدالة، والمقلدون تقليدا أعمى بعزلة عن التفكير يثبتونها فأيهما أولى بالتصديق سنة المصطفى أم تقليد المقلدين ؟

فلا خلاف بعدالة أفاضل الصحابة، ولكن الخلاف يكمن في التعميم بالقول (بأن كل الصحابة عدول) والقول بالتعميم تنقضه السنة المطهرة لأنه يتعارض معها تعارضا كاملا.

3 – نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال

المثال الأول

حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق وشتمه أنصار رسول الله، واستغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاما ولايته على الشام لتوطيد سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية. ورتب معاوية عطاء

(1) راجع المرجع السابق ج 3 ص 15 و 16 من مروج الذهب للمسعودي.

اسمه: رزق البيعة يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد [1].

وتأكد أن المطلب الحقيقي لمعاوية هو الملك عندما كتب وصيته من بعده ليزيد ابنه وأخذ له البيعة بالقوة [2]، وأمره على صحابة رسول الله بالرغم من مجونه وقلة دينه وسوء خلقه.

المثال الثاني

أوصى معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد: " إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلمة بن عقبة "، وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم واحدا واحدا واحدا. ويدخل عقبة عاصمة النبي ويفعل الأفاعيل التي تضج منها السماء، مروان دليل الجيش يؤشر وعقبة وجيشه المظفر ينفذ ويعدم بغير رحمة، وتم تنفيذ أبشع مجزرة وكان من نتيجة هذه الوصية أن:

1 – أبيد من حضر من البدريين بالكامل.

2 – أبيد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل.

3 – أبيد من الموالي والعرب عشرة آلاف.

كان ذلك سنة 63 هـ في وقعة الحرة. هنالك قال عبد الله بن عمر: " نحن مع من غلب " وتحول قوله إلى قاعدة دستورية وكان معتزلا عندما اشتد الصراع بين علي ومعاوية [3].

المثال الثالث

أرسل معاوية بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف سنة 40 هـ وقدم المدينة فصعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه إلى بيعة معاوية، ومضى بسر إلى مكة ثم

---

(1) راجع نظام الحكم للقاسمي ص 283.

(2) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 182.

(3) راجع نتائج معركة الحرة في كل كتب التاريخ وتأكد من صحة هذه النتائج وراجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

سار إلى اليمن ولم يجد واليها عبيد الله بن العباس ووجد طفليه الصغيرين عبد الرحمن وقثم فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف، وقتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا كثيرا، وكذلك بالجوف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الأبناء. ولم يبلغه عن أحد أنه يمالئ عليا أو يهواه إلا قتله [1].

وكانت جويرية أم ابني عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وتوثيهما بعاطفة تذيب الصلخد الصلد [2].

المثال الرابع

ذكر أن امرأة الحسن بن علي عليه السلام جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، وكان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه. فلما مات الحسن وفى لها معاوية بالمال وأرسل إليها: " إنا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه ". وذكر أن الحسن قد قال عند موته: " لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته والله لا وفى لها بما وعد، ولا صدق فيما قال ". عن العباس بن عبد المطلب قال:

كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أقبل علي بن أبي طالب، فلما رآه أسفر عن وجهه فقلت يا رسول الله إنك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال: " يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني، إنه لم يكن نبي إلا وذريته الباقية بعده من صلبه، وإن ذريتي بعدي من صلب هذا... " [3]. وممن سمهم معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذلك عند ما شاور أهل الشام [4].

فيمن يعقد له من بعده فقالوا: رضينا بعبد الرحمن، فشق ذلك على معاوية فسمه . وهذا ما فعله مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(1) راجع الإمامة والسياسة وراجع مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 26.

(2) راجع مروج الذهب ص 27.

(3) راجع مروج الذهب للمسعودي ص 477 ج 2.

(4) راجع ترجمته في الاستيعاب وراجع ص 175 من كتاب شيخ المضيرة.

المثال الخامس: الفرحة الكبرى

حدث محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الفضل بن عباس بن ربيعة قال: وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال: فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به ؟ فقال معاوية: موت الحسن بن علي، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكت وقالت: مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال معاوية: نعما والله ما فعلت، إنه كان كذلك أهلا أن تبكي عليه. ثم بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على معاوية، قال: علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي ؟ قال: ألذلك كبرت ؟ قال: نعم [1].

المثال السادس

تقدم الجيش بقيادة الصحابي عمرو بن سعد بن أبي وقاص... ولما تكاثرت العساكر على الحسين عليه السلام أيقن أنه لا محيص له، فلم يزل يقاتل حتى قتل.

وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج وأخذ رأس الحسين وانطلق به إلى ابن زياد وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحببا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فسلبوه جبته وحذاءه كما يروي البلاذري في أنساب الأشراف، ولم يكتفوا بذلك إنما أمر الصحابي عمرو بن سعد بن أبي وقاص أن يوطئوا خيلهم جثة الحسين فانتدب لذلك إسحاق بن حيوة الحضرمي في نفر منه فوطئوه بخيلهم [2]. وعاد

(1) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 478 - 479.

(2) راجع مقتل الحسين في أنساب الأشراف للبلاذري.

عمرو بن سعد بن أبي وقاص مظلوما بعد أن أباد ذرية محمد وماتوا وهم عطشى وبجانبهم الفرات حلال حتى للكلاب وحرام على ذرية محمد.

المثال السابع والأخير

قال الحسن عليه السلام أثناء اجتماعه بمعاوية: "... يا أهل الكوفة لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية...) [1] وكان عليه السلام بعد تولي الخلافة قد خرج في جيش قوامه اثني عشر ألفا وعسكر في المدائن فقام بعض من معه بمباغتته وسلبوه رحله، وتفرقوا عنه وخذلوه، بل أن بعضهم أراد أن يوثقه ويسلمه لمعاوية موثقا، وبعضهم أراد قتله.

تحليل هذه الأمثلة

التقتيل والتدمير والتحريق وإبادة البدريين وقتل أحد عشر ألف مسلم بيوم واحد من أهل المدينة المنورة بلا ضرورة أمر يناقض العدالة.

وقتل الأطفال وقتل كل من يظن أنه يهوى ولي الله علي أمر لا يتفق ودعوى العدالة. وسم الحسن، وقتل الحسين، والدوس على جثته الطاهرة بسنابك الخيل وإبادة آل محمد ومنعهم من أن يشربوا من ماء الفرات أمر يناقض الزعم بالعدالة.

هذه الأمور وأمثالها مما لا يحصى تنقض بوقوعها مزاعم كل الذين يقولون إن الصحابة كلهم عدول وإنهم كلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار، لأننا لو قلنا بذلك لكان فيه مكافأة للذين انتهكوا محارم الله. إن سم الحسن وقتل الحسين وإبادة أهل البيت، وإبادة أفاضل الصحابة لا يمكن أن يكون اجتهادا إنما هو عدوان. ومن يفعل ذلك لا يمكن أن يكون من العدول بكل المعايير العقلية والدينية ووفق كل الشرائع الوضعية التي عرفها البشر، يتورع أي قائد أمريكي أو فرنسي أو روسي أو وثني من أن يقوم بقتل طفلين صغيرين في غياب أبيهما كما فعل ابن أرطأة،

---

(1) راجع مروج الذهب.

فقتل الطفلين لا يقدم ولا يؤخر في ملك معاوية أو ملك ابنه. وهذا العمل بكل المقاييس عمل وحشي لا يمكن تبريره، فهل يعقل أن من يقوم بهذا العمل أو يأمر به من الصحابة العدول ؟ وهل يعقل أن يدخله الله الجنة ؟ نعم بالتقليد يقبل كل غريب ولكن وفق قواعد الشرع الحنيف فإنه غير مقبول. ومن هنا فإن واقع الحال وما جرى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ينقض نقضا كاملا نظرية كل الصحابة عدول لأن ما جرى يناقضها. وما وجدت هذه النظرية أصلا إلا لغايات سياسية، كما سنثبت ذلك ولتغطية الخروج على الشرعية ولتبرير توسيد الأمر لغير أهله والله غالب على أمره ثم تناقل الناس هذه النظرية تقليدا كتناقل الأرياء.

4 – نظرية عدالة الصحابة تتعارض مع روح الإسلام العامة

ومع حسن الخاتمة ومع الغاية من الحياة نفسها فالله سبحانه وتعالى ما خلق الموت والحياة، وما خلق الأرض وما عليها إلا ليمتحن خلقه أيهم أحسن عملا، بدليل قوله تعالى:

* (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) * (سورة الكهف) * (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) * (سورة الملك).

فالحياة وجدت لتكون ميدان اختبار للمكلفين، وكل ما في الحياة عنصر من عناصر عملية الاختبار، وتبدأ عملية الاختبار بالتكليف المرتبط بالعقل والتمييز وتنتهي بالموت. فإذا كان كل الصحابة عدول لا يجوز عليهم كلهم الكذب ومحكوم بنواهتهم، وأنهم جميعا من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار، فهم خارجون تماما عن عملية الابتلاء ولا داعي لامتحانهم، وهذا يناقض الغاية من حياتهم إذ في ذلك إيقاف لعملية الابتلاء الإلهية.

ثم إنها تناقض روح الإسلام العامة لأن الإنسان في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فقدر المسلم أن يكون ملتزما بأوامر الله حتى يتوفاه الله، وأي خلل بهذا الالتزام يخرجه من دائرة الإسلام ويجر عليه غضب الله بحجم هذا الخلل، والعبرة دائما بحسن الخاتمة. فلو أن مسلما التزم بأوامر الله

طوال حياته وقبل أن يموت بيوم واحد كفر بالله، لما أغنى عنه التزامه السابق شيئا.

والرسول بفضل الله عليه على علم بما سيحدث بعده، لذلك خاطب جميع المؤمنين في حجة الوداع قائلا: " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض ". والخطاب موجه للصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي.

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي قال: " إنكم تحشرون حفاة عراة، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ".

وروى مسلم هذا الحديث بلفظ " ليردن علي ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا من دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ؟ ".

وروى البخاري عن النبي قال: " بينما أنا قائم، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت: أين ؟ قال: إلى النار والله، قلت:

وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم – أي القليل ".

وفي رواية أخرى أن النبي قال: " يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيملأون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ".

وأخرج عن سهل بن سعد قال: قال النبي: " ليوردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم ". قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: " فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي ".

وأخرج من حديث ابن عباس جاء فيه: "وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ".

وأخرج أبو يعقوب في مسند عمر مثل ذلك.

وأخرج البخاري في باب غزوة الحديبية عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال:

" لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثناه بعده).

وأخرج عن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " أنا فرطكم على الحوض وليرفض رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال:

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ".

قال البخاري تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأخرج عن أسماء بنت أبي بكر: " إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك ؟والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ".

قال البخاري فكان ابن مليكة يقول: " اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونفتن عن ديننا ".

هذا بعض ما نقلناه من البخاري ومسلم وفي غيرهما كثير أعرضنا عنه خشية التطويل [1].

تحليل هذه النماذج من النصوص

ثبت من أحاديث رسول الله التي سقناها قبل قليل أن قسما من الصحابة سيبدلون من بعده وسيرتدون على أعقابهم وسيؤمر بهم إلى النار. ومن أخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم، وهما في نظر المقلدين يأتيان بعد القرآن في الصحة والاعتبار،

(1) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ص 100 وما فوق. وراجع مسند الإمام أحمد ج 5 ص 50 و ج 1 ص 235.

فكيف نوحد بين قولهم بأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار وبين هذه النصوص النبوية القاطعة والمتواترة والتي يؤيدها واقع الحال ؟

وطالما أنه لا يمكن التوحيد بين المزاعم والنصوص، فإن نظرية عدالة كل الصحابة منقوضة من أساسها، لأنها تتعارض مع الغاية من الحياة وهي الابتلاء، وتتعارض مع روح الإسلام التي ترتبط الحياة القويمة بالعمل الصالح واستمرار التواصي بالحق والصبر عليه وتتوج كل ذلك بحسن الخاتمة.

تهافت نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم كما جاء في شرح النهج للمعتزلي: " إن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم. وقد صيغت بأسلوب يجعل من كل صحابي قدوة صالحة لأهل الأرض وتصب على كل من سب أحدا منهم أو اتهمه بسوء كما جاء فيما رووه عن أنس بن مالك: (من سب أحدا من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن عابهم أو انتقصهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه). وقد جاءت بهذا الأسلوب ولم تفرق بين صحابي وصحابي ".

عرض

ولي الله بالنص، وأخو رسول الله بالنص، وعميد آل البيت بالنص، وباب مدينة العلم اللدني بالنص هو على الأقل صحابي يحمل هذا اللقب كما يحمله غيره، فما حكم من يسبه ويفرض سب علي والانتقاص منه في جميع المقاطعات التي كانت تخضع

لحكم معاوية ؟ وما حكم الذين أطاعوا معاوية بسببه ؟ هل يشملهم هذا الحديث الآنف ؟ وعند ما نصحه بعض خلصائه للتوقف عن سب علي وشيعته قال:

والله لا أدع سبه وشتمه حتى يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير. وقد بذل للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن الآية * (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها

ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) * نزلت في علي بن أبي طالب. وأن الآية * (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) * نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل عليا عليه السلام. فما لهذه النظرية تفرق بين صحابي وصحابي وتطبق على أناس ولا تطبق على الآخرين ؟ ولا عاقل في الدنيا ينفي أن شتم علي وآله قد فرضته الدولة على كل رعاياها وأنهم قد شاركوا الدولة هذا الإثم رهبة أو رغبة.

دور الصحابة في التسنن والتشريع

في عهد الصحابة والطبقة الأولى من التابعين كان دور الصحابة منحصرا على نقل أقوال الرسول وأفعاله، وكانوا يلاحقون الرواة للتأكد من صدقهم وبعضهم يستحلفه وأكثرهم يتجنب مرويات البعض لأن البعض كانوا يكذبون على رسول الله وورة عمر بن الخطاب كانت لهم بالمرصاد.

فبعد أن كانت السنة لا تتعدى أقوال الرسول وأفعاله عند متقدمي الصحابة أصبحت في العصور التي تعددت فيها المذاهب، وتوزعت في العواصم وبقية الأقطار أصبحت هذه السنة تتسع لرأي الصحابي وفتواه، فإذا لم يجدوا نصا على حكم الواقعة في كتاب الله وسنة الرسول أصبحت آراء الصحابة في أحكام الحوادث التي كانت تعرض عليهم المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله.

ولعل أئمة المذاهب الثلاثة وعلماءهم: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصبا من الشوافع كما يبدو ذلك من تصريحاتهم ومجاميعهم الفقهية. ومع أن أبا حنيفة كان متحمسا للقياس ورواه من أفضل المصادر بعد كتاب الله فقد كان يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد. وجاء عنه أنه كان يقول: إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين.

وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم، أن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: 1 – النص. 2 – فتوى الصحابة. وأن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى

تخصيص الكتاب بعمل الصحابي لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلا على التخصيص وقوله بمنزلة عمله [1] . وما أبعد ما بين هؤلاء أهل السنة وبين أهل الشيعة القائلين بعدم جواز الاعتماد على السنة في مقام التشريع إلا إذا تأيدت بآية من القرآن لأن فيه تبيان لكل شئ، وقد نزل بلغة العرب، وبأسلوب يفهمه كل عربي، وذلك لأن السنة رواها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحيانا ويعمل كل منهم بما يوحيه إليه اجتهاده، وقد تراشقوا بأسوء التهم واستحل بعضهم دم بعض [2] .

ومهما كان الحال فأقوال الصحابة وآرؤهم واجتهاداتهم من أبرز أصول التشريع عند الجمهور بعد كتاب الله، وفي الوقت ذاته يخصصون بها عموماته ويقيدون بها مطلقاته وكأنها وحي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن المعلوم أن هذا الغلو في تقديس الصحابة الذي لا يختلف عن العصمة في شئ ويتسع للمنافقين وللمشركين الذين أرغموا على التظاهر بالإسلام.

وهذا الغلو في تقديس الصحابة قد تحول في الفترة التي ظهرت فيها المذاهب الفقهية لمحاربة التشيع لأئمة أهل البيت في فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم التي تجسد الإسلام في جميع مراحله وفصوله كما ورثوه عن جدهم عليه السلام (علي) وهو مدينة العلم.

وكان الأئمة عليهم السلام يقولون: " إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه "، كما كان الإمام الصادق يقول: " حديثي حديث أبي. وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث

---

(1) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة ص 304 وراجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 87 وما فوق فقد لخصنا ما ذكره في هذا المجال الإيماني لموافقته للصواب.

(2)راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي ص 217 وراجع المرجع السابق.

رسول الله، وحديث رسول الله قول الله " [1] .

---

(1) لقد اقتطفنا هذا الموضوع من كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي، فارجع إليه ص 87 وما فوق وغايتنا وضع الحقيقة الشرعية أمام طلابها.

الفصل الرابع:

نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة

1 – موالاة الشيعة للصحابة

يقول السيد مرتضى الرضوي: الشيعة يوالون أصحاب محمد (عليه وآله الصلاة والسلام) الذين أبلوا البلاء الحسن في

نصرة الدين وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم.

واتهام الشيعة بسب الصحابة وتكفيرهم أجمع هو اتهام بالباطل، ورجم بالغيب وخضوع للعصبية، وتسليم للنزعة الطائفية، وجري وراء الأوهام والأباطيل.

2 – من هم الصحابة عند الشيعة

الصحبة تشمل كل من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أو رآه أو سمع منه، فهي تشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبر والفاجر... فالصحبة ليست بمجردها عاصمة تلبس صاحبها إيراد العدالة، وإنما تختلف منازلهم وتتفاوت درجاتهم بالأعمال. ولنا في كتاب الله وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفاية عن التحمل في الاستدلال على ما نقول، والآثار شاهدة على ما نذهب إليه من شمول الصحبة وأن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ورسخت أقدامهم في العقيدة، وجرى الإيمان في عروقهم، وأخلصوا لله فكانوا بأعلى درجة من الكمال. وقد وصفهم الله عز وجل بقوله تعالى: * (أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج

شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) *.

وهم المؤمنون * (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) * – (سورة الحجرات). وقد أمر الله باتباعهم والاقتداء بهم بقوله: * (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) * (سورة التوبة).

هؤلاء هم أصحاب محمد العدول عند الشيعة.

الشيعة تناقش أعمال ذوي الشذوذ من الصحابة بحرية فكر وتزن كل واحد منهم بميزان عمله فلا يرادون من حاد الله ورسوله ويتبوأون ممن اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله. وهم بهذا الأسلوب لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة.

3 – نقطة الخلاف الجوهرية

أهل السنة يقولون بعدالة كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي. وأهل الشيعة يقولون بعدالة المتصف بالعدالة من الصحابة فقط.

4 – دعاء الشيعة لأصحاب محمد

إن الدعاء الذي تردده الشيعة لأصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) لدليل قاطع على حسن ولاء الشيعة للصحابة وإخلاص المودة لهم. فهم يدعون الله لأتباع الرسل عامة ولأصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة بما ورثوه من أئمتهم الطاهرين.

5 – أشهر أدعية الشيعة

ومن أشهر أدعية الشيعة للصحابة دعاء زين العابدين عليه السلام في صحيفته المعروفة بالسجادية.

6 – النص الحرفي للدعاء الذي تدعو به الشيعة للصحابة

" اللهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب، والاستباق إلى الموسلين بحقائق الإيمان، في كل دهر وزمان أرسلت فيه رسولا، وأقمت لأهله دليلا من لدن آدم إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أئمة الهدى وقادة أهل التقى على جميعهم السلام، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان. اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منظومين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ولرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم. اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين * (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) * خير جزائك الذين قصدهم سمتهم وتحروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم لم يثنهم ريب في نصرتهم ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم، مكاتفين ومؤازرين لهم يدينون بدينهم ويهتدون بهديهم ينفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم، اللهم صل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين وعلى أزواجهم وعلى ذرياتهم وعلى من أطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك وتفسح لهم في رياض جنتك، وتمنعهم بها من كيد الشيطان، وتعينهم بها على ما استعانوك عليه من بر وتقيهم طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير، وتبعثهم بها على اعتقاد حسن الرجاء بك، والطمع في ما عندك وترك التهمة في ما تحويه أيدي العباد لتردهم إلى الرغبة إليك والرهبة منك وتزهدهم في سعة العاجل وتحبب إليهم العمل الآجل والاستعداد لما بعد الموت وتهون عليهم كل كرب يحل بهم يوم خروج الأنفس من أبدانها، وتعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها وكبة النار وطول الخلود فيها وتصير لهم إلى

أمن من مقيل المتقين " [1].

---

(1) الصحيفة السجادية الإمام علي بن الحسين عليه السلام ص 43 - 45.

الفصل الخامس:

بذور للتفكر في نظرية عدالة الصحابة

ابن عباس يصف الصحابة لمعاوية:

سأل معاوية ابن عباس عن عدة أمور، ثم سأله عن الصحابة فقال ابن عباس:

يا معاوية إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمدا بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال:

* (رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) * [1].

قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وزال رؤوسه، ومحا معالمه، وصارت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة أولياء وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

(1) الفتح آية 29.

فقطع عليه معاوية الكلام وقال: يا ابن عباس حدثنا في غير هذا [1].

شهادة ووصية الصحابي حذيفة بن اليمان

كان حذيفة عليلا بالكوفة سنة 36 هـ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة. فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال: " أيها الناس إن الناس قد بايعوا عليا، فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا وآزروه، فوالله إنه لعلى الحق آخرا وأولا، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة. ثم أطبق بيمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد أني قد بايعت عليا ".

قال لابنيه صفوان وسعد: احملاني وكونا معه فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا معه فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل، ومات حذيفة رضي الله عنه بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما، ونفذ [2]

الولدان البلران وصية أبيهما واستشهدا يوم صفين وهما يقاتلان إلى جانب علي (عليه السلام) .

الزبير وحسن الخاتمة

خرج علي بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله لا سلاح معه، فنادى: يا زبير أخرج علي، فخرج إليه الزبير شاكا في سلاحه، فقيل ذلك لعائشة فقالت: واثكلك يا أسماء، فقيل لها: إن عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال علي: ويحك يا زبير ما الذي أخرجك، قال: دم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، أتذكر يوم لقيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إلي رسول الله وضحكت إليه وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه، فقال لك: ليس به زهو أتحبه يا زبير ؟ فقلت: إني

---

(1) مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 65 - 66 و ص 425 - 426.

(2) مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 65 – 66 و ص 425 – 426.

والله لاحبه فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت ظالم له، فقال الزبير: أستغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت، فقال له: يا زبير ارجع، فقال الزبير: كيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ؟ هذا والله العار الذي لا يقبل. فقال علي: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول:

أخذت علا على نار مؤججة * ما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله * عار لعمرك في الدنيا وفي الدين [1]

والخلاصة أنه انسحب من التجمع الآثم ولقيه عمرو بن جرموز فقتله.

طلحة وحسن الخاتمة

نادى علي طلحة حين رجع الزبير، وقال له: يا أبا محمد، ما الذي أخرجك ؟ فقال: الطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، يا طلحة أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه "، وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل:

* (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) * فقال طلحة: (أستغفر الله ثم رجع).

الحليف يقتل حليفه

قال مروان بن الحكم بن العاص: رجع الزبير ورجع طلحة، ما أبالي رميت ههنا أم ههنا، فرماه في أكحله فقتله. وهو يجود بنفسه قال طلحة:

ندمت ما ندمت وضل حلمي * ولهفي ثم لهف أبي وأمي

ندمت ندامة الكسعي لما * طلبت رضى بني جرم نزعمي

جرحه عبد الملك في جبهته ورماه مروان بن الحكم في أكحله.

(1) مروج الذهب ج 2 ص 400 - 402.

نهاية الصحابي عمار بن ياسر

قال عمار بن ياسر: إني لأرى وجوه قوم لا تزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل. وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضع فاستسقى، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعسل فيه لبن فدفعه إليه فقال: الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة، صدق الصادق وبذلك أخبرني الناطق وهو اليوم الذي وعدنا فيه – وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبره بأن الفئة الباغية ستقتله وسيكون آخر طعامه... – وقال عمار: أيها الناس هل من رائح إلى الجنة تحت العوالي، والذي نفسي بيده لنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله، وتقدم وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي واختلفوا في سلبه فاحتكما إلى الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص.

حجة معاوية

لقد تمرد معاوية على الإمام الشرعي طالبا من الإمام معاقبة قتلة عثمان، قال له الإمام: إدخل في الطاعة وحاكم القوم إلي أحكم بالعدل. ولكن معاوية أبى أن يدخل في الطاعة واتخذ من قتل عثمان جسرا يعبر منه إلى الملك. ونجح معاوية وتوج ملكا على المسلمين ودانت له الرقاب رغبة ورهبة.

معاوية يعاقب قتلة عثمان

قدم معاوية إلى المدينة فدخل دار عثمان. فقالت عائشة ابنة عثمان: أبتاه وبكت، فقال معاوية: يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل إنسان سيفه، وهو

يرى مكان أنصاره، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا تدري أعلينا تكون أم لنا، ولئن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عرض المسلمين [1].

رأي الحسن البصري في معاوية

روى الطوي أن الحسن كان يقول: أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعاؤه زيادا، وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجرا وأصحابه ويل له من حجر وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه [2].

تتويج مفاخر معاوية

لم يكتف هذا الصحابي (العادل) بما فعل، إنما لعن الإمام علي وهو ولي الله لتقتدي به الأمة وتلعن الإمام كما لعنه [3].

وأصدر أوامره لرعيته بأن يسبوا عليا بن أبي طالب عليه السلام [4].

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ ج 3 ص 300 وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 182.

(2) راجع كتاب الطوي من حوادث سنة 51 وابن الأثير ص 202 – 209 وابن عساكر ج 2 ص 379 والشيخ محمود أبو رية ص 184 – 185.

(3) العقد الفريد لابن عبدربه ج 4 ص 366 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 356 و ج 3 ص 258 و ج 4 ص 56.

(4) راجع صحيح مسلم ج 2 ص 360 وصحيح الترمذي ج 5 ص 301 – 380 وراجع المستدرك للحاكم ج 3 ص 109 وراجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 1 ص 206 – 271 و 272 وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي ص 48 وراجع نعم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 107 وراجع كتاب الطالب للكنجي الشافعي ص 84 – 86 وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص 59 وراجع أسد الغابة لابن الأثير ج 1 ص 134 و ج 4 ص 25 – 26 وراجع الإصابة لابن حجر العسقلاني الشافعي ج 2

عمال معاوية يسبون عليا

وابتغاء لمرضاة معاوية كان عماله يسبون عليا عليه السلام [1].

ص 509 وراجع الغدير للعلامة الأميني ج 1 ص 257 و ج 3 ص 300 وراجع العقد الفريد ج 4 ص 29 وراجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص 82 و 92 وراجع شرح النهج ج 1 ص 256 و 361 وراجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص 63 وراجع المراجعات للعاملي وملحقها للسيد حسين راضي.

(1) راجع تاريخ الطوي ج 5 ص 167 – 168 وراجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 413 وراجع المستدرك للحاكم ج 1 ص 385 و ج 2 ص 358 وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 356 و 361 وراجع تاريخ الخلفاء

للسيوطي ص 190 وراجع العقد الفريد ج 4 ص 365 ،، وراجع القدير للأميني ج 1 ص 264 عن إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني الشافعي ج 4 ص 368 وراجع تحفة الباري في شرح البخاري للأنصاري مطوع بذيل إرشاد الساري وراجع المراجعات للإمام العاملي وملحقها لحسين راضي ص 218.

الفصل السادس

طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب

المدخل الموضوعي

الأكثرية الساحقة من أصحاب السير والمؤرخين قالوا: إنه قبل أن تبدأ معركة بدر، وهي أول مواجهة مسلحة بين الإيمان والشرك، اصطف جيش الشرك بقيادة أبي جهل استعدادا للمعركة، واصطف جيش الإيمان بقيادة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ورفع أبو جهل يديه إلى السماء ودعا الله قائلا: " اللهم أبعدنا منك، وأقطعنا للرحم فأحنه من هذه الغداة... الخ ".

وفي الوقت نفسه كان محمد يرفع يديه إلى السماء داعيا ربه: " اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم في الأرض، اللهم أنجزني ما وعدتني...

الخ ".

تدقيق في الدعاءين: كلاهما يرفع يديه إلى السماء....

كلاهما يقول اللهم....

كلاهما يرفع شعار حق. فأبو جهل يزعم أنه الأتقى وأنه إلى الله الأوصل رحما.. ومحمد يؤكد أن من اتبعه هم حماة الحق وهم رمز الصلة المثلى بين الخالق والمخلوق ويصوح أن بينه وبين الله عهود ووعود.

تساؤل:

طالما أنهما على حق، فلماذا يتقاتلان ؟ وطالما أنهما معا على طريق الله، فلماذا يصل هذا الخلاف إلى درجة التقاتل، خاصة أن الطريق إلى الله واحدة، وأن طريق الحق طريق واحدة وهي صراط الله المستقيم.

احتمالات:

وفق معايير البحث الموضوعي المجرد، أمامنا ثلاثة احتمالات أو تصورات وهي:

1 – كلاهما محق، وهذا غير وارد لأنه لا يوجد للحق إلا طريق يقيني واحد وهو صراط الله المستقيم، وكنتيجة لوحدة المنطلق يجب أن يتبع أحدهما الآخر.

2 – أحدهما محق والآخر مبطل وهذا ولد.

3 – كلاهما مبطل وهذا غير ولد بالنسبة لنبي يملك البرهان والمعجزة.

سر الحل:

للوقوف على الحقيقة المجردة، لا بد من:

1 – معرفة الحق.

2 – معرفة الباطل.

3 – معرفة المحق بوسائل الحق نفسه.

4 – معرفة المبطل بوسائل وموازين الحق نفسه.

الطريق إلى ذلك:

1 – وجود حق ووجود منظومة حقوقية لهذا الحق، والحق هو الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير) والنصوص الواردة بالقرآن والسنة مجتمعة هي المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها من صنع الله وبوحيه.

2 – العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية الإلهية.

3 – التجرد والموضوعية: بحيث يكون هدف المسلم أن يكون ضمن إطار الشرعية، وأن يحقق نفس غاية المقصود الشرعي من النص ومن الروح العامة للمنظومة الحقوقية.

4 – وجود شخص سواء أكان نبيا أم إماما شرعيا تطرح أمامه ثمرات الاستيعاب العقلي ويكون قوله الفصل عند اختلاف الاجتهادات، وهو بمثابة منسق الطاقات ومرشد الحريات والموجه الحق للجماعة التي تريد الحق وتسعى إليه. هذا الشخص هو النبي في زمن النبوة، وهو الولي والإمام الصالح المعين وفق الشرع بعد انتهاء عصر النبوة. وهذا الشخص هو الميزان الموضوعي بين الحق والباطل. فالذين يوالون محمدا ويطيعون أوامره ويتبعون توجيهاته هم على الحق. والذين لا يوالون محمدا ويوالون غيره هم على الباطل حتى ولو تلوا القرآن الكريم وحفظوه عن ظهر قلب، ولو صلوا وصاموا وبنوا المساجد هم على الباطل لأن الولاية والموالاة هي الميزان الثابت لمعرفة المحق من المبطل في كل زمان.

عوائق على طريق الحل

1 – الهوى، وهو الرغبة بأن تسير الأمور وتفسر النصوص حسب ما تهوى الأنفس.

2 – التقليد الأعمى، بحيث يتبنى الإنسان آراء بينه وبينها مدة طويلة ويرفض إجراء أي تعديل أو تبديل عليها.

3 – الاستبداد بالرأي، بحيث يعتقد كل مقلد أن رأيه هو الحق المبين، وأن من يخالفه الرأي هو من أنصار الشيطان،

فيضيق به ويقاومه ويعتوه العدو اللدود.

4 – إلغاء الولاية الشوعية أو استبدالها ولاية ليست شوعية، وذلك بأن يوالي المسلم غير الولاية التي أراد الله فيوالي الغالب أو غيره.

القول الفصل في عدالة الصحابة

استذكار وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعة

رأينا أن الصحبة لغة واصطلاحا تعني كل الذين لقوا النبي وآمنوا به أو تظاهروا بهذا الإيمان وماتوا وهم على هذا الإيمان أو التظاهر به، وأن أهل السنة قد أجمعوا على أن كل هؤلاء عدول بلا استثناء، ورأينا أن نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص الواردة في السنة المطهرة القولية والفعلية والتقريرية، وتتعارض مع النصوص الشوعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم، بل وتتعارض مع الغاية من الحياة، ومع منطق الأشياء والروح العامة للإسلام. وقد أثبتنا هذا التعارض، وحرصنا على سوق الأمثلة والتبسيط، وتبين لنا أن الصحابة شوعا وبالضرورة قسمان:

1 – الصادقون: وهم عدول بإجماع كل المسلمين من شيعة وسنة، ولا خلاف بينهما في هذه الناحية.

2 – غيرهم: وهم موضع الخلاف. فبينما يرى أهل السنة أن كل الصحابة بلا استثناء عدول لا فرق بين أول من أسلم وبين صبي رأى النبي أو رآه النبي من حيث وصف العدالة، فالكل عدول ولا يجوز التعرض لهم لا من قريب ولا من بعيد بأي وسيلة تؤدي إلى نقدهم أو إلى الانتقاص من أي واحد منهم، ومن يفعل ذلك فهو زنديق أثيم لا تجوز مواكلته أو مشاربته ولا الصلاة عليه. بينما يرى أهل الشيعة أن العدل من عدله الله وعدله رسول الله. والحقيقة الشريعة المجردة هي ضالة المؤمن. وقد بين الشرع الحنيف وسائل استكشاف هذه الحقيقة، ورشد حركة المسلم في هذا الاستكشاف وأعطاه الملكات العقلية التي تساعده على ذلك وتحقق غايته إن تجرد من الهوى، فإذا كان سيد الخلق محمد بشرا يصيب ويخطئ – كما يقولون – فما الذي يمنع طفلا رأى النبي أو رآه النبي من أن يخطئ أو أن يكذب ؟ وأين هو الحكم الشرعي الذي يحجر على العقل البشري ويمنعه من أن يتحرى الحقيقة عند هذا أو ذاك. فهناك من قتل الصحابة، وهناك من سرق، وهناك من كذب، وهناك من زنى، وهنالك من أحيل للقضاء بعد انتقال

الرسول إلى الرفيق الأعلى. فكيف نتحرى الحقائق ؟ وكيف يقام العدل ؟ وكيف تستفيد الأمة من تجارب الماضي فتتجنب الخطأ وتنهج منهج الصواب ؟ ومن هنا فإن الشيعة ترى وتؤمن بعدالة الصادقين من الصحابة وتدعو لهم في كل صلاة، أما غيرهم من الصحابة، فالذي يعدله هو دينه وعمله بالموازين الشرعية. وهم يرون أن عدالة كل ؟ لصحابة بالمعنى الذي يطرحه أهل السنة هي نظرية سياسية تماما نشأت في رعاية حكم الطلقاء، أو تحت إشرافهم تكونت كل مقوماتها.

وبوسائل إعلام دولة الطلقاء رسخت قواعد هذه النظرية ثم تلقفتها الأجيال اللاحقة تقليدا وبنواع مختلفة وبنوايا مختلفة.

وتقول الشيعة: أما العقوبة التي خصصها بعض الفقهاء تأييدا لنظرية عدالة كل الصحابة فهي عقوبة بغير نص ولا يملك أحد أن يعاقب مسلما بغير نص شرعي.

وأن العقوبة هي ظلم وهي باطلة بكل الموازين الشرعية وتؤدي بالنتيجة إلى تكريس حالة انقسام الأمة ومنعها من الاستفادة من دروس الماضي وعبره، والتفكر في مآلات الأشياء وكيف آلت إلى ما آلت إليه، وبالتالي إيجاد العوائق بطريق استشراف المستقبل وتوحيد الأمة على نور وعلى بصيرة.

خلط الأوراق

لو كان الصحابة كلهم عدولا لما حدثت الفتنة، ولو كان الصحابة كلهم عدولا لما تفرقت الأمة، ولو كان الصحابة كلهم عدولا لما قتل الصحابي صحابيا مثله، لأن العادل لا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولو كان الصحابة كلهم عدولا لما وسد الأمر لغير أهله ولما أصبحت الخلافة ملكا وغنيمة يأخذها الغالب.

والقول بعدالة كل الصحابة خلط للأوراق، وتعمية للناس وحجر على عقولهم، لأن من يقتتلون لا يمكن أن يكونوا جميعا على الحق، لأن الحق ضد القتل وضد الفتنة ويمنع الفرقة ويمنع من توسيد الأمر لغير أهله.

فنأتي الآن وبعد مضي ألف سنة لنقول تلك أمة قد خلت ولنبدأ من جديد دون أن نعرف من هو المحق ومن هو الذي اتبع الحق حتى نقتفي أثره. ومن هو المبطل ومن الذي اتبع هواه حتى نتجنب مسالكه، ومعنى ذلك أننا نهمل الاستفادة من تجربة

دامت ألف عام ونيف، ونبدأ بالحياة من الصفر كأننا بلا تجارب. هذا هو الخلط، وقد كان بهذا الخلط مصلحة لهذا الحكم أو ذاك أو التستر على هذا الشخص أو ذاك. فما هي مصلحتنا الآن بهذا الخلط وهذا التستر ؟ وما هي مصلحتنا بإلغاء تجربة ألف وثلاثمائة وتسعين عاما، خاصة وأن هذا الخلط وهذا التستر وهذا الالغاء يتم على حساب الدين الحنيف وينفذ تحت شعار مصلحة الإسلام.

واقعة للإستكشاف الشرعي

قامت جموع غاضبة فقتلت بعد تردد طويل الخليفة الثالث عثمان بن عفان زعم أنه قد انحرف عن سيرة صاحبيه الصديق والفاروق، فبايع أهل المدينة عليا عليه السلام وتبعهم أهل الأمصار باستثناء أهل الشام ووليهم معاوية بن أبي سفيان الذي لم يبايع لأنه حسب قوله يريد معاقبة قتلة عثمان. فقال له الخليفة: ادخل في الطاعة وسأقضي بالحق للجميع، فرفض معاوية وتحصن في ولايته، وأخذ يكيد للإمام ويعلن خروجه عليه وينوع قواعد استقرار الدولة ويهيئ الأمة للانقسام، مستغلا أموال ولايته وصرفا لها بغير الوجوه الشرعية المخصصة لها، ومازال يكيد حتى انقسمت الأمة حقيقة وسالت الدماء، ثم قتل الإمام، واغتصب معاوية أمر الأمة بالقوة وتأمر عليها وفيها السابقون من الصحابة الذين قاتلوه وقاتلوا أباه على الإسلام،

ونسي معاقبة قتلة عثمان أو تناساهم، وأوصى أن يكون الملك من بعده لابنه يزيد، وهو سكير خمير صاحب قردة وطنابير على حد تعبير الحسن البصري، ومن ذلك التاريخ صارت رئاسة الدولة غنيمة يختص بها من غلب. وبما أن القديم على قدمه، فقد صارت الغلبة وسيلة شرعية (نحن مع من غلب).

عدالة كل الصحابة

الذين وقفوا مع علي، والذين وقفوا مع معاوية كلهم صحابة وكلهم عدول ولا يدخل أحد منهم النار، وكلهم في الجنة وكلهم مجتهد وكلهم لم يخطئ، ومن عابهم أو عاب أيا منهم فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه حسب إجماع أهل السنة. امدحهم جميعا كما يحلو لك فهم أهل لهذا المدح ولكن إن قلت إن واحدا منهم أخطأ فأنت زنديق... الخ. هذا التفكير الأعمى أصبح سنة حقيقية،

وصورت هذه السنة كأنها إرادة الله وإرادة رسوله.

التكييفات المنطقية

وفق معايير المنهج العلمي للبحث فإن أمامنا ثلاثة تصورات أو احتمالات:

1 – كلهم محق (علي عليه السلام ومن معه، ومعاوية ومن معه) وهذا غير وارد لأنه يوجد للحق طريق يقيني واحد.

2 – كلهم مبطل (علي عليه السلام ومن معه ومعاوية ومن معه) وهذا غير وارد لأن عليا ولي الله بالنص، ولأنه مع الحق والحق معه، يدور حيث دار بالنص الشرعي أيضا كما سنبين فيما بعد.

3 – أحدهما محق والآخر مبطل.

تساؤل:

لو كانوا جميعا على الحق لما قاتلوا، ولما اختلفوا، وإن اختلفوا فإن الاختلاف لن يصل إلى درجة التقاتل، إنما سيحل بالوسائل الشرعية سلميا. وبالتالي فلن يقتل مئات الآلاف الذين قتلوا.

استخلاص:

إذن بالضرورة أحدهما محق والآخر مبطل، أحدهما على الحق والآخر على الباطل والقول بأنهم جميعا عدول ولا يجوز عليهم الخطأ طيبة تصل إلى درجة السذاجة والغفلة، لأن القتل لا يتم إلا باليقين الشرعي، والقتل العمد جريمة، وتفويق الأمة جريمة والخروج على الشرعية جريمة... ومن يمارس القتل بالظنون أو استنادا إلى مصلحة أو هوى لا يمكن أن يكون عادلا، وبالتالي يجوز عليه الكذب والخطأ والمعصية. والإطار العام للصحبة لا يمنعه من ذلك، لأن الصحبة ليست نبوة.

كيف نعرف العدول من الصحابة من غير العدول في هذه الواقعة كمثال للتبسيط ؟

1 – وجود حق ووجود منظومة حقوقية لهذا الحق تغطي مساحة الأفعال والنوايا.

والحق موجود والمنظومة الحقوقية موجودة وهي الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير) وهي مجتمعة تشكل المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، إنها دين الله التي ارتضاها لعباده وهي من صنعه ووحيه.

2 – وجود إمام شرعي يسمع كل الآراء ويكون قوله الفصل عند اختلاف الاجتهادات، وهو مرشد الحريات ومنسق الطاقات وموجه الجماعة إلى الحق، وهو الولي.

وكان النبي هو الولي وعين عليا وليا فقال: (إنه وليكم بعدي، إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ". تلك حقيقة لا يوجد في الدنيا كلها من يجرؤ على إنكارها، حتى معاوية نفسه. وسأقوم بتوثيق هذه الحقيقة فيما بعد.

3 – التجرد والموضوعية، بحق الوقائع بموضوعية وتجرد بحيث يكون هدف المسلم هو عين هدف الله.

4 – العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية وتكييفها على الوقائع وعرض ثمرة هذه العملية على الولي.

الموالاة كمفتاح للعدالة

علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هو أول من أسلم بأرجح الأقوال، وهو ولي الله وأخو رسوله ووالد سبطيه، وزوج البتول وقائد العمليات العسكرية ضد الشرك، وهو فارس الإسلام بغير منازع وقاتل أعدائه، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم بالنص الشرعي، كما سأثبت ذلك، وهو ابن أبي طالب حامي النبي قبل

الهجرة وعميد البيت الهاشمي الذي حاصرته كل قبائل العرب مجتمعة ثلاث سنين في شعاب أبي طالب لغاية واحدة وهي أن يسلم الهاشميون النبي أو يخلوا بينه وبين قريش.

أما معاوية، فهو الطليق ابن الطليق، ابن أبي سفيان، قاد الأحزاب ومن حارب النبي في كل المواقع ومن حاول أن يقتل النبي ومن قاد ضده موجة العداء وجيش الجيوش لمحاربته، وهو ابن هند التي رتبت عملية الغدر بحمزة، ولم تكتف بقتله إنما شقت بطنه وشوهت بجثمانه الطاهر، وقاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال حتى دخل النبي مكة فاتحا وأحيط به وبأبيه ولم يجدا مفرا من إعلان إسلامهما، وهو من المؤلفة قلوبهم، كان يعطى من الصدقات.

الصحابة العدول

كل الذين وقفوا مع علي ووالوه هم صحابة عدول، وهم بفضل الله ومنته الأكثرية الساحقة من صحابة النبي، ومن عارضه منهم كالزبير وطلحة ندما ولم يموتا حتى دخلا في طاعته بالرضى. ويكفي الإسلام شرفا أنه لم يقف مع معاوية من الأنصار

إلا اثنان لا ثالث لهما، ولو كان أبو بكر حيا لوقف معه، ولو كان عمر حيا لوقف معه وهو القائل: إنه مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، اللهم ارض عنهم وارضهم عنا وعن الإسلام ما هم أهله.

أما الذين وقفوا مع معاوية ووالده، فهم موضوع البحث وبالوسائل الشرعية وهم أقلة الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي، ومن أجلهم اخترعت نظرية (كل الصحابة عدول) لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية عليه، كما سنبين.

نماذج من غفلة أهل الشام والعراق

قال المسعودي: وذكر بعض الإخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: ابن من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر ؟ فقال: أراه لصا من لصوص الفتن.

وحكى الجاحظ قال: سمعت رجلا من العامة وهو حاج، وقد ذكر له البيت

يقول: إذا أتيته من يكلمني ؟وأنه أخبر صديقا له أنه قال لهرجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد (صلى الله عليه وآله) ما تقول في محمد ؟ أربنا هو ؟

وذكر ثمامة بن أشوس قال: كنت مرا في السوق ببغداد، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون، فتولت عن بغلتي وقلت: لشئ ما هذا الاجتماع، ودخلت بين الناس فإذا برجل يصف كحلا معه أنه ينجح من كل داء يصيب العين، فنظرت فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكة، فقلت له: يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك. فقال لي: يا جاهل أهاهنا اشتكت عيناي ؟ إنما اشتكتا بمصر فقال كلهم: صدق. وذكر أنه ما انفلت من نعالهم إلا بعد كد.

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم قال: كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلي ومعاوية، ونذكر ما يذكره أهل العلم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لي ذات يوم أحدهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية: كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان ؟ قلت: ما تقول أنت في ذلك ؟ قال: من تريد ؟

قلت: علي ما تقول فيه ؟ قال: أليس هو أبو فاطمة ؟ قلت: ومن كانت فاطمة ؟

قال: امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية. قلت: فما كانت قصة علي ؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي [1].

هؤلاء الذين أطاعوا معاوية

وقد بلغ من أمرهم في طاعته أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص أن عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير [2].

هل هذا هو أسلوب الصحابة العدول ببيان الحقيقة ؟ فالذي قتل عمار بن ياسر هو علي بن أبي طالب!!وهذا هو أسلوب العدول بتفقيه الناس بأمور دينهم وتعريفهم

(1) لقد نقلت هذه الروايات حرفيا عن مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 39 - 41.

(2) نقلت هذا المقطع حرفيا عن مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 39.

على صحابة محمد الأجلاء الذين قام الإسلام على أكتافهم!!!.

الباب الثاني

الفصل الأول

الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الجذر القبلي: عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

أ – بطون قريش

تتكون قريش من خمسة وعشرين بطنا [1]. وأشرف هذه البطون على الاطلاق وأفضلها بالنص الشرعي بنو هاشم بن عبد مناف [2]، ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف، وبنو الحارث بن عبد مناف، وبنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبنو نوفل بن عبد مناف، وهم سادة قريش، فقد سادوا بعد أبيهم ويقال لهم: المجبرون، وهم أول من أخذ العصم لقريش فانتشروا من الحرم. فقد أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام، وأخذ عبد شمس حبلا من النجاشي، وأخذ نوفل حبلا من الأكاسرة، وأخذ عبد المطلب حبلا من حمير، فاختلفت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم، وكان يقال لهم: أقداح النضار لفخرهم وسيادتهم على العرب [3].

ب – الصيغة السياسية

توصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف فيما بينها – المناصب السياسية – من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة... الخ،

(1) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 291.

(2) راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 3 – 4 لعلي برهان الدين الحلبي وراجع الجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصيف مجلد 3 ص 419 وما فوق وراجع الخطبة 185 ص 156 ج 2 من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(3) راجع الطبقات ج 1 ص 75 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 93.

والأسهم السياسية المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه، ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الاطلاق، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب. فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن

بتغيير هذه الصيغة لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته.

فقد يفقد ما حققه، ثم إن الأمور قد استقامت ونظمت أمور ولاية البيت الحرام، فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثرا مأثورا مما تركه الأولون، ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان.

ج – محاولات لزعزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم، يطعم الناس ويشبعهم، وقيل له: أبو البطحاء وسيد البطحاء، ولم تزل مائدته منصوبة في السواء والضواء، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف [1]. فخشي أمية بن عبد شمس منه وحسده، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم، فعجز عن ذلك، فعيرته قريش فدعا هاشما للمنافرة فأبى، ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين، فقضى الحكم بأن هاشما أشرف من أمية، فنحرت النوق وجلا أمية إلى الشام، فكانت هذه بؤرة العداء الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي. ولعل الذي دفع أمية هو الحسد لهاشم والخشية من أن يشكل هاشم خطرا على هذه الصيغة لأن القيادة بيد بني عبد شمس، وبروز نجم مثل هاشم قد يزعزع الصيغة كلها ويستخف الناس [2].

د – إشاعة النبوة

أشيع في مكة أن نبيا سيبعث، وأنه سيكون من سلالة عبد مناف، وممن استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت. وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية، وسيأخذ منه

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 2 ص 180 والسيرة الجلية ج 1 ص 5 والطبقات لابن سعد ج 1 ص 76.

(2) راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 15 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 170 – 172.

القيادة. وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار ولكنه اطمأن بعد عذاب ومعاناة، فالشائعة تقول: إن النبي من بني عبد مناف ولا يوجد – حسب رأيه – من هو جدير بالنبوة سواه [1]، فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب.

هـ – إعلان النبوة

أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والجنس البشري عامة، وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله. واتبعه نفر قليل ممن عرفوا بالحصافة وبعد النظر ومن أولئك الذين مستهم البشرية مسا أليما.

و – احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمدا بكل قوة، وهددت زعامة قريش بقتل محمد، وأشيع أنه قتل، فجمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة وسار مع الهاشميين والمطلبيين ونادى: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به ؟

قالوا: لا، فأخبر الخبر وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفانى وإياكم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكسارا أبو جهل [2].

ز – حفاظا على الصيغة السياسية وحسدا لا حبا بالأصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمدا وبكل أساليب المقاومة، ولم ينثن، وأمام إصرار ورفض بني هاشم لفكرة تسليمه اتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي:

1 – مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، فقاطعتهم قريش كلها بما فيهم بني عدي وبني تميم وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين واضطروهم أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، واضطر أطفالهم أن يمصوا الرمان من العطش. تلك حقيقة

(1) السيرة الحلبية ج 1 ص 80.

(2) راجع الطبقات لابن سعد ج 1 ص 202 – 203.

كالشمس لا يجادل بها أحد. ولم يركع محمد، ولم يركع الهاشميون، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتها وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنين.

2 – عندما سمعت قريش أن محمدا سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكن من إيجاد قاعدة له قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمدا، فاختاروا من كل قبيلة رجلا حتى يضربه هؤلاء الرجال ضربة واحدة فيضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف.

وفي اللحظة التي أجمعوا بها أمرهم دخلوا فوجدوا علي بن أبي طالب نائما في فراشه. وجن جنون القيادة المكية وخصصت الجوائز لمن يقبض عليه حيا أو ميتا.

وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله. وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل [1].

ح – حروب من أجل الصيغة السياسية وحسدا لا حبا بالأصنام

لم تيأس بطون قريش وقيادتها الأموية من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم، ولم ييأس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته. وانقسم العرب أثلاثا قسم مع قريش وقيادتها المشركة، وقسم قليل مع محمد، والقسم الثالث تربص ليتبع الغالب. واشتعلت الحروب في بدر وأحد، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب، وزحفت إلى المدينة المنورة عاصمة النبي، وفشلت الأحزاب وفوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك، وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام. وبركوعها ركع كل العرب ودانت الجزيرة لدولة النبي وأخذ العرب يدخلون في دين الله

أفواجا.

ط – النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش وزعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي

(1) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية ج 1 ص 80 و ج 1 ص 332.

بكل أصناف الرفض وألوانه، وقاومت بكل فنون المقاومة، لا وفاء للأصنام، ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي، وتكره أن تكون للهاشميين القيادة، وأن تهتز الصيغة السياسية، وأخيرا فوجئ أبو سفيان بجند الله قرب مكة، ويوقفه العباس فيرى جند الله، فيدخل الرعب في قلبه وينتزع منه فتيل المقاومة ويفصح قائد الحزب عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول: مارأيت ملكا مثل هذا، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر [1]. ويوجه العباس إلى محمد (ص) فيقول: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ فيقول أبو سفيان:

لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئا. قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟. قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شئ. صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه. ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: ليت شعري بأي شئ غلبني ؟ فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان، فقال له الرسول: غلبتك بالله [2].

وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه، ولا علاقة لها باختيارها، ولو كان لها أي دور بهذا الاختيار لما قبلت أبدا أن يكون النبي من بني هاشم، والنبوة ظاهرة لن تتكرر، وأنه لن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم فقد سبقوا تماما، وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهترت ونسفت تماما وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفا هاشميا للجمع بين النبوة والملك وحيازة الشرف كله.

أكثر البطون اندفاعا لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجمعة على أن النبوة الهاشمية قد هزت هزا عنيفا الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية. وكل

(1) السيرة الحلبية ج 3 ص 79 وما فوق وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(2) السيرة الحلبية ج 3 ص 79 وما فوق وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناء بني المطلب بن عبد مناف حيث وقفوا مع الهاشميين. لكن أكثر البطون رفضا واندفاعا لوقف الزحف الهاشمي والحيلولة بين جمع الهاشميين الملك والنبوة هم بنو أمية وذلك لعدة أسباب:

1 – ماض طويل من الشحناء والعداوة والحسد لبني هاشم حتى قبل الإسلام.

2 – بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة.

3 – الهاشميون قتلوا سادات بني أمية فعتبة والوليد وشيبة قتلهم حمزة وعلي وعبيد الله، فالأمويون لا يكرهون الهاشميين فحسب بل يحقدون عليهم. وهند أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد. فهي لم تكتف بقتل حمزة، إنما مثلت بجثمانه الطاهر. ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام وتأخر الأمويين عن دخوله، وذكريات باعهم الطويلة في محاربته، فإنه يتعذر عليهم الجهر والمناداة علنا بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك.

ي – التيار الغلاب

لقد تحولت مقولة لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك إلى تيار غلاب ولكنه ساكن ومستقر في النفوس وملجوم بوجوده (صلى الله عليه وآله) وبالشرعية وبوحدة الصحابة الصادقين تحت قيادته. فلو فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فستهتز الشرعية، وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود – على حد تعبير معاوية – وسيأخذ الأمر من يغلب.

ك – القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بني ساعدة احتجوا بما يلي:

قال أبو بكر: " نحن عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنتم وزراؤه، ووزراؤنا في الدين " وقال عمر: " لا يجتمع سيفان في غمد واحد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته

إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة " [1].

قالت الأنصار كلها: لا نبايع إلا عليا، وعلي غائب. قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا [2].

وسريعا، أبرم الأمر للصديق رضي الله عنه ودعي علي لمبايعة أبي بكر فقال علي: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله) وتأخذونه منا غصبا أهل البيت ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الأمرة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا..... الخ.

ل – الانقلاب وانفلات التيار الغلاب

وعمر على فواش الموت يتفكر بمستقبل أمة محمد، ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة قال: " لو أدركت أبا عبيدة باقيا استخلفته ووليته، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة وليته..... "

وسالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب، ومعاذ من الأنصار ويوم السقيفة لم يكن جائزا تولية الأنصار، وخالد من بني مخزوم ومن الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة حيث هاجر في الفترة الواقعة بين صلح الحديبية وفتح مكة.

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد " (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت:

إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتحط عني الغضب

---

(1) راجع الإمامة والسياسية ص 6 - 7 - 8.

(2) تاريخ الطبري ج 3 ص 198 وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص 266.

تكلمت، قال: تكلم. قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت لأنفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهية فقال: * (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) *. فقال عمر: هيهات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقا فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كان باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه. فقال عمر:

بلغني أنك تقول: صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدا فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون. فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لا يزول. قال: فقلت يا أمير المؤمنين مهلا لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [1].

والواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه " مروج الذهب "والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهما، تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وانفلات التيار الغلاب الذي كان ساكنا في النفوس وملجوما أثناء حياته (صلى الله عليه وآله) وقبل أن تتأسس دولة الخلافة الراشدة. وسأورد النص الحرفي لهذه الواقعة.

النص الحرفي للقصة

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير

قليل، وقدرجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شئ وأعياني ذلك فمارأيك في العمل ؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: وما تريد إلى ذلك ؟ قال ابن عباس: أريده، فإن كان شيئا أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئا

(1) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 3 ص 107 أخرجه الإمام أحمد أبو الفضل بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد راجع مجلد 2 ص 97 من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 141

من مثله علمت أني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك فإني قلمارأيتك طلبت شيئا إلا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس، إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم، إني رأيت رسول الله استعمل الناس وتركك. قال: والله قدرأيت من ذلك فلم ترني فعل ذلك ؟

قال عمر: والله ما أدري أضمن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أم خشي أن تبايعوا بمقولتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب، وقد فرغت لك من ذلك فمارأيك ؟ قال ابن عباس: أرى ألا أعمل لك. قال: ولم ؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أرح قذى في عينك، قال: فأشر علي. قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك [1].

من فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس، ولن يحكموا أمة محمد.

وبالإجمال تحولت هذه المقولة إلى تيار غلاب أفصح عن ذاته وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة وآمنت بها الأكثرية الساحقة على اعتبار أن هذه المقولة هي الوسيلة المثلى لمنع الاجحاف الهاشمي وإنصاف البطون القريشية لتتداول الخلافة في ما بينها كرد على النبوة الهاشمية أو كتعويض لها عن الإختصاص الهاشمي بالنبوة وأخرا على اعتبار أن هذه المقولة مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها، على حد تعبير الفاروق.

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة، وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها وتولية ابنه يزيد قائدا على جيش الشام وتعيين ابنه الثاني معاوية قائدا من قواد يزيد ثم خلافته لأخيه يزيد كوال على الشام بعد وفاته، كل هذا كون حلفا حقيقيا بين السلطة وبين الطلقاء لهم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة، وبهذا التحالف قطع دابر المعارضة وحجمت وتم تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معا.

(1) الإمامة والسياسة ص 15.

وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيبها من امتيازات الشرف التي كانت مخصصة لها بموجب الصيغة السياسية التي سادت مكة قبل الإسلام، وعزلت تماما وحجمت. أنظر إلى قول الفاروق مخاطبا العباس وبني هاشم: " أي والله وأخرى إنا لم نأتكم حاجة منا إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم ". وبلغت الاستهانة

بهم حدا أنه حتى عبد الله بن الزبير هم بأن يحرق بيوت الهاشميين على من فيها لولا أن تدخل أهل الخير.

ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشميين في شعاب أبي طالب ثلاث سنين وأرسلت مندوبها للاشتراك بقتل النبي هي أسعد حظا من الهاشميين، والوفد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي. فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس وحرام على أي هاشمي من الناحية العملية، كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين النبوة والخلافة، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟.

م – التكييف الشرعي لمقولة لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة

هذه مقولة جاهلية من كل الوجوه، وتتعارض معارضة تامة مع النصوص الشرعية ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية. فداود النبي، ورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معا، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب، ولم يعترض عليهم أحد لأن الفصل بيد الله والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى دنيوي والخليفة قائم مقام النبي، ومن مهام النبوة البيان والحكم وعملية البيان والحكم عملية فنية تماما واختصاصا.

ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية للنظام السياسي الإسلامي يتبين له بأقل جهد ممكن، أن هذه المقولة نسفت نسفا تاما النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفرغته تماما من مضمونه وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعي لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل (سياسيا) بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعمة يأكلها الغالب والغالب وحده، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي

(أو حصيرته) ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة، فإن غلب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط به فأسلم رغبة أو رهبة فإنه يتأمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه. ويصبح ولي الله المخصص شرعا لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه، يتكلم الجاهل، ويسكت العالم، يتقدم المحاصر – بالكسر – ويتأخر المحاصر – بالفتح – كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة أو بتعبير أدق من أجل العودة عمليا إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام، ولكن بثوبها الجديد. فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها من هذه المناصب، وبتطبيق المقولة أصبحت القبائل تتداول رئاسة الدولة وبنفس الوقت تتشارك بالشرف والمناصب أثناء عملية التداول، أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر، فهي لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة.

ن – النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة

النتيجة الأولى: زوال الفوارق نهائيا بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا، وبين أولئك الذين

قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان. فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا أو ذاك فكلهم مسلم وكلهم في الجنة، فالهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماما مثل أي شخص كان على الشرك واشترك بالحصار، ألم يسلم ذلك الشخص ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله ؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماما كوحشي من الناحية العملية السياسية، فالقاتل كالمقتول تماما، والمهاجر كالطليق، والجاهل كالعالم ولو غلب الجاهل لكان لزاما على العالم أن يطيعه سياسيا، وأن يتبعه وينقاد إليه، بل على العكس، فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلي بن أبي طالب، وكان هنالك أنصاري بدرجته أو أقل علما منه فالأنصاري العالم مقدم على الهاشمي. أنظر

إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول: لو أدركت معاذ بن جبل لوليته، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته. خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة، وعلي قاتل مع الإسلام في كل مواقعه، ومع هذا فالأولى هو خالد. حتى أن الفاروق لو أدرك سالم مولى أبي حذيفة وهو من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب مع أن عليا هو مولى عمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الفاروق وإقراره.

النتيجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها

طالما أنه لا فرق بين المهاجر والطليق، ولا بين القاتل والمقتول، ولا بين المحاصر – بالفتح – والمحاصر – بالكسر – ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ووجود مفاهيم متعددة وقناعات متعددة وكل فريق يزعم أنه على الحق. ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين، وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال زاوية كذا... الخ. ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع. بهذا الجو زرعت بذرة الخلاف ونمت بأرض خصبة. فلو قال علي (عليه السلام) كلاما وقال واحد من الطلقاء كلاما آخر فالذي يزن القولين هو السامع، لأنه عمليا لا فرق بين علي وأي طليق، فكلاهما في الجنة وكلاهما مسلم فهم صحابة، أي لا يقرون عمليا بأي ترجيح شرعي لقول علي، فكيف يرجح بين المتساوين وكيف يفرق بين المتعادلين تماما ؟ فهذه قطعة ذهبية تتساوى حجما وشكلا ومقدارا وقيمة مع قطعة أخرى فخذ ما شئت وإياك والتمييز. فالوفاق الحاصل وفاق ظاهري وتحت هذا الظاهر ينمو الخلاف ويشب ثم يتحول إلى سرطان عاجلا أم آجلا، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من إطار الشرعية إلى الغامض والمجهول.

النتيجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي

بمعنى أنه لا شئ على الاطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية شريطة أن يتمكن من الوصول إليها والاستحواذ عليها، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأنهم اختصوا

بالنبوة، والنبوة تكفيهم.

هذا الحق حول الطمع برئاسة الدولة إلى كابوس بغيض وإلى آلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها، وحولتها إلى حقل تجارب لكل الطامعين بالرئاسة، وعطلت نظامها السياسي الشرعي.

أما من أي قبيلة هذا الرئيس ؟ ما هو علمه ؟ ما هو دينه ؟ ما هي سابقته ؟ من الذين سيحكمهم ؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العمليةولا يعول عليها لأن الغالب غالب والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته.

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية وهو المشهور بعهره وفجوره من أن يكون رئيسا للدولة الإسلامية لأنه ابن معاوية الرئيس، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنة بالنص وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص، فما الذي يمنعه من أن يكون أحدرعايا يزيد وأحد الذين يتأمر عليهم ؟ فكلاهما مسلم وكلاهما في الجنة. يزيد القاتل المجرم في الجنة والحسين الإمام المقتول في الجنة فكلاهما صحابة!!! ومن ينقد هذا الرأي فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه.

النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل والخير بالشر والعلقم بالشهد، وأصبح المتأخر كالمتقدم واللاحق كالسابق والمجاهد كالقاعد والقاتل كالمقتول والمحاصر كالمحاصر. ومن وقف مع الإسلام تماما مثل من وقف ضده، ومن قاتل الإسلام تماما كمن قاتل معه. لقد دخل الجميع بدين الله وشاهد النبي أو شاهدوه، فكلهم صحابة وكلهم في الجنة.

وضاع الصادقون وتوقوا في الأمصار وأصبحوا – على حد تعبير معاوية – كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود، وانهار النظام السياسي الإسلامي وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرون، ولله عاقبة الأمور.

الفصل الثاني

الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة

النظام السياسي الإسلامي

أ – اختلاف الواقع عن المثال

النظام السياسي الذي تم تطبيقه في التاريخ السياسي الإسلامي بدءا من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، يختلف تماما عن النظام السياسي الإسلامي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على عبده محمد ليسوس المسلمين في كل الأزمان.

ومع الاصرار على الوجود المؤكد لهذا الاختلاف فلا بد من التوضيح بأن حجم هذا الاختلاف متفاوت من شخص إلى شخص ومن عهد إلى عهد. ومن نافلة القول أن نؤكد بأن هذا الاختلاف لا يخفى على ذي بصيرة لو تركنا التقليد الأعمى، لأنه لو طبق النظام السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول بالشكل والمضمون الالهيين لما:

1 – انهارت دولة الإسلام. 2 – ولما حدثت تلك الفتن والمذابح. 3 – ولما تفوقت الأمة الإسلامية. 4 – ولما توقف المد الإسلامي المبارك عند هذا الحد ولعم الإسلام العالم كله، فغير تغييرا جذريا مجرى التاريخ البشري.

في كتاب " تجربة في التاريخ العام " يقول الفيلسوف الإنجليزي ولز، وهو أحد أبرز مفكري العصر الحديث: " لو أن الإسلام سار سيرته الأولى ولم تنشب الفتن لفتح العالم أجمع " [1]. وعلماء العالم الغربي يعتقدون – وهذا مبلغهم من العلم – أن

(1) راجع كتاب شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص 173

نظام الخلافة هو عينه النظام السياسي الإسلامي، وهو عينه الذي يطالبون بإعادة تطبيقه، مع أن النظام السياسي الإسلامي تكون بصورته النهائية وطبق في زمن النبي (ص) قبل أن يتكون نظام الخلافة، لأن الخلافة تعني خلافة النبي. فإذا كان النظام السياسي الإسلامي هو نظام الخلافة، فما هو النظام الذي طبقه النبي ؟ إن النظام الذي طبقه النبي هو النظام السياسي الإسلامي الإلهي السابق لنظام الخلافة والذي طبق بحذافيره قبل أن يعرف نظام الخلافة، وهو الأصل وهو المثال، وما سواه فروع وأشكال تتمدد وتتكيف بحسب قربها أو بعدها من الأصل والمثال.

ب – النظام السياسي الإسلامي

هو النظام الذي طبقه النبي إبان الدعوة على علاقته بتابعيه، ثم طبقه في عصره الراشد بعد أن تحولت الدعوة إلى دولة وخلال رئاسته المباركة للدولة والتي استمرت عشر سنين.

وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى أكمل الله الدين وأتم النعمة وبين كل شئ – كل شئ – على الاطلاق. وباستقرائه تجد أنه نظام إلهي معد ومصاغ ليكون النظام العالمي الأمثل لعالم أمثل، لأنه النظام الإلهي بصورته المثلى وبصياغته الأخيرة والنهائية

ج – أركان النظام السياسي الإسلامي

يقوم النظام السياسي الإسلامي على أربعة أركان متصلة مع بعضها اتصالا عضويا يتعذر الفصل بينها. وإذا وقع الفصل بينها يفقد النظام صفته الإسلامية بحجم مقدار هذا الفصل، وعاجلا أم آجلا سيتداعى النظام، لأن هذه الأركان هي التي تميزه عن غيره وتكاملها هو وحده الذي يعطي الثمرة المرجوة من تطبيق هذا النظام.

الركن الأول: القيادة السياسية

القيادة السياسية في العقائد الإلهية عامة ومنها الإسلام تعين، أو إن شئت فقل: (توشح) من قبل الله مباشرة، كما حدث لداود وسليمان ومحمد. فالله

سبحانه هو نفسه الذي اختارهم أنبياء ورؤساء لدول الإيمان، وتبلغوا القرار الإلهي بالذات أو غير مباشر كاختياره تعالى لطالوت ليكون القائد السياسي لبني إسرائيل، فقام نبي بني إسرائيل بإخبار الإسرائيليين بأن الله قد اختار لكم طالوت ملكا، فاحتج الإسرائيليون فزعموا أن طالوت غير جدير بالملك، فبين الله أنه أهل لذلك لأسباب كثيرة منها أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ثم إن الفضل بيد الله وهو الأعلم بمن هو جدير بهذا الفضل، وكاختياره تعالى لعلي بن أبي طالب ليكون وليا للأمة بعد وفاة وليها وتبليغه بهذا الاختيار بواسطة محمد على مرأى ومسمع من مئة ألف مسلم في حجة الوداع.

ما هي الغاية من التوشيح الإلهي للقيادة السياسية ؟

لأن هدف المحكومين المصفى من الغرض والشهوة هو أن يتولى قيادتهم الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين، وتلك أمور خافية عليهم ويتعذر وفق إمكانياتهم أن يجزموا جميعا بأن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين. فرحمة من الله تعالى بخلقه المؤمنين بين لهم بأن مرادهم هو فلان... إذا كانوا حقيقة صادقين بالبحث عن الأفضل والأعلم والأنسب، لأن القيادة عملية فنية واختصاص وهي في الغالب خلافة لنبوة، ومن مهام النبوة القدوة والتبليغ والبيان وسعة الصدر بالمحكومين، والقول الفصل، بحيث يلتقي فهمه تماما مع المقصود الإلهي من كل قاعدة من قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية.... وتلك أمور لا يمكن أن تترك لأهواء الناس المتباينة وأمزجتهم المختلفة.

وهذا الركن هو الفارق العملي الوحيد الذي يميز الأنظمة الوضعية عن النظام السياسي الإسلامي. فالأنظمة الوضعية تترك الأمر لأهواء الناس واجتهاداتهم لاختيار القيادة السياسية الأعلم والأفضل والأنسب على سبيل الفرض والتخمين لا على سبيل الجزم واليقين الذي يتحصل باتباع النمط الإلهي.

الركن الثاني: الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها

ما أنزل الله كتابا إلا على عبد،ولا خص البشرية بهداية إلا ومعها هادولا

أرسل رسالة إلا برسول. فالصلة عضوية بين الكتاب والهداية والرسالة من جهة وبين العبد والهادي والرسول من جهة أخرى. فلا بد من بيان الكتاب وتوضيح الهداية والرسالة وسياسة الاتباع بمقتضاها، ولتكون الفسحة الواقعة بين البداية والنتيجة محطة ترجمة ونقل للمضامين من النص إلى التطبيق، وبالتالي تجربة غنية تثري الرسالة والكتاب والهداية وتبين ما فيها ولو كان مجديا العكس لأرسل الله نسخا من كتبه السماوية لكل واحد من المكلفين، لكنها عملية فنية واختصاص. فمحمد بالذات هو الفني وهو المختص الأوحد ببيان الإسلام بيانا يقينا يتطابق مع المقصود الإلهي في كل نص من النصوص، وهو بالذات الأعلم

بالرسالة والكتاب والهداية، وهو أفضل أتباعها وهو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع سياسيا، وسياستهم وفق أحكامها ومن ينسبه النبي لخلافته بناء على أمر ربه هو بالذات المؤمل لإدامة هذه الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وبين قيادتها السياسية.

الركن الثالث: المنظومة الحقوقية الإلهية

الإمام أو القائد السياسي في النظام السياسي الإسلامي ليس حرا ليحكم برأيه إنما هو مقيد بالمنظومة الحقوقية الإلهية، بحيث يكون حكمه في أي أمر من الأمور متطابقا تماما مع الإرادة الإلهية بحيث يكون التكييف هو عين التكييف الإلهي والمضمون عين الحكم الإلهي، لأن المنظومة الحقوقية هي من صنع الله وهي بمثابة القانون النافذ الواجب تطبيقه على كل الداخلين في ولاية الإمام أو القيادة السياسية وهذه المنظومة الحقوقية ليست من صنع القائد ولا من صنع المحكومين إنما هي من صنع الله. وما يبدو لنا أنه من قول محمد ما هو في الحقيقة إلا ثمرة وحي إلهي وبيان لما أنزله الله. وهذا فارق آخر بين النظام السياسي الإسلامي وبين الأنظمة الوضعية.

فالأنظمة تسن بنفسها قوانينها وتلزم المحكومين على اتباعها، بينما في النظام الإسلامي الله هو الذي يضع المنظومة الحقوقية ويلزم الحاكم والمحكوم باتباعها تحت إشراف الله. فالذين ينفذون القوانين ليسوا عبيدا للحاكم إنما الحكام والمحكومين عبيد الله ينفذون أوامره ويخضعون له وحده ولا لسواه.

الركن الرابع: موافقة المحكومين ورضاهم

الشعب يبحث عن منظومة حقوقية مثلى تحدد له الأهداف العامة والخاصة، وتبين له وسائل بلوغ تلك الأهداف ويبحث عن قيادة سياسية تكون هي الأعلم بالمنظومة الحقوقية وهي الأفضل بين كل الموجودين وهي الأنسب لقيادته وهو حاضر بأمره. فجاءت العناية الإلهية لتنقذه من هذه الحيرة وتبين له أن المنظومة الحقوقية التي تحقق ما يريد هي الإسلام بقرآنه وسنة نبيه قوله وفعله وتقريره. أما القائد الأعلم بهذه المنظومة والأفضل من بين الموجودين والأنسب لقيادة الشعب فهو محمد، وبعد موته هو الذي ينسبه محمد بأمر من ربه، ثم الذي يليه ثم يليه... الخ.

فإن وافق الشعب على هذا التكييف الإلهي للمنظومة الحقوقية وللقيادة السياسية فقد اهتدى ودخل الخير من أوسع الأبواب بعد أن قبل بهذا التكييف الإلهي. وبالتالي يطبقون المنظومة ويوالون القيادة. وإن أبى فإن الله لن يجبره جبرا إلى الخير إنما يتركه ليجرب ويذوق وبال المعصية، وليحيا حياة ضنكا لأنه عبر عن رفضه للتكليف الإلهي بموالاته لقيادة سياسية غير القيادة التي أرادها ورشحها.

بساطة النظام السياسي الإسلامي

كيف تعرف أنك سائر على الدرب الإلهي ؟ من يوالي القيادة السياسية التي عينها الله تعالى هو مع الله. فالذين والوا محمدا

هم من حزب الله، والذين عادوا محمدا ووالوا غيره هم من حزب الشيطان حتى لو صلوا الليل كله وصاموا العمر كله، لأن الولاية والموالاة هي القول الفصل بعضوية الحزبين، كذلك من يوالي وليه من بعده أو يعاديه يتحدد موقعه بأحد الحزبين وبحجم هذه الموالاة سلبا كانت أم إيجابا.

لقد كانت الموالاة لمحمد هي الميزان الحق بين الصادق والكاذب. فقد بنى أناس المساجد وصلوا وأنفقوا واعتذروا عن عدم خروجهم مع الرسول، ولكنه تعالى وسمهم بالنفاق لأن ولاءهم لمحمد ليس صحيحا.

المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة

بعد مقتل الفاروق آلت الأمور إلى عثمان بن عفان، وهو بطبعه مولع بحب أقاربه. وبتولية عثمان بدأ بنو أمية يتزون حوله واحدا بعد الآخر، وبدأ هو بتجميعهم حتى أصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه، وأصبحت مقاليد الأمور عمليا بيد مروان بن الحكم. حتى أن مروان أمر بقتل محمد بن أبي بكر وطائفة من الصحابة دون أن يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة، وختم الأمر بخاتم الخليفة والخليفة لا يدري، وبتعبير علي عليه السلام صار عثمان سيفه بيد مروان يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبته الرسول [1].

وما أدراك ما مروان ؟ إنه طليق، ومن المؤلفة قلوبهم، وأبوه الحكم بن العاص كان محرما عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول (ص) وفي زمن أبي بكر وعمر. وعندما تولى عثمان أدخله معززا مكرما وأعطاه مائة ألف درهم. ومما ساعد حزب الطلقاء أيضا على تكوين دولتهم عبد الله بن أبي سرح والي مصر بكل خراتها.

وما أدراك ما عبد الله بن أبي سرح ؟ إنه الذي افترى على الله الكذب، وأباح الرسول دمه حتى ولو تعلق بأستار الكعبة – كما يروي صاحب السيرة الحلبية في باب فتح مكة – وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له، وسكت الرسول على أمل أن يقتل عبد الله خلال فترة سكوته، ولما لم يقتل أعطاه الأمان. والغرسة التي زرعت في زمن أبي بكر، وهي معاوية، ضربت جذورها في الأرض، فقد ضل واليا على الشام عشرين عاما يجمع كما يشاء عمليا ويعطي كما يشاء.

مروان الطليق، ومعاوية الطليق، و عبد الله بن أبي سرح الطليق، والوليد بن عقبة الطليق أيضا صلى الصبح أربعا ووالي الكوفة، كلهم على مدرسة أبي سفيان حتى أن أبا سفيان حاول أن يخرج عثمان من مدرسته فقال يوما لعثمان: روى الجوهري أنه لما بويع لعثمان قال أبو سفيان: كان الأمر في تيم وأنى لتيم هذا الأمر، ثم صارت لعدي فأبعد وأبعد، ثم رجعت لمنزلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف

(1) راجع تاريخ ابن الأثير وراجع تاريخ الطبري باب مقتل عثمان وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 175 وما فوق.

الكرة. وقال لعثمان يوما: بأبي أنت وأمي، أنفق ولا تكن كأبي حجر وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة، فوالله ما

من جنة ولا نار. وكان الزبير حاضرا فقال عثمان لأبي سفيان: اغرب، فقال أبو سفيان: يا بني أههنا أحد ؟ فقال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك [1].

وبإيجاز قال مروان بن الحكم عمليا وبحق – كما يروي ابن الأثير في تاريخه الجزء الثالث قبيل مقتل عثمان – شاهت الوجوه تريدون أن تسلبوا منا ملكنا، فقد أصبحت الخلافة في أواخر عهد عثمان ملكا أمويا، فلا تجد مصرا إلا ووالية أموي طليق أو موال لبني أمية. فأي خليفة سيأتي بعد عثمان إما أن يصبح أداة بيد الأمويين أو يدخل ليلا مظلما ويسير على أرض مليئة بالعثرات والألغام.

ونتيجة الفتوحات كثر عدد المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة كدولة، وقل عدد الصحابة الأجلاء الذين قامت الدولة المحمدية على أكتافهم، وأصبح الصحابة السابقون كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد، ومن حيث المصائب المتربصة بهم أصبحوا كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية – على حد تعبير الإمام شرف الدين العاملي – وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي، فقال معاوية مهددا قبل قتل عثمان: " ما أنتم في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الأبيض ".

كل الولايات أموية أو موالية لبني أمية، ومعاوية بن أبي سفيان قائد الأحزاب ورضيع هند بنت عتبة أصبح قطب الرحى. فهو والي الشام كلها، ومركز الدائرة، وهو الوصي على بني أمية، ومن أعطى نفسه الحق بالمطالبة بدم عثمان أو إن شئت فقل: رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن استمرار الملك الأموي، لأن القضية ليست قضية قتل عثمان، فهذا عمر قتل وسارت الأمور من بعده، إنها قضية الملك الأموي. هذا الملك الذي نشأ عمليا من الناحية الفعلية يوم ولى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان. وتوطد الأمر لمعاوية ولبني أمية وانقلب في آخر عهد عثمان إلى ملك

(1) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 307 و 326 و 327 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام.

حقيقي. وهذا معنى قول مروان: " شاهت الوجوه تريدون أن تسلبوا منا ملكنا ".

قتل عثمان ليس قضية، ومعاقبة القتلة ليس هو المحور، لأن معاوية أصبح الخليفة فيما بعد ولم يعاقب القتلة، القضية هي الملك، قتل الروح المؤمنة ليس بذي قيمة. ألم يصدر مروان بن الحكم أمرا بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه من الصحابة بدون جريرة وذنب ؟ أليس معاوية هو قاتل الحضرمي الذي كتب فيه ابن زياد أنه على دين علي ؟ أليس معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت العبادة وجهه ؟ أليس معاوية هو قاتل حجر بن عدي وأصحابه العابدين المخبتين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟ أو ليس معاوية هو الذي سلط ابن زياد يوعز فيما بعد بقتل عباد الله ويصلبهم في جذوع النخل. المهم عند معاوية الملك بالدرجة الأولى والانتقام من قاتل جده وخاله وابن خاله وأخيه.

وقد انتهز معاوية فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظاهرهم وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منهما إحداها، حتى إذا انتهت الحرب بهزيمة من أثاروها أشعل الحرب بينه وبين علي.... [1].

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه " معاوية في الميزان ": كانت لمعاوية حيلته التي كرها وأتقنها ووع فيها واستخدمها

مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم، ومنهم من كان من أهل بيته وذوي قرباه. كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خط على وفاق، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعينه على الايقاع بينهم [2].

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظا كبيرا من الحيلة والروية. فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزبا منابذا لغيره من رجال

---

(1) راجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص 174 - 175.

(2) راجع معاوية في الميزان لعباس محمود العقاد ص 64 و 66.

الدولة كافة لفعل، ولو حاسبه التاريخ الصحيح لما وصفه بغير مفوق الجماعات، ولكن العوة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمي عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة) لأنه فرق الأمة شيعا، فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الاتفاق، وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيعا شيعا بين ولاة العهود [1].

واستعمل معاوية بشر بن أرطأة وبعثه إلى المدينة وألقى الرعب في قلوب الصحابة وأذلهم [2].

وباختصار حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق والتفريق بين الناس، وشتمه أنصار رسول الله وأصحابه، واستغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاما ولايته على الشام لتوطيد سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية، ورتب معاوية عطاء اسمه عطاء البيعة (رزق البيعة) يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد.

تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية

لقد عصى معاوية الخليفة الشرعي مطالبا بمعاقبة قتلة عثمان، وخرجت عائشة أم المؤمنين للمطالبة بمعاقبة قتلة عثمان، وعندما استولى معاوية بالقوة على أمر المسلمين واغتصب رئاستهم، لم يعاقب قتلة عثمان ولم تخرج عليه أم المؤمنين ولم تطالبه بمعاقبة قتلة عثمان.

الصحوة من الغفلة

استقام الأمر لمعاوية وأصبح هو القائم مقام النبي، وهو خليفته على أمة محمد، مع أنه الطليق ابن الطليق، وقاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال، حتى أحيط بهما وبمن شايعهما، فأسلموا رغبة ورهبة.

(1) راجع نظام الحكم للقاسمي وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(2) راجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص 187 – 188.

كيف حدث هذا الانقلاب ؟ كيف هزم الحق ؟ كيف أصبح المتأخر متقدما والمتقدم متأخرا ؟ كيف أصبح الطليق أفضل من المهاجر ؟ كيف أصبح الذي حاصر الإسلام وأبناءه أفضل من الذي تحمل الحصار في سبيل الإسلام ؟ ومن عجيب أن العام الذي هزمت فيه الشرعية وانتصرت فيه القوة سمي ب " عام الجماعة "!!! وأسقط بيد الصادقين وعمهم شعور عميق بالندم والإحباط، وندموا ولات مندم، لكأنهم كانوا في غفلة ثم استفاقوا على أثر حلم مرعب، ولما فتحوا أعينهم وصحوا تبين لهم أن الحلم المرعب حقيقة.

نظريات في خدمة الواقع

انشغل الناس بتحليل ما جرى، وبرزت نظريات وأفكار ذهبت بأصحابها مذاهب شتى، كفكرة التصوف وفكرة الإرجاء

وفكرة الجبر ونظرية عدالة كل الصحابة، وكان الأمويون ومن والاهم وراء هذه النظريات والأفكار واعتبروها بمثابة أسلحة استغلوها بكفاءة عالية بما يخدم الملك الأموي، ويشتت جهد خصومه ويوقع بينهم، وبما يثبت دعائم الحكم الأموي ويبرر شرعيته.

الفصل الثالث

ما هي الغاية من ابتداع نظرية كل الصحابة عدول

1 – التبرير

1 – تبرير غصب السلطة: معاوية طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم، وقد وجد نفسه رئيسا لدولة الإسلام أو إن شئت فقل ملكا عليها، والقائم بأعمال خليفة النبي بل هو رسميا الخليفة لرسول الله. هذا غير معقول!!ولا يصدق! وبكل الموازين العقلية والشرعية الإلهية والوضعية، فأبوه هو رأس الأحزاب ومرجعية الشرك في كل معاركه ضد الإسلام. وقاوم أبو سفيان وبنوه ومن شايعهم الإسلام ونبيه بكل فنون المقاومة حتى أحيط بهم فأسلموا، ثم ها هو معاوية ابنه يتقدم على كل السابقين له والذين قام مجد الإسلام على أكتافهم.

لا بد من مبرر يبرر هذا الانقلاب، وأفضل وسيلة لتبريره هو القول بعدالة كل الصحابة، وبما أن معاوية وشيعته هم صحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي، وبما أن الصحابة كلهم عدول، وكلهم في الجنة، وأنه لن يدخل أحد منهم النار، وأن لا فرق بينهم لأنهم كلهم عدول وكلهم صحابة، فما الذي يمنع من أن يكون معاوية هو الخليفة وهو ولي أمر المسلمين. وما الذي يمنع شيعته وهم صحابة أيضا بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي من أن يكون بطانة لمعاوية طالما أنهم كلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ؟ فنظرية عدالة الصحابة بثوبها الفضفاض هي المبرر الأمثل لملك معاوية، والجبة الفضفاضة التي ألبست لنظرية عدالة الصحابة تدل على أن معاوية منظر حقيقي في فن الوقيعة والدهاء.

2 – تبرير أفعال معاوية وشيعته: لقد أتى معاوية وشيعته أعظم النكبات

بالإسلام والمسلمين، فبشر بن أرطأة ومسلم بن عقبة فعلا الأفاعيل التي ضجت منها السماء وأدمت القلوب حتى ولو كانت من صلخد جلمود. فقد قتل في وقعة الحرة كل البدريين ولم يبق بعدها بدري واحد، وقتل من قريش ومن الأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس من الموالي والعرب عشرة آلاف، ولا شئ يمنع من قتل الأطفال كما فعل بشر بن أرطأة بطفلي عبيد الله بن عباس. ناهيك عن معارك معاوية مع الإمام علي. ومن الكبر الأعظم الذي تولاه معاوية وشيعته عندما حاولوا إبادة آل محمد إبادة تامة وأساليبه الملتوية بالقتل، فقد سم معاوية الحسن (عليه السلام)، وسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد – كما ورد في

ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر – وسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – كما ورد في الاستيعاب أيضا، وسم مالك بن الأشتر، ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك إن لله جنودا من عسل... وفرق معاوية الناس وجعلهم شيعا. فلو حاولت أمة محمد أن تتفق لما استطاعت – كما يقول العقاد – وشوه الحكم الإسلامي. يقول الدكتور أحمد أمين: فالحق أن الحكم الأموي لم يكن حكما إسلاميا..... الخ.

كيف يمكن تبرير هذه الأفعال بغير نظرية عدالة كل الصحابة ؟ فطالما أن معاوية وشيعته من الصحابة، وطالما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة، فإن معاوية وشيعته لم يخطئوا، فلو كانوا على خطأ لما قال النبي (ص) (زعمهم) إن الصحابة كلهم في الجنة، والنبي صادق مصدق لا ينطق عن الهوى، وبالتالي فإن معاوية كصحابي مجتهد وهو مأجور، فإن قتل وهو على الحق فله أجران، وإن قتل وهو على غير حق فله أجر واحد، فمعاوية على الحق في حربه وسلمه، في هجومه ودفاعه، في أخذه وإعطائه، لماذا ؟ لأنه صحابي والصحابي من العدول.

2 – التحصن ضد النقد والسب والشتم والانتقاص

علاوة على أن نظرية عدالة الصحابة تبرر غصب معاوية للسلطة، وتبرر أفعاله وأفعال شيعته من بني أمية، فإنها أيضا تمنحه الحصانة ضد أي نقد ولو كان بناء، والحصانة ضد السب والشتم والانتقاص من قدره لأنه صحابي ومن العدول، ومن ينتقص أو يسب أو يشتم أي صحابي عادي، فكيف برئيس دولة ؟ من يفعل ذلك فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه – كما يروي الذهبي في ميزانه – وليس في

الدنيا خطة يمكن أن تحصن معاوية مثل نظرية عدالة كل الصحابة.

3 – مقارعة خصوم معاوية وشيعته

نظرية عدالة كل الصحابة تؤمن فوز معاوية في أي مقارعة بينه وبين خصومه أو تؤمن – على الأقل – المساواة بينه وبين هؤلاء الخصوم. فلو قال آل محمد إنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لانبرى معاوية وشيعته إلى الرد الفوري عليهم: نحن أصحاب محمد العدول لا يجوز علينا الكذب ولا يجوز علينا الخطأ لأننا في الجنة ولا يدخل أحد منا النار.

ولو قال آل محمد: من عادانا فقد عادى الله، لرد معاوية وشيعته: ونحن الصحابة أيضا قال النبي فينا: " من آذى صحابيا فقد آذاني "... الخ ويختلط الحق بالباطل والعاصي بالمطيع والمحسن بالمسئ....

4 – التفريق بين المسلمين

إذا تمكن معاوية وشيعته من تأصيل هذه النظرية بثوبها الفضفاض هذا وإشاعتها بين المسلمين، فستتبناها طائفة منهم

وستعارضها طائفة أخرى، وينشب الجدل أظافره في أفكار الطائفتين ويتعصب كل فريق لرأيه ويختلفان وتدون آراء كل طائفة ويتبناها اللاحقون بحكم التقليد وبحكم الدفاع عن الحق أو وجهات النظر. فالذين يؤيدون النظرية لم يقصدوا تأييد معاوية، إنما قصدوا تأييد الصحابة، والذين يعارضون النظرية لم يقصدوا معاداة الصحابة إنما قصدوا كشف الأحابيل والألاعيب السياسية الخافية على الفريق الآخر. لكن عمليا كل فريق وقف وجها لوجه ضد الفريق الآخر وشغلوا عن معاوية بينما معاوية هانئ يتفرج على المتصارعين، وهو مستعد ليكون حكما بينهم.

هذا هو الفن الذي أشار إليه العقاد في كتابه الرائع " معاوية في الميزان ".

نشوء نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه – وهو من أكابر المحدثين – أن أكثر الأحاديث

في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم. وقد صفت هذه الأحاديث بأسلوب يجعل من كل صحابي (بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي آنفي الذكر) قوة صالحة لأهل الأرض وتصب اللعنات على كل من سب أحدا منهم أو اتهمه بسوء [1]. وقد أجمع الباحثون على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله (ص) إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اتسع الاختراع واستفاض بعد مبايعة علي (عليه السلام)، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه ويجعلها أموية وتوالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين. غير أن بناء الجماعة قد انصدع وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت المذاهب في الخلافة، وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم كل ينصر رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل. وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل وغلا كل قبيل فافترق الناس. ولم يرزء الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه. فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين وأساء ظنون غيرهم في ما بني عليه الدين، وإن عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس بلاؤه في دولة بني أمية، فكثر الناقلون وقل الصادقون، وامتنع كثير من أجلاء الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه. [2]

وأشار الإمام محمد عبده إلى ما صنعه معاوية لنفسه بأن وضع قوما من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي (عليه السلام) تقضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا ورغب في مثله فاختلفوا على ما أرضاه، منهم أبو هريرة [3].

(1) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 85 للسيد مرتضى الرضوي.

2 – مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ص 7 – 8 وراجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص 201 – 203 (3) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ص 7 – 8 وراجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود

ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه " ضحى الإسلام ": " ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الأمويين فعلا قد وضعوا أو وضعت لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة " [1] وقد بذل معاوية للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن آية * (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) *... نزلت في علي بن أبي طالب. وأن الآية * (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) * نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل عليا (عليه السلام) [2].

رواة الأحاديث

أبو هريرة الدوسي، أحد أصحاب معاوية وشيعته، روى عن النبي خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا. روى منها البخاري أربعمائة وستة وأربعين حديثا، وأبو هريرة هذا لم تتجاوز صحبته للنبي سنة وبضعة أشهر، بينما كبار الصحابة الذين لازموا النبي من يوم بعثته إلى لحظة انتقاله للرفيق الأعلى لم يرووا عنه ما يزيد عن مائة حديث رواها البخاري، وهؤلاء الكبار هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي و عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وسلمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب. إن في ذلك لعبرة!!!.

فضائل معاوية

قال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وفيها تحقق على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث.

إن ابن الجوزي بعد أن أورد الأحاديث الواردة في معاوية في باب الموضوعات ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال: لم يصح في فضائل معاوية شئ..

---

(1) ضحى الإسلام ج 2 ص 123 أحمد أمين وراجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية ص 201 - 203 أبو رية.

(2) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ص 85 – 86.

وللنسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية. قال الدارقطني: خرج النسائي حاجا فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة، فقال: احملوني إلى مكة وتوفي بالرملة، وكان أصحابه في دمشق قد سألوه عن فضائل معاوية فقال: ألا يرضى رأسا برأس حتى يفضل ؟ فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المسجد [1].

رأي الشافعي في معاوية

روى أبو الفدا عن الشافعي أنه أسر إلى الربيع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص

والمغيرة وزياد [2] . وربما كان هذا هو السر الذي دفع ابن معين للقول عند ما سئل عن الشافعي قال: إنه ليس بثقة.

قول الحسن البصري

روى الطوي أن الحسن البصري كان يقول: أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة.

1 – انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزوها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

2 – استخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب الطنابير.

3 – ادعاؤه زياد وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) الولد للفراش وللعاهر الحجر.

4 – وقتل حجر وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه.

نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي

ومع أن كل الصحابة وفق هذه النظرية عدول، فيفترض أن يكون آل محمد

(1) راجع شيخ المضيرة أبو هريرة للأستاذ أبو رية ص 183.

(2) راجع تاريخ الطوي حوادث سنة 51 وابن الأثير ج 3 ص 202 – 209 وابن عساكر ج 2 ص 379 وشيخ المضيرة للأستاذ أبو رية ص 185.

بوصفهم صحابة عدول وأن يكف الأمويين عن الانتقاص منهم والإساءة إليهم.

إلا أن معاوية زعيم الفئة الباغية وقف من الإمام علي موقف أبي سفيان من النبي وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من علي. وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليا في صلواتهم وعلى منابرهم، ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي وأن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأن يسقطوا عطاءهم ورزقهم [1] .

يقول العقاد في كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان: وإذا لم يرجح من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن علي على المنابر بأمر من معاوية لكان فيه الكفاية لإثبات ما عداه ما يتم به الترجيح بين كفتي الميزان [2] .

(1) راجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية ص 180 وقد نقلها عن ابن عساكر ج 3 ص 407.

(2) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس محمود العقاد وراجع المرجع السابق.

الفصل الرابع

الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة

الذين أوجدوا نظرية عدالة كل الصحابة صاغوها ونظروها بصورة تضمن الحماية التامة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وتضفي على أحوالهم في الأزمان الثلاثة رداء الشرعية والمشروعية، وفصلوا لها من الأثواب ما يضمن حضورها الفعال في كل أمر من الأمور يمكن:

1 – أن يمسهم من قريب أو بعيد.

2 – أو يؤثر على قربهم أو بعدهم من الشرعية.

3 – أو يوصل ويجذر مواقع الخلاف في معسكر خصومهم.

4 – أو يفوق الخصوم في بحار من الشك والحيرة والاضطراب.

والمثير حقا أن النظرية ترمز عند عشاقها ومؤيديها اليوم لحبهم لمحمد ولأصحابه، وهم يتولون الدفاع عن هذا الرمز ويصارعون نيابة عن مخترعي هذه النظرية الذين وقفوا خارج الحلبة كأنهم لا علاقة لهم بما يجري.

أما الذين يطالبون بتعديل هذه النظرية فهم لا يقلون حبا لمحمد وأصحابه المخلصين عن أولئك المؤيدين لنظرية عدالة كل الصحابة، ولكنهم يطالبون باعتماد القواعد الشرعية والعقلية لترشيد هذا الحب ليبقى دائما في إطار الإسلام، وترك التقليد والتعصب الأعمى الذي يعطل العقل ونعمة الحوار الهادف الذي خص به الصفوة من عباده الصالحين.

المرجعية الفقهية

في فصل الجذور السياسية لنظرية عدالة الصحابة أثبتنا أن الأكثرية الساحقة من

الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم، كما روى ابن عرفة وهو من أكابر المحدثين، وتبين لنا أيضا أن الباحثين قد أجمعوا على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله، إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اتسع الاختراع واستفاض حتى مبايعة علي (عليه السلام)، فما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه وبأيلولة الأمر إلى بني أمية تشذب فن الاختراع ووضع الحديث، حتى جعلت الدولة الأموية لمن يتعاطون فن الاختراع ووضع الحديث جعلا ورغب في مثله – على حد تعبير الإمام محمد عبده [1].

هذه المرويات من المخترعات والموضوعات بقيت إلى جانب غيرها من مرويات عدول الصحابة مرجعا للجمهور على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم الفقهية في التشريع وغيره من الأمور [2].

1 – كل الصحابة مرجعية لأهل السنة

الذين اعتبروا كل الصحابة – بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي – عدولا، أخذوا كافة مروياتهم عن الصحابة الصادقين العدول بالإضافة إلى المرويات الأخرى والتي وضعت في زمن الفتنة وأخذت صورتها النهائية في العهد الأموي، ولم يفرقوا بين صحابي وصحابي لأنهم كلهم عدول، وكلهم في الجنة ومن المحال عقلا أن يتعمد الكذب رجل من أهل الجنة. فمرجعية هؤلاء هم الصحابة وقد غلب عليهم اسم أهل السنة، فأهل السنة هؤلاء عرفوا الدين وفهموه عن طريق الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي.

(1) تاريخ محمد عبده ج 2 ص 347 راجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 201 - 202.

(2) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ص 86.

والصحابة الذين نالوا حظوة في البلاط الأموي كانوا من أكثر الصحابة حديثا.

فقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند أبي عبد الرحمن بن مخلد الأندلسي قد احتوى من حديث أبي هريرة على (5374) حديثا، روى البخاري منها (446) حديثا.

وغني عن البيان أن أبا هريرة من أقرب المقربين إلى معاوية وأن مدة صحبة أبي هريرة للنبي لا تتجاوز السنة وبضعة أشهر. والخلاصة أن أي حديث يرويه أي صحابي بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي محترم ومصان، وهو جزء من الدين عند أهل السنة طالما ثبت أنه صحابي، لأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يجوز عليهم تعمد الكذب. وحتى يكون الراوية أهل للثقة يجب أن لا يكون متهما بالتشيع لعلي (عليه السلام) أو لأهل البيت، فإذا ثبت ذلك فهو ليس بثقة من حيث المبدأ.

قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه: هذا شيعي. قال شيعي وثقة!!!. ولم يعرف الجمهور بهذا الوصف (أهل السنة) قبل أواخر القرن الأول لأن التسنن من الأحداث الطارئة [1].

ما هو السند الشرعي لأهل السنة بمرجعيتهم للصحابة ؟

يقول أهل السنة: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد قال:

" أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتم اقتديتم " وفي رواية فأيهم أخذتم بقوله.....

يقول ابن تيمية شيخ الحنابلة، ويلقب عند الجمهور بشيخ الإسلام: وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه. –راجع ص 551 من كتاب حجة المنتقى للذهبي. وهذا الحديث باطل بالإجماع [2].

(1) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 92 وراجع أضواء على السنة المحمدية ص 341 - 344 و

ص 89.

(2) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 92 وراجع أضواء على السنة المحمدية ص 341 – 344 و ص 89.

2 – أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة

أهل السنة اتخذوا مرجعا فقهيا لهم الصحابة كلهم بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي في مقابل الشيعة الذين رجعوا إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وإلى ما رواه ثقات الصحابة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإضافة إلى كتاب الله في جميع ما جاء به الإسلام من أصول وفروع. وقد ورثوا فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم في جميع مراحله وفصوله عن جدهم أمير المؤمنين الذي وصفه رسول الله بأنه باب مدينة العلم (أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد المدينة فليأت الباب). وكان لهذه المرجعية ضوابط ثابتة، فقد كان الأئمة (عليهم السلام) يقولون: " إنا إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه ".

كما كان الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: " حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله " [1]

ما هو السند الشرعي لأهل الشيعة بمرجعيتهم لأئمة أهل البيت ؟

السند الشرعي هو النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة، وهي موضع اتفاق بين أهل السنة وأهل الشيعة. فأئمة أهل البيت الكرام هم من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [2] بالنص القرآني والقرآن هو الثقل الأكبر وهم الثقل الأصغر بالنص الشرعي، والهداية لا يمكن أن تترك إلا بالتمسك بالثقلين، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين [3] وهم لهذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، بالنص الشرعي

(1) آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن ص 89.

(2) راجع إلى آية التطهير واقرأ تفسيرها في تفسير فتح القدير للشوكاني وتفسير ابن كثير وتفسير الطبري وتفسير الخازن وأي تفسير ترغب به.

(3) راجع صحيح الترمذي ج 5 ص 328 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 232 وينابيع

أيضا [1]، وهم أمان لأمة محمد، من الاختلاف بالنص الشرعي أيضا [2] ونسوق بأدناه طائفة من الأدلة على كل نص ثم نوردها مجتمعة في باب الموازنة.

دور المرجعيتين

1 – دور المرجعية عند أهل السنة: قلنا إن مرجعية أهل السنة لفهم البيان القرآني هم الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي، كل الصحابة لا فرق بين واحد وآخر لأنهم كلهم عدول وكلهم في الجنة. وكانت رواياتهم في الدرجة الأولى لا تتعدى أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) وأفعاله عند المتقدمين. وعند ما تعددت المذاهب وتوزعت في الأمصار شملت الروايات أقوال الرسول وأفعاله وأقوال الصحابي وأفعاله، وأصبحت آراء الصحابة في الحوادث المصدر الثالث من مصادر التشريع: القرآن، السنة، رأي الصحابي. والمذاهب الثلاثة: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصبا لآراء الصحابة من الشوافع. ومع أن أبا حنيفة كان متحمسا للقياس، ويراه من أفضل المصادر بعد القرآن، إلا أنه كان يقدم رأي الصحابة عليه إذا تعارضت في مورد من الموارد. وقد جاء عن أبي حنيفة: " إن لم أجد نصا في كتاب الله ولا في سنة رسوله، أخذت بقول أصحابه، فإن اختلفت آراؤهم في حكم

المودة للقندوزي الحنفي ص 33 و 45 و 445 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 1 ص 153 وتفسير ابن كثير ج 4 ص 113 ومصابيح السنة للبغوي ص 206 وجامع الأصول لابن الأثير ص 137 ومشكاة المصابيح ج 3 ص 258 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 114 والفتح الكبير للنبهاني ج 1 ص 503 و ج 3 ص 385 والدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 7 و 306 والصواعق المحرقة ص 147 لابن حجر والمعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 135 ومنتخب تاريخ ابن عساكر ج 5 ص 436 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 104 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 194... الخ.

(1) تلخيص المستدرك للذهبي الصواعق المحرقة لابن حجر ص 184 و 234 وتاريخ الخلفاء للسيوطي وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص 109 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 235 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 378... الخ.

(2) راجع الصواعق المحرقة ص 91 و 140 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 114 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 93... الخ.

الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين [1].

وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: " إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص والثاني فتوى الصحابة، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص كتاب الله بعمل الصحابي، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلا على التخصيص وقوله بمنزلة عمله " [2].

فأنت تلاحظ أن أهل السنة قد أمعنوا بالغلو في تقديس الصحابة، هذا التقديس الذي لا يختلف عن العصمة في شئ [3].

وعندما انتشرت المذاهب الفقهية، استغل هذا الغلو المفرط في محاربة التشيع لأئمة أهل البيت [4] وأقوال الصحابة تعامل كأنها وحي من السماء فيخصصون بها عموم الكتاب ويقيدون بها مطلقاته.

2 – دور المرجعية عند أهل الشيعة: القرآن الكريم قد جاء تبيانا لكل شئ، وما ثبت عن النبي ثبوتا قطعيا لا يرقى إليه شك هو بمثابة النص، وما عدا ذلك لا يجوز الاعتماد على السنة في مقام التشريع إلا إذا تأيدت بآية من القرآن لأنه فيه تبيان كل شئ، وقد نزل بلغة العرب وبأسلوب يفهمه كل عربي، وذلك لأن السنة رواها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ

والكذب، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم

(1) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة ص 304 والإمام زيد ص 418 وراجع آراء علماء المسلمين ص 87 - و 88 للسيد مرتضى الرضوي.

(2)راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الواليبي ص 217 وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 88.

(3)راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الواليبي ص 217 وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 88.

(4)راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الواليبي ص 217 وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 88.

أحيانا ويعمل كل واحد منهم بما يوحيه إليه اجتهاده. وقد تراشقوا بأسوء التهم واستحل بعضهم دماء البعض الآخر [1].

وباختصار فإن القول الفصل عند الشيعة هو القرآن الكريم المبين لكل شئ وما ثبت من البيان (سنة الرسول القولية والفعلية والتقريرية) ثبوتا يقينيا لا يرقى إليه الشك.

اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج

1 – انطلق أهل السنة من منطلق مفاده أن الصحابة – كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي بما فيه الأطفال الذين شاهدوا النبي أو شاهدهم النبي – هؤلاء كلهم عدول، لا يجوز عليهم الكذب ولا يجوز عليهم التزوير، فهم جميعا من أهل الجنة، ولا يدخل أحد منهم النار كلهم بلا استثناء بما فيهم الحكم بن العاص طريد رسول الله وطريد صاحبيه، وبما فيهم عبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب، وبما فيهم معاوية. فكانت النتيجة من جنس المنطلق، فما يقوله الصحابي الذي ثبتت صحبته صحيح لا يأتيه الباطل لأنه من العدول، فإذا تعددت أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فالمجتهد حر ليأخذ بقول أي صحابي شاء ولا حرج عليه، ويدع من يشاء ولا حرج عليه [2]. فلو قال الحكم بن العاص قولا في مسألة، وقال أبو هريرة قولا آخر في ذات المسألة، وقال حذيفة بن اليمان قولا ثالثا في ذات المسألة، وقال أبو بكر قولا رابعا في ذات المسألة، فالمجتهد مخير ليأخذ بأي قول من هذه الأقوال، لماذا ؟ لأنهم صحابة، وكل الصحابة عدول، ولا يجوز جرحهم أو الطعن فيهم كما يفعل أهل السنة بالرواة من غيرهم.

والأهم من ذلك أن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص القرآن نفسه بعمل الصحابي وقوله، لأنه – حسب رأيهم – لا يمكن أن يترك الصحابي العمل بعموم

(1) أنظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى عن كتاب الأمة للشافعي ص 228 وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 88.

(2) أنظر: أبا حنيفة لأبي زهرة ص 304.

النص إلا لدليل، فيكون عمل الصحابي على خلاف عموم النص دليلا على التخصيص وقول الصحابي بمنزلة عمله [1].

وما يثير الدهشة حقا هو أنهم يقصدون بالصحابي – أي صحابي – على الاطلاق المعنيين اللغوي والاصطلاحي. وهذه مرتبة ترقى بالصحابي إلى درجة العصمة، وتجعل منه مشرعا حقيقيا أو شريكا بالتشريع.

2 – أما أهل الشيعة فالأمر مختلف جدا عندهم من هذه الناحية، فالشيعة يوالون أصحاب محمد الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم. والدعاء الذي تردده الشيعة لأصحاب محمد لهو دليل قاطع على حسن الولاء وإخلاص المودة، وقد جاء فيه: "...وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى قيادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته اللهم ما تركوا لك وفيك ولرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك..." [2] هؤلاء هم أصحاب محمد الذين تعظمهم شيعة آل محمد ويدينون بموالاتهم، ويأخذون تعاليم الإسلام فيما صح وروده عنهم [3].

والخلاصة: إن الشيعة لا يثبتون العدالة إلا لمن اتصف بها، وكانت فيه تلك الملكة. وأصالة العدالة لكل صحابي لا دليل عليه ولا يمكن إثباته. فالشيعة تناقش أعمال ذوي الشذوذ منهم بحرية فكر وتزن كل واحد منهم بميزان عمله، فلا يوادون

---

(1) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه، وراجع كتاب السيد مرتضى ص 93 - 94.

(2) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه، وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 93 – 94.

(3) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه، وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص 93 – 94.

من حاد الله ورسوله، ويتولون ممن اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله.

والشيعة بهذا لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة ومن هو مصداق هذا الاسم حقيقة. ومن هنا فتحت على الشيعة باب الاتهامات الكاذبة [1] ولأن الشيعة انطلقوا من هذا المنطلق المختلف عن منطلق أهل السنة، فإنهم قد توصلوا لنتائج مختلفة عن النتائج التي توصل لها أهل السنة.

تعدد المرجعيات

في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، كثيرا ما كانت تختلف الآراء حول المسألة الواحدة وتتعدد، فيسمعها النبي كلها ولا يضيق بها صدره، ثم يبسط حكم الشرع في هذه المسألة سواء أكانت نصا قرآنيا أم سنة محمدية، فيقبل الصادقون هذا الحكم فيوحدهم بعد اختلاف، ويدخلهم حظيرة اليقين بعد شك في هذه المسألة.

وتتكرر الحادثات، وتتكرر أحكام الحلول مما يجعل الخلاف بوجهات النظر وتعدد هذه الوجهات مظهرا من مظاهر إثراء الفكر، ولونا من ألوانه، لماذا ؟ لأن للناس مرجعية واحدة قولها الفصل وحكمها العدل. فوحدة المرجعية هي الأساس الذي تقوم

عليه وحدة المجتمع ووحدة العقيدة، فإذا تعددت المرجعيات يقع الخلاف المحظور. والاختلاف والوحدة نقيضان فيضطر الحاكم لمصادرة حق الناس بطرح أفكارهم ليضمن وحدتهم.

ونتيجة نظرية عدالة كل الصحابة تعددت من الناحية العملية المراجع. فكان في المجتمع الإسلامي عشرات الألوف من المراجع، كل مرجع لهرأيه وتصوره وفهمه. وبتعدد هذه المراجع انقسمت هذه الأمة إلى شيع وأحزاب، كل شيعة تؤيد مرجعها وتعتقد أنه المصيب والموصل إلى رضوان الله تعالى. ولكن عمليا، وبما أن السلطة الحاكمة خاصة عندما تخرج من إطار الشرعية هي المسيطرة على وسائل الأعلام، فإن بإمكانها أن تسلط الأضواء على المرجع أو تلك المراجع المتحدة وتصورها على أنها وحدها هي الفئة الناجية، وأنها على الحق المبين، فتنشر فتاوى هذه المرجعية وتحيطها بهالة من الإنبهار، وبعملها هذا تدعو الناس بطريقة غير

(1) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 100.

مباشرة للوثوق بهذه المرجعية بغض النظر عن أهلية تلك المرجعية أو عدم أهليتها.

فأبو هريرة صحابي مغمور لم يكن له دور في عهد الخلفاء الراشدين، وكان يخدم الناس مقابل قوت بطنه، ولم تتجاوز صحبته للنبي (صلى الله عليه وآله) سنة وبضعة أشهر، لكن نتيجة لقربه من البلاط الأموي وحظوته فيه تحول إلى مرجعية هائلة، وتحولت أقواله على كثرتها إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديهولا من خلفه، وروى من الأحاديث ما ينوف على سبعمائة ضعف ما رواه كبار الصحابة، لماذا ؟ لأن الدولة تبنته ورشحته ليكون مندوبها في مرجعية تستقطب كل المرجعيات.

حكم الشرع في تعدد المرجعيات

ما من دين على الاطلاق إلا وله مرجعية. وما من عقيدة إلا ولها مرجعية.

فمحمد هو المرجعية الوحيدة لدين الإسلام ولعقيدته، فقوله الفصل، وإذا وجدت مرجعية ثانية بأمر الله، فإنها مرتبطة به بالدرجة الأولى بوصفه الأعلم والأفهم بالعقيدة ومرتبطة بالعقيدة.

والديانة اليهودية لها مرجعية واحدة. فموسى (عليه السلام) هو المرجع، وهارون تابع له، وإذا انفرد موسى عن هارون فهو خليفته، فإذا عاد موسى عادت تبعية هارون له.

والديانة المسيحية لها مرجع وهو عيسى (عليه السلام)، والحواريون مرتبطون به ومسخرون لخدمة الدين تحت إمرته. فإذا انتقل محمد وموسى وهارون وعيسى إلى الرفيق الأعلى، فيستتبع بالضرورة وجود مرجعية واحدة لكل عقيدة من هذه العقائد الثلاث معينة من قبل المرجعية الأولى بأمر ربها، وترك الدين والعقيدة بلا مرجعية، تفريط تترفع عنه ملكات الأنبياء، ويتناقض مع كمال الديانات.

وفي الإسلام، فإن مرجعية المسلمين بالنصوص الشرعية القاطعة هم أهل بيت محمد، وبالتحديد عميد هذا البيت الطاهر في كل زمان. أما لماذا أهل بيت النبوة ؟

فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن جهة ثانية فقد أعدهم الرسول إعدادا علميا، وقد احتضنوا الرسول واحتضنوا دعوته. وقد بين لنا الله أنهم هم الأفضل في كل زمان،

وتلك من لوازم المرجعية. وكان واضحا بعد وفاة النبي أن مرجعية المسلمين هو عميد أهل بيت النبوة وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام). فكل مسلم قد تبلغ بأن عليا هو مولاه ومولى كل مسلم ومسلمة. أنظر إلى قول الفاروق: " هذا مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة ". تلك هي المرجعية الشرعية.

إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة إيجاد مرجعية بديلة

تلاحظ أن المرجعية الشرعية في الإسلام قد عطلت بعد موت نبيه، فصار المرجع الرسمي، أو القائم مقام المرجع الشرعي هو الخليفة. ودارت الأيام، فعاد المرجع الشرعي ليقوم بعمله ووظيفة كولي للأمة ومرجع شرعي لها. فقامت الدنيا ولم تقعد إلا بعد أن قتل، وجاء الحسن فأدرك أن الدنيا مازالت قائمة وأنها لن تقعد إلا بقتله، فترك الأمر، وأحيط بالحسين في كربلاء فقتل وأبيد من حضر معه من أهل بيته الطاهرين، فأصبحت الأمة بغير مرجعية شرعية. وبما أن المرجعية ضرورة من ضرورات وحدة المجتمع، ركز الحاكمون الأمويون ليكونوا هم المرجعية وليقنعوا الأمة أنهم المرجعية الشرعية، ومن الطبيعي أن يكون للكثير من طلاب الدنيا مصلحة بالتعاون معه لتحقيق هذه الغاية.

نظرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الوحيد لإيجاد المرجعية البديلة

فصلت نظرية عدالة كل الصحابة لغة واصطلاحا بحيث تتسع بالحاكمين الأمويين، ثم أضيفت صفة العدالة على الصحابي – أي صحابي على الاطلاق – وبما أن المرجع الشرعي عادل ولا يجوز عليه الكذب، وبما أن الصحابي عادل ولا يجوز عليه الكذب وهو من أهل الجنة، فمعنى ذلك أن الحاكم الأموي عادل ومؤهل ليكون المرجع الشرعي لأمة محمد، وهذا هو مفتاح سير الأحداث.

لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين لفشلت

لو نادى بنظرية عدالة كل الصحابة أشخاص عاديون لفشلت تماما. ولكن نادى بها صحابة بتأييد مادي ومعنوي من الحكام، فقد خصصوا جعلا لمن يضع الأحاديث

للطعن بالمرجعية الشرعية بعد وفاة النبي، وقووا القائلين بنظرية عدالة كل الصحابة، وبذلوا لهم المال والجاه، وسخروا

كل وسائل إعلام الدولة للترويج لهذه النظرية.

ومن الطبيعي أن لا تخفى هذه الأساليب على ذوي البصيرة من الصحابة الكرام، لكن أياديهم مغلولة، والأمة متفرقة، وقد غلبت على أمرها، فاستنكرها كبار الصحابة بالقول والفعل، لكن هذا الاستنكار كان يموت لحظة ولادته في زوايا البيوت، بينما كان تأييد هذه النظرية يعمم بكل وسائل الإعلام، وبدعم الدولة نفسها. فعمليات التنقيص من ولي الأمة ومرجعها الشرعي ولعنه وشتمه كانت أمرا يومية تمارسها الأمة بقوة السلاح، وعنفا عن إرادتها، ومن يعارض ذلك فمصيره مصير حجر بن عدي، وهو القتل وحرمانه من العطايا الشهرية أو لقمة العيش.

وبنفس الوقت، كانت عملية إيجاد المرجعية البديلة تشق طريقها بريح ملائمة.

المرجعية البديلة أصبحت شرعية

مات جيل الصحابة الكرام، ومات التابعون الصادقون، وماتت المعارضة، واختفت حجة هؤلاء جميعا، ولم يبق منها إلا النزر اليسير. وبقيت كافة المعلومات الضرورية لإضفاء الشرعية على المرجعية المزيفة والبديلة موجودة بكامل تفاصيلها، لأنها جزء من وثائق الدولة المحفوظة، وبالتالي أصبحت شرعية حقيقية من حيث الظاهر بعد أن مات كل الذين يعرفون الحقيقة، وأخفيت حجتهم ومعارضتهم، ولم يبق منها إلا اليسير، فاعتقد اللاحقون أن المرجعية الشرعية التي أمر الله بها وأوجدها هي عينها التي نقلت إليهم عن طريق الدولة من أسلافهم، فأصبحت معارضة هذه النظرية معارضة للدين نفسه لا معارضة للذين أوجدوها، وأصبحت تقليدا لا تقبل المناقشة، ومن يناقشها أو يعارضها أو ينتقص من الذين وضعوها فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب... الخ، ولأن الشيعة زعامة أهل البيت يعارضون ذلك ولا يقبلون به، فمن الطبيعي أن تصب عليهم كل اللعنات وأن يصوروا كأنهم أعداء للدين وكفار مجوسون. وهذا ما استقر بذهن العامة، وبذهن العلماء الذين تخرجوا من جامعات هذه النظرية، ورووا التاريخ من خلالها.

الحل

إنه لا بديل عن الصبر، ولا بديل عن الاقتداء بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد قاومه كل الناس ولم يركع، بل استطاع بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالأساليب الشرعية، وبالحجة القاطعة والبراهين الساطعة أن يهتك حجب التقليد، وأن يزيح عن وجه الحقيقة كل ما علق بها. واقتنع الناس في النهاية، وتلك هي الوسيلة الوحيدة أمام عشاق الحقيقة الشرعية.

في غياب المرجعية الشرعية

انقسم الناس إلى شيع وأحزاب متناقضة متعارضة كل حزب يدعي أنه على الحق، وأن غيره على الباطل، وهم جميعا يعلمون أن الأمة في غياب المرجعية الشرعية ستنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهم يعلمون أنه لا

يوجد إلا حق واحد وهو الذي تسير عليه هذه الفرقة الناجية، والفرقة الناجية هي التي تتبع المرجعية الشرعية، وهذا الانقسام كان واحدا من المبررات التي وجدت من أجلها نظرية عدالة كل الصحابة.

الانقسام الفقهي

في غياب المرجعية الشرعية المخصصة لبيان المقصود الشرعي من النص وتكييف النص على الوقائع انقسم المسلمون إلى عشرات الشيع والأحزاب الفقهية والتي تحمل في ثناياها طابعا سياسيا بالضرورة، وتمركزت هذه الأقسام بخمسة قوى:

1 – مذهب أهل البيت الكرام: وهو أول المذاهب الإسلامية على الاطلاق، وهو مذهب الفئة الناجية كما سنثبت ذلك، وقد أطلق عليه المذهب الجعفري نسبة إلى جعفر الصادق (عليه السلام).

2 – المذهب الحنفي: نسبة إلى أبي حنيفة، وقد أخذ أبو حنيفة عن الإمام جعفر ثم انفرد بمذهب خاص.

3 – المذهب المالكي: نسبة إلى مالك، وقد أخذ عن أبي حنيفة وانفرد بمذهبه أيضا.

4 – المذهب الشافعي: نسبة إلى الشافعي، وقد أخذ عن مالك وانفرد بمذهبه كذلك.

5 – المذهب الحنبلي: نسبة إلى أحمد، وقد أخذ عن الشافعي وانفرد بمذهبه.

وأنت تلاحظ أن الإمام جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة، وهم يفخرون بذلك. بينما يعتبر العوام أن أتباع المذهب الجعفري على الضلال، وأن العوام على الصواب.

جذور مطاردة أهل البيت

تمت مطاردة أهل البيت الطاهرين طوال التاريخ السياسي الإسلامي لغايات:

1 – إصرار المطاردين – بكسر حرف الراء – على إجبار أهل البيت للتخلي عن خصوصيتهم التي خصهم الله بها من دون المسلمين.

2– وبنفس الوقت تأويل هذه الخصوصية وإخراجها عن معانيها ووظائفها.

3 – إيجاد خصوصيات وضعية منافسة للخصوصية الإلهية لسلب معاني ووظائف خصوصية أهل البيت.

4 – نظرية عدالة كل الصحابة جاءت كخصوصية وضعية أريد منها أن تقوم بسلب خصوصية أهل البيت الكرام.

5 – ولو أن أهل البيت الكرام عطلوا خصوصيتهم وقبلوا الأمر الواقع فإنهم لن يتركوا وهم بحالة مطاردة مستمرة. لماذا ؟

6 – لأن السلطة فاتنة جميلة تزوجها الحكام بالإكراه وسلبوها من زوجها الشرعي، فملكوا الجسد، أما قلب الزوجة وروحها، فمع زوجها الشرعي تحلم بهذا الزوج علنا وهي بقبضة الحكام، فثبت في قلوب الحكام طوال التاريخ غيرة

مجنونة، وقادتهم هذه الغوة إلى أفاعيل مخزية.

خصوصية القوابة الطاهرة

البطن الهاشمي خير بطون الناس عامة، وخير بطون العرب خاصة بالنص الشرعي. وبيت عبد المطلب هو أيضا خير بيوت الناس عامة، وخير بيوت العرب خاصة، وبالنص الشرعي أيضا [1] وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب [2].

وآل محمد هم أفضل الآل، وقد افترض الله مودتهم بالكتاب، وجعل الصلاة عليهم ركنا من أركان الصلاة، وهذا معنى قول الشافعي:

يا أهل بيت نبي الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له [3]

وأهل بيت محمد هم دسمة هذه الأمة، وهم الشجرة التي يتداوى بها، وهم العترة (وعترة الرجل هم نسله ورهطه الأقربون) [4].

وقد طهر الله أهل بيت نبيه وأذهب عنهم الرجس – وآية التطهير لا تخفى على أي مسلم – وبفضله تعالى وجهادهم في سبيل الله تقدموا على ما سواهم، فهم المرجعية الشرعية للمسلمين وللدين، ومنهم القيادة السياسية، وهذا مجد لا يضاهيه مجد، وشرف يقصر عنه كل شرف، وخصوصية لآل محمد.

---

(1) راجع الطبقات لابن سعد، وراجع السيرة الحلبية، وراجع كنز العمال، وقد نقل عن الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه وعن الطبراني وعن ابن عساكر.

(2) راجع الطبقات لابن سعد ج 1 ص 75 ، وراجع السيرة الحلبية.

(3) راجع ابن حجر في تفسير آية: * (إن الله وملائكته يصلون على النبي) * في صواعقه المحرقة ص 88 ، وراجع النبهاني ص 99 من الشرف المؤبد وهي مرسلة عن الشافعي، إرسال المسلمات كما يقول الإمام شرف الدين.

(4) راجع مختارات الصحاح ص 31 و 185 و 70 و ص 410 ، وراجع المعجم الوسيط ص 21 ج 1 و ص 588 ج 2.

ما هي الغاية من هذه الخصوصية ؟

الغاية الشرعية من خصوصية القوابة حقيقة أنه تشريف، ولكنها بجوهرها تكليف لها معنى ولها وظائف فمعناها: أنها نقطة ارتكاز للمسلمين، فبهم تكتمل الدائرة ويتحدد مركزها، فيستقطبون الأمة كلما تفرقت، فتقدم لهم الحل بالتأشير على نقطة الارتكاز الإلهية، فلا يذهب المسلمون لا للشرق ولا للغرب، ولا للشمال ولا للجنوب، إنما يذهبون للقوابة الطاهرة، ويتجمعون

حولها فتجمعهم، وهي بنفس الوقت مرجعية للدين، ومرجعية للمسلمين، فتبين الدين للمسلمين ولغير المسلمين، وتسمع من المسلمين ثم تقدم الفهم الأمثل لهذا الدين والموافق تماما للمقصود الإلهي.

وظائف القوابة الطاهرة

1 – نقطة ارتكاز واستقطاب.

2 – مرجعية للدين لبيانه للناس عامة وللمسلمين خاصة.

3 – ثقل أصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، والعترة هم الثقل الأصغر، والهداية لا تترك إلا بالثقلين، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين معا.

فلو تمسكت الأمة بالقرآن الكريم وحده وتركت العترة الطاهرة فستضل حتما.

لماذا ؟ لأن القرآن هو الدواء، والعترة هي الطبيب، والطب عملية اختصاصية.[1]

(1) راجع ج 1 ص 44 من كنز العمال، وقد نقله عن النسائي والترمذي عن جابر عن رسول الله وأخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم، وأخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بطريقين صحيحين في أول ص 182 وفي آخر ص 189 ج 5 من مسنده، وأخرجه أيضا عن ابن أبي شيبة وأبو يعلى، وابن سعد عن أبي سعيد، وراجع الحديث 945 ج 1 ص 47 ، من كنز العمال، وأخرجه الحاكم في مستدركه ج 3 ص 148 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على طريق الشيخين، ولم يخرجاه وأخرجه الذهبي معترفا بصحته على شرط الشيخين، راجع تلخيص المستدرك للذهبي.

4 – قيادة سياسية للأمة. فعندما تكون القيادة السياسية بعترة محمد تطيب نفوسهم جميعا بها لأنها الحل الجذري الذي يقطع دابر الخلاف، ويجلب الاستقرار، ويميت الطمع والتنافس عليها. وقد تكفل الشرع الحنيف ببيان لمن منهم تكون هذه القيادة، وكيف تنتقل.

لماذا أعطيت القوابة الطاهرة هذه الخصوصية ؟

لماذا اختار الله محمدا للرسالة ولم يختر أبا سفيان ؟ هذا فضل الله يؤتيه من يشاء. لماذا فضل الله بعض النبيين على بعض ؟ هذا فضل الله. لماذا اختار محمدا من بني هاشم ولم يخترْه من بني عدي أو بني تيم أو بني أمية ؟ هو الذي بيده الفضل يؤتي فضله من يشاء. ولكن باستقرائنا العميق لتاريخ الإسلام يمكن أن نجد بعض التعليلات لهذا الاختيار.

تعليلات

1 – لقد بين الله سبحانه وتعالى أن قرابة محمد هم خير الناس وأفضلهم، ومن مصلحة العباد أن يقودهم الأفضل والأحسن. وقد وثقنا هذه الناحية قبل قليل.

2 – الانذار الصادر عن بني هاشم والموجه لبطون قريش كلها عندما همت بقتل محمد، إذ أنذرهم أبو طالب قائلا: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفانى وإياكم. وأثبت لهم أنه قد هم بقتل زعماء قريش عند ما أشيع بأن محمدا قد قتل.

3 – إن كل بطون قريش قررت مقاطعة بني هاشم، وكتبوا كتابا بأن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم. وتم حصر الهاشميين في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه.

وقطعت عنهم قريش الموة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب، ولقريش مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمدا لقريش لقتله، أو يخلي الهاشميون بين قريش وبين محمد. ولكن الهاشميين أبوا ذلك، ودافعوا عن محمد بأرواحهم وأموالهم

وأولادهم واستقرارهم.

4 – لما فشل الحصار، وخوفا من القرابة الطاهرة اضطرت قبائل قريش أن تختار من كل قبيلة رجلا تعبوا عن اشتراكها بقتل محمد يضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وتحرك مندوبو القبائل فعلا ليقتلوا النبي، ولكن الله نجاه.

5 – والقرابة الطاهرة في الجاهلية هي ناصية قريش ولا تقطع الأمور دون مشورتهم.

6 – وهم وسيلة النجاة بالنص الشرعي، وهم الأمان بالنص الشرعي لهذه الأسباب مجتمعة ومنفردة بالإضافة إلى الفضل الإلهي أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية بالإضافة إلى الإعداد الرباني لعمدائهم من الناحية العملية والتربوية.

تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ

قال أبو بكر الصديق مخاطبا الأنصار: الناس تبع لنا، ونحن عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

وقال عمر الفاروق مخاطبا الأنصار: إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة [2].

قال بشير بن سعد مخاطبا الأنصار ومعقبا على قول الفاروق والصديق: " إن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم " [3].

(1) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 84.

(2) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 84.

(3) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 197 – 198.

فسلم الأنصار وقالوا: لا نبايع إلا عليا، وعلي غائب مشغول وأهل البيت بمصابهم. وبايعت الأكثرية الحاضرة في سقيفة

بني ساعدة أبا بكر الصديق وخرج كخليفة، وخرج عمر كنائب للخليفة، وخرج أبو عبيدة كنائب ثان للخليفة، وخرج الذين بايعوه كجيش للخليفة [1].

فوجئ الإمام علي بما جرى، وطلب منه نائب الخليفة وولي عهده عمر بن الخطاب أن يبايع أبا بكر كخليفة للمسلمين، فقال علي مخاطبا أبا بكر وعمر: " إنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الأمرة. وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. نحن أولى برسول الله حيا وميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون ".

فقال له عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع. فقال له علي: احلب حلبا له شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا. الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فترتدوا من الحق بعدا. فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان [2].

ولما ماتت فاطمة (عليها السلام) أرسل علي إلى أبي بكر أن أقبل إلينا، فأقبل أبو بكر حتى دخل على علي وعنده بنو هاشم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال، أما بعد

---

(1) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 120 وما فوق.

(2) راجع الإمامة والسياسة ص 11 - 12.

يا أبا بكر، فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكارا لفضيلتك ولا نفاسة عليك، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا، فاستبددت به علينا، ثم ذكر قرابته من رسول الله، فلم يزل يذكر حتى بكى أبو بكر. فقال أبو بكر: لقرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي [1].

أتى المغيرة بن شعبة فقال: الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيبا، وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم. فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة إلى العباس. ومما قاله أبو بكر للعباس:... وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا... إلى أن قال: على رسلكم يا بني عبد المطلب، فإن رسول الله منا ومنكم. فأجابه العباس على كل النقاط التي أثارها إلى أن قال: وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم، فإنه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها [2].

وقد آلت الأمور إلى الفاروق، لأن أبا بكر أوصى له، ولأنه من قريش عشيرة النبي، ثم آلت إلى عثمان لنفس الأسباب، فقد

أوصى له عمر عمليا،ولأنه أيضا من قويش.وآلت الأمور إلى علي لأنه الولي،ولأن الناس بايعوه، كذلك الحسن (عليه السلام)،وعندما غصب معاوية الأمر بالقوة كان من مبررات حكمه أنه من قويش ومن أقارب النبي، فهاشم وعبد شمس إخوة، فسنده الظاهري القربى والغصب،وهكذا سند الحكم الأموي كله،وجاء بنو العباس وقد تسلحوا بالقرابة وضربوا على وتر الآلام التي لحقت بأهل البيت كمقتل الأئمة علي والحسن والحسين والذرية الطاهرة، ثم تسلموا بالقوة فغلبوا وحكموا.

فالحكم من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وحتى سقوط آخر خلفاء بني العباس قام في جانب منه على قاعدة أن الأئمة من قويش، وقويش هي قرابة النبي،وأنت تلاحظ أن القرابة من النبي يحرم منها أهل البيت، ويستفيد منها الأبعدون.

---

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 14 - 16.

(2) راجع الإمامة والسياسة ص 14 – 16.

معاملة الحكام للقرابة الطاهرة من الناحية السياسية

مشى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – في جماعة وأخرجوا عليا غير عابئين ببكاء فاطمة الزهراء وجاء به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع. فقال علي: إن لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا نضرب عنقك. قال علي: تقتلون عبد الله وأخا رسوله ؟ فقال عمر للخليفة أبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال أبو بكر: لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمة إلى جانبه. فلحق بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي: " يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني "، ونادت فاطمة بأعلى صوتها: يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من الخطاب وابن أبي قحافة.

وتخلف قوم عن بيعة أبي بكر، وكانوا في بيت علي، فبعث أبو بكر إليهم عمر فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقن الدار على من فيها، فقيل: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة، فقال: وإن [1]. وخرجوا ولم يحرق الفاروق بيت فاطمة، وماتت فاطمة ودفنت ليلا، لأنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر. وبعد موتها بايع علي أبا بكر وأوصى أبو بكر لعمر، وخلال حياتهما كانا يقدمان أهل البيت عند توزيع العطايا. فقد بدأ عمر بمحمد وآله، ثم أبو بكر وآله، ثم عمر وآله، كما يروي البلاذري في فتوح البلدان، وكانا يستشيران الإمام علي ويرجعان إليه [2].

وعصر أبي بكر وعمر في جانب من جوانبه عصر ذهبي لأهل البيت.

وجاء الأمويون فحاربوا عليا، وسموا الحسن، وقتلوا الحسين، وأبادوا إبادة

---

(1) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 12 ، والعقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج 4 ص 259 و 260، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 1 ص 134 و ج 2 ص 19 ، وراجع تاريخ الطبري ج 3 ص 202 ، وراجع أنساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 586، وملحق المراجعات تحقيق حسين راضي ص 261.

(2) راجع الإستيعاب بهامش الإصابة ج 3 ص 39. وذخائر العقبى ص 81 و 82 ، وتذكرة الخواص للجوزي الحنفي ص 144 – 148، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 192 ، والمناقب للخوارزمي ص 38.. الخ.

كاملة من حضر معه من أهل البيت، ومنعوهم من أن يشربوا من ماء الفرات، وتاريخ الأشراف للبلاذري يروي هذه المحنة، وصبوا كل غضبهم على من يحب أهل بيت محمد، وبعد أن استولى معاوية على الحكم كتب إلى جميع عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليا في صلواتهم وعلى مناوئهم كما يقول العقاد في ميزانه ص 16.

ولم يقف الأمر عند ذلك، بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي، كما يروي ابن عساكر (ج 3 ص 407)، وبالتالي، فلم يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده، وأن يسقطوا عطاءه ورزقه [1].

وجاء بعدهم العباسيون. يقول أبو بكر الخوارزمي: "والجملة أن هارون مات وقد حصد شوكة النبوة واقتلع غرس الإمامة" [2].

ثم ها هو المنصور في ثورة غضبه يقول وقد عزم على قتل الإمام جعفر الصادق: قتلت من ذرية فاطمة ألفا أو يزيدون، وتركت سيدهم ومولاهم جعفر بن محمد [3]. ثم قال مشافهة للإمام الصادق: لأقتلنك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقي على الأرض منك قامة سيف، ولأضربن المدينة حتى لا أترك فيها جدرا قائما [4].

ويقول الطوي في تاريخه: إن المنصور هذا ترك خزانة رؤوس مواثا لولده المهدي كلها من العلويين، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال [5]. والمنصور هو الذي كان يضع

(1) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد ص 16، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 180.

(2) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد ص 16، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 180.

(3) رسائل أبي بكر الخوارزمي ص 178.

(4) الحياة السياسية للإمام الرضا ص 87.

(5) راجع مناقب ابن شهر آشوب ج 3 ص 357، والبحار ج 47 ص 178.

العلويين في الإسطوانات ويسمرهم في الحيطان، كما ذكر اليعقوبي في تاريخه، ويتركهم يموتون في المطبق جوعا، وتقتلهم الروائح الكريهة، حتى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة. وكان يموت أحدهم ويترك حتى يبلى من غير دفن ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم أحياء وهم في أغلالهم [1].

وأما الرشيد فقد أقسم على استئصالهم وكل من تشيع لهم، واشتهر عنه قوله:

حتام أصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأملقن ولأملغن [2]، وكان شديد الوطأة على العلويين يتبع خطواتهم ويقتلهم [3].

كتب المنصور يوما إلى الإمام الصادق (عليه السلام): لم لا تغشاني كما تغشاني الناس ؟ فأجابه الصادق: ليس لنا ما نخافك من أجله،ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له،ولا أنت في نعمة فنهنيك،ولا تراها نقمة فنعزيك، فما نصنع عندك ؟ " فكتب المنصور إليه، تصحبنا لتنصحنا. فأجابه الإمام من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك [4] .

نوعا القرابة

1 – القرابة القريبة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم فاطمة وعلي وحسن وحسين ونسلهم لاحقتهم خصوصية القرابة وجرت عليه كل الويلات والمآسي، وتلك مكافأة على موقف أبي طالب نحو الإسلام ونبي الإسلام وعلى موقف علي في حروب الإسلام مع أعدائه، فعليهم الغرم كله والغنم لسواهم.

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 10 ص 446 وراجع النزاع والتخاصم للمقريزي ص 52.

(2) الحياة السياسية للإمام الرضى ص 88.

(3) الأغاني للأصفهاني ج 5 ص 225.

(4) العقد الفريد ج 2 ص 80 وراجع كشف الغمة في أموال الصادق لابن حمدون ج 2 ص 208 وراجع المحاضرة التي ألقاها الشيخ محمد باقر بمناسبة مولد الإمام الصادق في المؤتمر الدولي المنعقد في دمشق بتاريخ 26 / 9 / 91 – 28 / 9 / 91 وقد نشرت البحوث في كتاب يقع على 494 صفحة.

2 – القرابة البعيدة من رسول الله، فقد حكموا لأنهم من عائلة النبي (قريش) فأخذوا الغنم كله وخصوا القرابة القريبة بالغرم كله.

عزل العترة الطاهرة

النتيجة المنطقية أن عزل الإمام بعد وفاة فاطمة، وتجلت رغبة عزل الإمام عن بني هاشم بمحاولة اجتذاب العباس إلى السلطة وإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه. لكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعا، وردردا حاسما على السلطة الراشدة. ومع الأيام عزلت القرابة القريبة الطاهرة عن بني هاشم وعن آل البيت وعن الناس لأنه وبالمعيار الموضوعي فإذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب القوي المالك لزمام الأمور. فكانت أغلبية الأمة مع الحكام. وأقليتها مع أهل البيت، أو كما عبر الشاعر: القلوب مع أهل البيت والسيوف عليهم ومع أعدائهم. فعمرو بن سعد بن أبي وقاص الذي قاد جيش الخليفة ضد الحسين وأهل البيت في كربلاء صلى الصبح وقال: اللهم صل على محمد وآل محمد وبعد أن أنهى الصلاة قام بقتل الموجودين من أهل بيت محمد، ولم يكتف بقتلهم بل قطع رؤوسهم كلهم، كما يجمع على ذلك ثقات المؤرخين، وسلبوا أهل البيت حتى لباسهم وهم أموات. وتحركت الخيول فوطئت جثة الحسين وجثث من معه من

أهل البيت تقربا إلى ابن زياد وإلى يزيد بن معاوية. ولله في خلقه شؤون.

وتلك ثمرة من ثمرات المقولة " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك ".

تأويل الخصوصية

ما ثبته الله لن يمحوه البشر، وما وضعه الخالق لن يغيره المخلوق، أدرك الحكام أن خصوصية أهل البيت لن تتغير مهما فعلوا بهم. فالصلاة عليهم مفروضة وطهارتهم واردة في القرآن الكريم، وولايتهم على الأمة ثابتة، والنصوص بفضلهم آخذة بالأعناق. وحتى لو تم إبادة أهل البيت إبادة تامة فإن هذه الخصوصية ستبقى شبحا يلاحق الحكام ليلا نهارا. ومن هنا لا بديل عن تأويل هذه الخصوصية.

الفصل الخامس

الآمال التي علقت على نظرية الصحابة

الذين اخترعوا هذه النظرية علقوا عليها الآمال التالية:

1 – تأويل خصوصية أهل بيت النبوة تأويلا يفرغها من مضمونها ووظيفتها.

2 – إيجاد خصوصية بديلة تنافس خصوصية أهل البيت، وتقوم بالتعاون مع الحكام بوظائف أهل البيت.

3 – خلق الشبهات وإيجاد حالة من الحيرة والشك لتفريق المحكومين وإشغالهم عن الحكام بخلافات جانبية وتغذية هذه الخلافات لتتحول إلى خلافات عميقة ودائمة.

التقابل بالصفات

أهل البيت الكرام أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. ومن أهل البيت – بكل الموازين – فاطمة وعلي وحسن وحسين على الأقل. لقد طهر الله هؤلاء وبشرهم في الجنة قبل أن يبشر المبشرين في الجنة، وهم سادات أهل الجنة بالنص وغني عن البيان أنهم عدول، لأن من ملك الأكثر ملك الأقل، ومن حاز الدائرة حاز ما في ضمنها. [1]

الصحابة: أجلاء الصحابة الذين أخلصوا لله قوم مكرمون عدلهم الله، ولكن الذين حكموا ليسوا من أجلاء الصحابة، بل هم في غالبهم طلقاء أسلموا بعد أن

(1) يمكنك الرجوع إلى ج 12 ص 93 وما فوق من كنز العمال فقد روى ذلك عن أكثر أهل الحديث.

أحيط بهم. إنه لا يوجد طريقة في الدنيا يمكن أن تجعلهم في مرتبة أهل البيت إلا نظرية عدالة كل الصحابة بالمعنيين

اللغوي والاصطلاحي. فهي تسلوي بين من أسلم من قبل الفتح وقاتل وبين من أسلم بعد الفتح. تسلوي بين القاتل والمقتول، والمحاصر والمحاصر، وبين المهاجر والطليق، وبين المؤمن والمنافق، وتعطيهم جميعا نفس الصفة (العدالة). فعلي بن أبي طالب من أهل البيت وصحابي، ومعاوية بن أبي سفيان صحابي. هذا عادل وهذا عادل، هذا مجتهد وهذا مجتهد، هذا في الجنة وهذا في الجنة، وكلاهما منزه عن الكذب. علي أول من أسلم، وولي الله بالنص، وحامل لواء النبي في كل معاركه، وبطل الإسلام في كل مواقعه، هو تماما كمعاوية الذي حارب وأبوه الإسلام في كل المواقع، وأسلما بعد ما أحيط بهما!!!

العدالة الوضعية ترفض هذا التكييف، ومن باب أولى أن ترفضه عدالة السماء، الله فوق بين الاثنين، ونبيه فوق بين الاثنين، والأعمال فرقت بين الاثنين، فمن أمرنا بمسلواتهما ؟ وما هو الدليل على ذلك غير نظرية عدالة الصحابة ؟.

تلك النظرية التي وجدت أصلا للقضاء على الفوارق بين المتقدمين والمتأخرين، بين المجاهدين والقاعدين، بين الأولين والآخرين.

فما وجدت نظرية عدالة كل الصحابة وما خلصت صفة العدالة على الجميع إلا لغايات منافسة العدالة للطهارة التي اختص الله بها أهل بيت نبيه.

مثال من الواقع

علي عميد أهل البيت بالنص، وولي الأمة بالنص، وأول من أسلم بالنص، ومجازاة للذين يكرهون أن يكون الأول هو ثاني من أسلم بالنص، والحق معه يدور حيث دار بالنص، وموالاته موالاة لله بالنص، ومعاداته معاداة لله بالنص، وهو صحابي باعتراف كل الذين أسسوا نظرية عدالة الصحابة، وهو مبشر بالجنة. فإذا كان علي صحابيا، فلماذا فرضتم لعنه فوق كل المنابر وفي كل الأمصار الإسلامية ؟

ولماذا لعنتموه وشتمتموه فعلا ؟ ألستم أنتم الذين حددتم عقوبة من يشتم الصحابي فقلتم: إنه زنديق، لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ؟ أم أن عدالة كل الصحابة

تعمل لصالح الجميع إلا لصالح علي وأهل بيته ؟ حيث تتعطل عندهم ولا تعمل ولا تخلع عليهم صفة العدالة ؟

مثال آخر من الواقع

الحسن بن علي والحسين بن علي سيدا شباب أهل الجنة في الجنة، وريحانتا النبي من هذه الأمة، وهما ابنا رسول الله بالنص، فقد جعل الله ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذرية النبي من صلب علي، وهما صحابيان ومن العدول لأنهما صحابيان، ومن غير الجائز الانتقاص من صحابي أو شتمه أو طعنه، ومن يفعل ذلك فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه.... الخ.

فما بالكم بمن سموا الصحابي الحسن بن علي ؟ وما هو حكمكم بمن قتل الحسين وهجم عليه وعلى أهل بيته أن يثوبوا من

ماء الفوات وهو حلال للوحش والطير والحيوان وحتى للكلاب ؟ ألا يعتبر القتل انتقاصا ؟ مارأيكم بمن يقتل ذرية محمد كلها ويسلبها متاعها وهي ميتة ويسبي النساء وذرية محمد من الصحابة ونساء الذرية من الصحابة ؟!!!

توضيح الصورة

الذين سموا الحسن صحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي، والذين قتلوا عليا صحابة، والذين قتلوا الحسين صحابة، والذين أباحوا ذرية النبي في كربلاء صحابة، والذين لعنوا عليا وشتموه ومن والاه صحابة، والذين لم يقبلوا شهادة من يحب عليا صحابة.

تساؤل واستغراب

الحسن بن علي المسموم من العدول، لأنه من الصحابة، والذين سموه عدول، لأنهم من الصحابة، والحسين بن علي من العدول لأنه صحابي، والذين قتلوه من العدول، لأنهم من الصحابة، وذرية محمد التي قتلت في كربلاء عدول، لأنهم صحابة، والذين قتلوهم عدول، لأنهم صحابة.

السام (الذي ارتكب جريمة القتل بالسم) وهو الجاني، والمسموم وهو

الضحية في الجنة، لأنهم صحابة، ولأنهم عدول، والقاتل والمقتول في الجنة، فكلاهما صحابي ومن العدول، والسالب والمسلوب في الجنة، وكلاهما صحابي، وكلاهما من العدول.

هذه المساواة تشكل استهتارا بالعقل البشري ومظهرا من مظاهر العبودية المخجلة للتقليد.

أدت الرسالة

ونظرية عدالة الصحابة أدت الرسالة تماما. فعلي كمعاوية، فكلاهما صحابي، وهما من العدول، وكلاهما في الجنة، وكلاهما على الحق، والمنتصر هو ولي الأمة، والعام الذي انتصر أحدهما على الآخر هو عام الجماعة.

التقابل بالحماية

من آذى أهل البيت فقد آذى النبي، ويقابلها: من آذى صحابيا فقد آذى النبي، ومن أبغض أهل بيت محمد فهو في النار، ومن أبغض صحابيا على الاطلاق فهو في النار. وزيادة على الحماية المخصصة لأهل البيت فإن من انتقص صحابيا فهو زنديق، ويجب أن يعزل فلا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه، إنما ينبذ كجيفة ميتة. فنظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة الحماية المقررة لأهل البيت وزيادة.

في مجال البيان

القرآن هو الثقل الأكبر، وأهل بيت محمد هم الثقل الأصغر، والهداية لا تترك إلا بالتمسك بالثقلين. والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهما. هذا بالنص الشرعي القاطع [1]. وأهل البيت هم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق بالنص الشرعي القاطع وهم باب حطة، من دخله غفر له بالنص الشرعي القاطع. وهم أمان لهذه الأمة.

النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيته أمان لأمة محمد من الاختلاف بالنص

---

(1) في باب المرجعية والقيادة السياسية سأوثق كل كلمة قلتها.

الشرعي القاطع، والأمة بدونهم كالحمار إذا كسر صلبه، وعميدهم يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة النبي بالنص الشرعي [1].

أمثلة ما تعطيه نظرية عدالة كل الصحابة للصحابة

" مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام فلا يصلح الطعام إلا بالملح ". ورد هذا الحديث في الاستيعاب على هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ج 1 ص 7) وانظر إلى الحديث رقم 33792 (ج 12 ص 22) من كنز العمال حيث جاء فيه بالحرف: قريش صلاح الناس، ولا يصلح الناس إلا بهم، ولا يعطى إلا عليهم، كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح... نقله عن ابن عدي في الكامل عن عائشة. وانظر الحديث 33807 (ج 12 ص 25) " أمان لأهل الأرض من الغرق القريش، وأمان الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش، قريش أهل الله، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب صاروا حزب إبليس ". وقد نقله عن الطواني في الكبير، وعن الحاكم في مستدركه.

وقد روى الترمذي وابن حيان كما ذكر ابن حجر في الإصابة (ص 19) أن الرسول (ص) قد قال: " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " [2].

نصوص للتدبر

أ – قال (ص): " يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك فقد فارقني " [3].

وقال: " من آذى عليا فقد آذاني " [4].

وقال: " من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض عليا فقد أبغضني " [5].

---

(1) في باب المرجعية والقيادة السياسية سأوثق كل كلمة قلتها هنا.

(2)راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص 19.

(3) أخرجه الحاكم في مستدركه ص 124 ج 3 ، وصححه على طريق الشيخين.

(4) أخوجه الحاكم في ج 3 ص 130 من المستدرك.

(5) أخوجه الحاكم في ج 3 ص 130 من المستدرك.

وقال لعلي مرة: " حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي " [1].

وقال: " طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك " [2] وقال: " أوصي من آمن بي وصدقني ولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله " [3].

ب – قال (ص): " النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب، واختلفوا فصاروا حزب إبليس " [4]. وانظر إلى قوله (ص): " النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي " [5].

تساؤلات

ماذا يكون الموقف لو أن صحابيا أبغض عليا أو آذاه، أو أن عليا أبغض صحابيا أو آذاه فمن نتبع ؟ ومن هو المحق ومن هو المبطل ؟ ماذا يكون الموقف لو أن قريشا قالت: نحن أمان لهذه الأمة، وقال أهل البيت: نحن أمان لهذه الأمة ؟ فمن نصدق ؟ ماذا يكون الموقف لو أن قسما من الأمة اتبعوا قريشا، وقسما آخر اتبعوا أهل البيت ؟ وكل فريق زعم أنه على الحق، فمن هو الذي على الحق في الحق والحقيقة ؟

أنظر إلى الحديث المكذوب على رسول الله (ص) وهو: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ".

(1) أخرجه الحاكم ج 3 ص 135.

(2) أخوجه الطواني في الكبير وهو الحديث 2571 ج 3 ص 154 من الكنز، وأخوجه ابن عساكر.

(3) راجع الحديث 2576 ص 155 ج 6 من الكنز، وأخوجه الطواني.

(4) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية.

(5) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية.

هذا حديث مكذوب. يقول ابن تيمية على الصفحة 551 من كتاب " المنتقى " للذهبي: "وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه ". فلو أن مجموعة من الصحابة وقفوا مع علي، ومجموعة أخرى وقفوا مع معاوية، ومجموعة ثالثة اعتزلت الفريقين، ومجموعة رابعة تربصت لترى من يغلب فتقف معه، فهل يعقل شرعا وعقلا أن من يتبع أي مجموعة من هذه المجموعات الأربعة هو محق ؟

فمن يكون المبطل إذا ؟!!.

ماذا يكون الموقف لو أن صحابيا قال: إن الحق عندي هنا في الشرق. وبنفس الوقت قال صحابي آخر: إن الحق عندي في الغرب، ثم قال ثالث: إن الحق عندي هنا في الشمال، وقال رابع: إن الحق عندي هنا في الجنوب، وقال خامس: إن الحق عندي هنا في زاوية 45 شمال... الخ، وانقسمت الأمة 73 فرقة كما أخبرنا النبي، وبيد كل فرقة ذريعة، فهل يعقل بالشرع والعقل أن يكونوا كلهم على الحق ؟

إنه لا يوجد إلا حق واحد!! إن الفرقة جريمة، وإن الوحدة قربة من الله، فهل يعقل أن يفرق النبي أمته ؟.

تلقين الحجة بالواسطة

قال النبي (ص) لعلي: " أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي " [1].

(مع أن أبا حنيفة كان متحمسا للعباس، فقد كان يقدم رأي الصحابي عليه إذا تعارضا في مورد من الموارد) [2]. وجاء عنه أنه كان يقول: " إن لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، فإن اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة أخذت بقول من شئت وأدع من شئت، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين " [3].

---

(1) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد، وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء.

(2) المستصفى للغزالي ص 35 – 136 وآراء علماء المسلمين في التقية، والصحابة للسيد الرضوي.

(3) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة ص 304.

وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: " إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول: النص، والثاني: فتوى الصحابة، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحابي، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلا على التخصيص، وقوله بمنزلة عمله " [1].

ونذكر بالمناسبة بأن سنة الرسول تعني: القول والفعل والتقرير. ولاحظ " وقوله عن الصحابي بمنزلة عمله ". فقول الصحابي على الاطلاق بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي يخصص عموم القرآن ويقيد مطلقاته، كأن قول الصحابي وحي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمشكلة أي صحابي بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي. إن نظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة ما لم يعطه الشرع لأئمة أهل البيت.

قال ابن خلدون: إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه، ومحكمه، وسائر أدلته بما تلقوه من النبي (ص) أو ممن سمعه منهم وعن عليتهم، وكانوا يسمون لذلك " القراء " أي الذين يقرأون الكتاب، لأن العرب كانوا أمة أمية، فاختص من كان قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة.

وعن محمد بن أبي سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: " كان الذين يفتون على عهد رسول الله ثلاثة نفر من المهاجرين

وثلاثة نفر من الأنصار: عمر وعثمان وعلي، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت.

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد مشاورة أهل الرأي دعا رجالا من المهاجرين والأنصار. دعا عمر وعثمان وعليا و عبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء

(1) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي.

كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر [1].

التوسعة في التفقه

أنت تلاحظ أن نظرية عدالة كل الصحابة نسفت كل الأعراف التي اعتمدت زمن أبي بكر وعمر وخرجت عن كل المفاهيم المألوفة في عهده (ص)، وأعطت الفرصة لكل صحابي على الاطلاق وبالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ليدلي بدلوه في كل مسألة من المسائل. ومن حق المجتهد والباحث عن الجواب للسؤال المطروح أن يأخذ برأي أي واحد من هؤلاء الصحابة. كيف لا وكلهم عدول، وكلهم من أهل الجنة، ولا يجوز عليهم الكذب، فاختلطت الأمور، فالمتقدم كالمتأخر، والطليق كالمهاجر، فكلهم ينعم بصفة العدالة، ولا تثريب عليه، ولا معقب لقوله حسب الاطار العام لنظرية عدالة كل الصحابة وما يروى عنهم. وتثبت صحة نسبته إليهم، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل، لأنه قد صدر عن عدول بإمكانهم أن يخصصوا العام من القرآن، وأن يقيدوا المطلق منه. ومن هنا فقد كانت الجهود منصبة بالدرجة الأولى على درس حياة أولئك الذين ينقلون هذه الأحاديث والتحقق من حسن سيرتهم، وصدق إيمانهم، وصدق أقوالهم. فإذا توافرت هذه الصفات بالراوي، وتحققت نسبة النص إلى الصحابي، فهذا النص حق لأنه صادر عن صحابي من العدول.

قيد على الرواة من حيث المبدأ

يمكن لأحد الرواة أن يتشيع لأبي بكر أو لعمر أو لعثمان أو لسعد أو لأي صحابي على الاطلاق. فهذا لا يخدش بصدقه وأمانته، ولا يكون محلا للشبهة، إنما الشبهة تقع على من يوالي عليا وأهل البيت ويتشيع لهم، فمن المحال أن يكون ثقة ولا تقبل روايته، وإذا اجتمع عدة رواة كلهم ثقات وبينهم رجل يحب أهل البيت، ويتشيع لهم فيترك الحديث كله، لأنهم لا يقبلون إلا رواية الثقة، والثقة

(1) راجع طبقات ابن سعد ج 4 ص 168، وراجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص 50 وما فوق.

والتشيع لأهل بيت محمد لا يجتمعان.

قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) فقال: ليس بثقة. ويحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذين جعلوا قولهم في الرجال حجة قاطعة.

فتصور أن الشافعي صاحب المذهب ليس بثقة بنظر ابن معين، لأن فيه بعض التشيع لأهل البيت. وقد أدرك الذهبي أن هذا غير معقول فقال: " وكلام ابن معين في الشافعي إنما كان من فلتات اللسان بالهوى والعصبية ". والإمام جعفر بن محمد الصادق أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة وصاحب مدرسة تخرج منها أربعة آلاف فقيه ومحدث، وهو صاحب مذهب أهل البيت الكرام، وعلم شامخ من أعلام النبوة وثقة أبو حاتم والنسائي، إلا أن البخاري لم يحتج به كأنه ليس ثقة مع أنه قد روى لمروان بن الحكم.

قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد بن خالد الجلي حين وثقه (شيعي) قال: وشيعي ثقة ؟ إنه يستغرب أن يتشيع رجل لأهل البيت ويكون ثقة.

ومن لا يواليهم ولا يشايعهم فهو ثقة. قال العجلي في عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين وأهل البيت في كربلاء: هو تابعي ثقة روى عنه الناس. وقال العجلي كذلك في عمران بن حطان: ثقة، وعمران هذا مدح ابن ملجم لعنه الله، وابن ملجم هو قاتل الإمام علي. يقول عمران في مدح ابن ملجم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ عند الله رضوانا

الباب الثالث

المرجعية

الفصل الأول

المرجعية

يبدو واضحا أن نظرية عدالة كل الصحابة قد أوجدت مرجعية واقعية تركت بصماتها على الحياة الفقهية والسياسية الإسلامية، وصارت بحكم النقل والتقليد كأنها هي المرجعية الشرعية التي حددها الله وبينها رسوله. أما المرجعية الشرعية نفسها فأصبحت غريبة لكثرة تناسيها وإيراز المرجعية البديلة لها، وظن بعض الناس – وإن بعض الظن إثم – أن المرجعية الشرعية هي غير شرعية، وأن المرجعية البديلة هي نفسها الشرعية. وفي سبيل بيان الحقائق الشرعية المجردة لا بد من إفراد

باب خاص لهذه الناحية.

ما معنى المرجعية

تعني المرجعية تلك الجهة المختصة ببيان أحكام وقواعد العقيدة الإسلامية الإلهية لا على سبيل الافتراض والتخمين، إنما على سبيل الجزم واليقين، بحيث يكون بيانها هذا هو عين المقصود الإلهي من هذه الأحكام، وبالتالي يتقبل الإنسان المؤمن بهذه العقيدة بيان تلك المرجعية على أنه حقيقة إيمانية أو عقلية تصلح كمنطلق فكري أو كقاعدة يبنى فوقها أو كطريق يسار عليها. فالنبي، هو المرجع لكل المسلمين خلال حياته، يرجعون إليه في أمور عقيدتهم، وقوله الفصل لأنه هو الأعلم بأحكام العقيدة، وعميد أهل بيت النبوة – الإمام – بعد وفاة النبي هو المرجع لأنه الأعلم بأحكام العقيدة – حسب رأي الشيعة – والصحابة مجتمعين ومنفردين هم المرجع أو المراجع لبيان أحكام العقيدة بعد وفاة النبي، فهم مجتمعين عدول كلهم وكل واحد منهم من العدول وهم من أهل الجنة وهم الشهود الذين نقلوا لنا هذا

الدين [1] . لذلك فهم المرجعية الشرعية. فالاقتداء بأي واحد منهم يقود للهداية حتما. وبموت الصحابة فالمرجع هو الحاكم ينظر بالآراء والاجتهادات المطروحة أمامه ثم يختار منها ما يريد. وهذه الاجتهادات المعروضة هي أقوال سابقة للصحابة في مسائل طرحت في زمانهم. والحاكم المرجع أي حاكم لأن المسلمين مع من غلب. [2] " نحن مع من غلب " [3] وهذا قول مشهور للصحابي عبد الله بن عمر.

وهذا رأي أهل السنة، فالغالب هو المرجع يجتهد بنفسه حتى ولو لم يكن مجتهدا، أو يأخذ برأي من شاء من المجتهدين حتى لو لم يكونوا مجتهدين بالحق والحقيقة كما سنرى.

تلازم المرجعية مع العقيدة

تتلازم المرجعية مع العقيدة وترتبط معها ارتباطا عضويا. فالمرجعية تنهل من العقيدة، فلا عقيدة بدون مرجعية ولا مرجعية إلا في عقيدة، لأن المهمة الأساسية للمرجعية هي بيان العقيدة الإلهية. فالنبي يبين هذه العقيدة عين البيان الذي يريد الله تعالى، والمرجع بعد النبي بين هذه العقيدة عين البيان الذي أراده الله وبينه النبي.

فالعقيدة الإلهية حددت معاني الأقوال والأفعال، وحددت الأهداف ووسائل بلوغها، ونظمت العلاقات بين المؤمنين بها وعلى كل الأصعدة. فيكون دور المرجع منحصرا ببيان العقيدة بيانا كاملا وتكييفها على الوقائع المستجدة.

فالمرجع هو المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغايات تلك العقيدة من النظر إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معا. فبيان النبي للعقيدة الإلهية هو جزء منها ويحسب من جملة مضامين العقيدة لأنه نبي، ولكن بيان علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين أو جعفر الصادق، أو أي إمام لا يعتبر جزءا من العقيدة إنما يعتبر سوابق دستورية وضرورية لمن يريد أن يلتقي عمله مع

(1) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر ص 5 وما فوق.

(2)راجع نظام الحكم للقاسمي ص 244 – 245.

(3)راجع نظام الحكم للقاسمي ص 244 – 245.

المقصود الإلهي، ولكن بيانه يلزم كل المؤمنين بمرجعيته ولا يجوز مخالفته شرعا لأنه الإمام الشرعي القائم مقام النبي وطاعته هي طاعة للنبي.

المرجعية اختصاص وعمل فني تماما

فالعقيدة هي السفينة، والمرجع بمثابة القبطان لهذه السفينة. والعقيدة هي المخططات اللازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي، والمرجع هو المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشرح هذه المخططات وبيانها وترجمتها مرحليا إلى واقع مادي ملموس ومحسوس. فالمرجع هو معلم البناء، ومن الجنون تحضير المواد الأولية اللازمة للبناء والشروع بالبناء دون مشورة وعلم المهندس أو معلم البناء. وعلى صعيد العقيدة الإسلامية يجب أن يكون المرجع أعلم أهل زمانه بهذه العقيدة، وأكثر أهل زمانه إخلاصا لها، وأكثرهم اعتصاما بالله وأفضل الموجودين وأنسبهم للقيادة والمرجعية لأن المرجع هو الحكم (بفتح الحاء والكاف) وهو الناطق بالحكم الإلهي. ويفترض أن ما تتبناه هذه المرجعية هو عين المقصود الإلهي.

تعددية المراجع

لا يوجد في العقيدة الإلهية الواحدة إلا مرجع واحد، فالنبي هو المرجع الأعلى لكل ما يتعلق بالإسلام. وموسى هو المرجع الأعلى في زمانه، فإذا افترق عن هارون يصبح هارون مرجعا مرتبطا بموسى وتابعا له، وإذا اجتمعا فالمرجع هو موسى. وهكذا عيسى فهو المرجع في كل الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية، لأن تعدد المراجع في العقيدة الواحدة يؤدي بصورة حتمية لتفسخ العقيدة وتفوق أتباعها، واستنباط عقائد جديدة من الناحية الواقعية.

فالمرجعية في الإسلام هي مرجعية واحدة وهي اختصاص ومن أعظم ضرورات الدين. فإذا انعدمت المرجعية الشرعية يركب كل مسلم رأسه، أو تركب كل مجموعة من المسلمين رأسها، وتعتقد لكثرة ممارستها للخطأ أن الحق معها، وتتفوق الكلمة، ويتشتت شمل الأمة ولا يلمها ثانية إلا وجود مرجع واحد تعتبر كلمته حقيقة عقلية وإيمانية يتقبلها المسلمون عن رضى خاطر. وهذه هي السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين

الفارق بين العقيدة والمرجعية

هو الفارق بين الدعوة وبين الداعية، فالدعوة المحمدية تقوم على أساسين:

القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير، وهذه خاصية لمحمد (صلى الله عليه وآله). فالعقيدة هي القرآن الكريم، وبيان هذا القرآن المتمثل بقول الرسول (ص) وفعله وتقريره على اعتبار أن الشخص المبين وهو الرسول جزء لا يتجزأ من العقيدة والوثوق به وموالاته والتسليم بصحة فهمه للدين جزء لا يتجزأ من الدين. لذلك فقوله فصل في كل

أمر من الأمور لأنه الأعلم والأفهم بالعقيدة والأفضل والأنسب لقيادة أتباعها.

ثم اكتمل الدين وتمت النعمة الإلهية، وبين القرآن كل شئ، وانتقل الرسول إلى جوار ربه، فترك العقيدة، وهي القرآن الكريم، والبيان وهو قول الرسول وفعله وتقريره. أما المرجعية بعده فموضوع آخر حيث تكون مهمتها بيان العقيدة الإلهية وتكييفها على الوقائع الحياتية في زمن ذلك المرجع.

وللتوضيح نقول: إن العقيدة هي بمثابة السفينة، وإن المرجع هو بمثابة القبطان، وإن العقيدة هي بمثابة المخططات العامة والتفصيلية، وإن المرجع هو بمثابة المهندس المختص بفهم هذه المخططات. إن العقيدة هي المواد الأولية اللازمة لبناء الصرح المنشود، وإن المرجع هو معلم البناء. إن العقيدة بناء فكري، أو إن شئت فقل شخص اعتباري قائم بذاته، وإن المرجع هو المعبر عن موقف هذا الشخص الاعتباري من القضايا المطروحة. ولك أن تقول: إن العقيدة هي الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء وإن المرجع هو الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصرف العلاج اللازم المناسب تماما لهذا المرض من الصيدلية الكبرى، وهي العقيدة.

تجذير الحكمة من وجود المرجعية

إذا أوحى الله تبارك وتعالى لكل إنسان وجه إلى الخير حرا، وخصص له ملكا من السماء يرافقه ويقومه، فإن هذا الإنسان لا يستحق الأجر لأنه مكره على الفعل أو

مكره على الامتناع عنه.

والأمر الذي يتناسب مع نظرية الابتلاء الإلهية هو أن يرزق الإنسان القوة على التمييز بين الحق والباطل بعد أن بين له الله الحق من الباطل ويؤتيه القوة على فعل الحق وفعل الباطل. ثم يبين له الله الحق من الباطل المباح والحلال والحرام، ثم يعطي الإنسان بعد ذلك الحرية ليعمل الحق بإرادته وحريته ورضاه أو يأتي الباطل بحريته ورضاه وإرادته. هنا فقط يستحق الإنسان المكلف الثواب إذا أصاب والعقاب إذا أخطأ.

تلك هي الأرضية التي انطلقت منها فكرة الرسالات الإلهية إلى بني البشر، وانطلقت منها فكرة المرجعية كضرورة من ضرورات بيان الرسالات الإلهية، فدارت فكرة الرسالة الإلهية حول محورين:

1 – رسول يبلغ الرسالة وهي مرجعها الأرضي.

2 – رسالة لها مضمون يتعذر تبليغها بدون رسول أو مرجع. وهذه الرسالة معدة من قبل الله وهي مشروع هداية إلهية. فالله تعالى هو المرجع الأعلى للرسول في كل ما يتعلق بالرسالة ومضمونها وبيانها.

فالخطوة الأولى هي اختيار الرسول أو المرجع.

والخطوة الثانية هي إفهام الرسول مضامين هذه الرسالة الإلهية (العقيدة).

والخطوة الثالثة هي قيام الرسول بتبليغ هذه الرسالة لأصحابها وبيانها بيانا كاملا، ورصد ردة فعلهم عليها ليكون هو

الشاهد. الناس يرجعون إلى الرسول بوصفه المرجع الذي يفهم الرسالة فهما يقينيا، وما أشكل على الرسول من أمور الرسالة يرجع به إلى الله. تلك حقيقة لا يجادل بها إلا جاهل.

كان الرسول – أي رسول – هو المرجع لمن اتبعه ليوضح وليبين للأتباع ومن بلغ مضامين الرسالة وكيف تتحول هذه المضامين الإلهية من النصوص النظرية إلى التطبيق العملي، وكيف تنفذ على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

فإذا مات الرسول – أي رسول – فإن العقيدة باقية بالضرورة ما دام لها أتباع ويستدعي بالضرورة وجود مرجع ليقوم بدور البيان والشهادة. وهذا من ضرورات الرسالة، وعملية الابتلاء أن يكون للعقيدة الواحدة مرجع واحد ليقوم بقيادة مسيرة

قافلة الإيمان سواء أكانت على مستوى الدعوى أو مستوى الدولة إن نجحت المرجعية بتحويل الدعوة إلى دولته.

المرجعية أكبر من أن تنكر

قلت في مقال نشر في عدد جريدة اللواء الأردنية رقم 955 تاريخ 17 صفر عام 1412 هـ ما يلي: الأحزاب الدينية العربية لا تجهل أن الرسالات الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال تاريخ الجنس البشري على الأرض. فهل تتفضل الأحزاب الدينية العربية مشكورة ومأجورة فتبين للمسلمين متى أرسل الله رسالة بدون رسول ؟

ومتى خصهم بعقيدة من دون مرجع ؟ معكم الدنيا طولا وعرضا، فوقا وتحتا من لدن آدم حتى محمد (صلى الله عليه وآله)، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا بإذن الله فقد آن الأوان أن تتركوا التقليد الأعمى وأن تتقوا الله في دينكم وأنفسكم، وفي أمتكم وفي الجنس البشري الذي يعلق ضموه كبير الآمال على دينكم لينقذه والعالم من براثن المادية المقوقفة إلى رحابة التكييف الإلهي للأحداث والأحكام.

فالعقيدة الإسلامية لها مرجع وهو رسول الله، وبعد موته بينت هذه العقيدة المرجعية من بعده، لأن المرجعية ضرورة من ضرورات الحياة.

فالأسرة لها مرجع، والدولة لها مرجع، والنظام له مرجع. وكل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجع بالضرورة، لأن المرجع عنصر أساسي لكل دعوة ولكل تجمع بشري ولكل عقيدة ولكل دولة. وسبب المصائب التي حلت بالمسلمين يعود في جوهره إلى استبعاد المرجعية الشرعية التي عينها الله، والتمسك بالمرجعية البديلة التي فرضتها الغلبة واستكان الناس لها بحكم التقليد.

الفصل الثاني

العقيدة

الرابطة بين العقيدة وبين المرجعية رابطة عضوية. فحيثما وجدت العقيدة يستتبع بالضرورة وجود مرجعية لأن التلازم

والتكامل حاصل وبالضرورة بين العقيدة والموجبة، ولتوضيح الموجبة توضيحا كافيا لا بد من بحث موضوع العقيدة إذ يتعذر فهم إحداهما دون فهم الآخر.

ما معنى العقيدة ؟

تعني العقيدة عموما مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المترابطة والمتكاملة والتي تقدم تصورا للوجود لما هو كائن، ولما ينبغي أن يكون أو تصورا للحال وللمآل بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده، عن شموليته أو محدوديته، عن كماله أو قصوره. فتجتذب هذه العقيدة جماعة معينة تقتنع بهذا التصور، فتحدد هذه الجماعة قناعاتها وأهدافها وطرق بلوغ تلك الأهداف وفق مقاييس تلك العقيدة، فتكون هذه العقيدة هي القائدة وهي الموجهة ومنبع الشرعية والمشروعية في حياة تلك الجماعة وهي منبع خيرها العام.

ومن الطبيعي أن كل عقيدة بهذا المفهوم تدعي القوة على سياسة حياة معتنقيها، والقوة على تقديم الحلول الناجعة لمشكلاتهم، واستشراق المستقبل الأفضل لهم، وتزعم أنها تمتلك الوسيلة لتحقيق الخير العام لهذه الجماعة. وما زال تلك العقيدة تعتمل في نفوس معتنقيها وتحرك إرادتهم حتى يقدموها كمذهب سياسي له الجاهزية على إثبات دعوى القوة تلك أو عدم إثباتها من خلال سلطة تسوس الجماعة وفق تصورات تلك العقيدة، لأن المذهب السياسي هو بمثابة

البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدمه تلك العقيدة، وهو بمثابة الاعلان عن جاهزية فكر وفلسفة ومبادئ هذه العقيدة لتوضع كلها موضع المحك والتطبيق وهو يتناول الأهداف والوسائل اللازمة لتحقيق تلك الأهداف، وكل ذلك يرتبط عمليا بوجود سلطة دولة أو حكم لينقل هذا البرنامج من عالم النظر القانوني إلى عالم الواقع القانوني. وبهذا المفهوم فإن الرأسمالية التحررية عقيدة وإن الماركسية الشيوعية عقيدة.

نوعا العقائد

عرفت البشرية نوعين من العقائد: 1 – عقائد إلهية من صنع الله 2 – عقائد وضعية من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد أو إن شئت فقل من تجميع فرد أو مجموعة من الأفراد.

صناعة العقائد ولوازم إيجادها

ومن يتعمق بالموضوع يكتشف أن بإمكان الإنسان أن يفهم عقيدة – أي عقيدة صالحة كانت أم طالحة – ولكن الإنسان عاجز عن صنع وإيجاد عقيدة صحيحة، وهو بطبعه غير مؤهل لإيجادها، بل ويمكنك القول بكل ارتياح أن الجنس البشري لو اجتمع كله على صعيد واحد لما استطاع أن يصنع عقيدة صحيحة ويقينية، مع أن اجتماع الجنس البشري كله على صعيد واحد غير وارد وغير ممكن، وبالتالي فإيجاد العقيدة الصحيحة أمر فوق مستوى البشر، وفوق طاقتهم لأن هذا يتطلب معرفة يقينية بماضي الجنس البشري وبتفاصيل تجاربه، وهذا ركن أساسي يبنى فوقه، ويتطلب إيجاد العقيدة الصحيحة معرفة يقينية بالفطرة

الإنسانية وحاجات الإنسان ودوافعه وميوله، بالإضافة إلى معرفة يقينية بالمستقبل لأنه هو الذي سيشهد زمنيا نجاح أو فشل هذه العقيدة أو تلك، ويتطلب أخيرا معرفة بالكون المحيط بالإنسان معرفة يقينية وهذه المعارف لا يدعيها فرد ولا تدعيها جماعة ولا يدعيها الجنس البشري كله.

فالعقيدة التي يضعها بشر ستنهار عاجلا أم آجلا لسبب بسيط هو أن الإنسان غير مؤهل بطبعه لإيجاد عقيدة. والعقيدة اليقينية التي تصلح أن تكون أساسا دائما للسلطة

هي العقيدة التي وضعها الله الخالق وهي عقيدة الإسلام التي كانت بالفعل هي أساس السلطة لدولة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

ملامح عقيدة الإسلام

1 – على الصعيد العملي: الإسلام هو الانقياد التام لله جل وعلا في كل شأن من شؤون الحياتين الدنيا والآخرة، بحيث يكون عمل الإنسان وعمل الجماعة المسلمة وعمل الدولة المسلمة – وعلى كافة الأصعدة – خاضعا لموازين الأوامر والنواهي الإلهية المحددة بالرسالة الإلهية (العقيدة) النافذة المفعول وهي رسالة الإسلام، ومتجها لتحقيق غاياتها الشرعية، ونعني بالعمل: الحركة المضبوطة بالفكرة الشريعة والنية الشرعية.

2 – على الصعيد النظري: تعني العقيدة الإسلامية مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقام هذا النبي ببيانها للناس نظريا عبر دعوة وعبر دولة. ثم وضعها موضع التطبيق من خلال دعوة قادها بنفسه ومن خلال دولة ترأسها بنفسه.

فالعقيدة تشمل ما أنزله الله وأوحاه إلى نبيه، وتشمل قول النبي وفعله وتقريره.

وهذه العقيدة بمجموعها تبين كيف وجدت الحياة ؟ ولماذا ؟ وكيف تنتهي ؟

ومتى ؟، وما هي مآلاتها ؟ وتنظم العلاقات بين الأحياء على الاطلاق، علاقات الكائنات الحية مع الخالق ومع بعضها ومع الكون الضروري لوجودها والمسخر لخدمتها، وتبين كيفية انتهاء دورة الحياة كلها، وكيف تنتهي الدورة الحياتية لكل كائن حي مخلوق، وتكشف عن وجود حياة أخرى هي بمثابة قاعة محاكمة لكل الذين مروا بدورة الحياة الدنيا على ما قدموه، وهي بمثابة نتيجة فيأخذ المصيب أجره كاملا ويلقى المخطئ عقابه.

وهذه العقيدة سجل حافل لتاريخ الخلق عامة والجنس البشري خاصة حفظت تجاربهم بصدق وموضوعية تصل إلى درجة التصوير الفني المشاهد صوتا وشكلا وحركة، ظاهرا وباطنا.

وهي نظام للفرد كفرد، وللمجتمع كمجتمع، وللسلطة كسلطة، وللجنس البشري كله، تنظم حياة كل واحد منهم على انفراد،

وتنظم علاقاتهم مع بعضهم وعلاقاتهم مع خالقهم، وعلاقاتهم مع العالم المحيط بهم، وتوفدهم جميعا بدعوة، وتعزز الدعوة بدولة، وتعزز الدولة بأهداف ومثل عليا.

وهذه العقيدة غائية، بمعنى أنها تحدد الأهداف. فلكل قاعدة من قواعدها هدف وجدت من أجله ورصدت عليه، وللفرد هدف وللمجتمع هدف، وللسلطة هدف، وللجنس البشري هدف. وهذه الأهداف كلها تصب في مكان واحد هو نفس الهدف العام للإسلام. وهذه الأهداف محددة و (معروفة) بشكل تعكس طوعيا كامل الطاقة الكامنة في ذات الفرد وذات الجماعة وذات السلطة وذات الجنس البشري وذات الكائنات المحيطة بهم والمسخرة لخدمتهم، كامل الطاقة لا زيادة ولا نقصان، لأن الشئ لا يملك إلا طاقته ولم تكتف العقيدة الإسلامية بتحديد الأهداف، إنما حددت الوسائل والسبل والطرق اللازمة لتحقيق هذه الأهداف وبينتها على وجه يزيل كل غموض.

التصور اليقيني

بمعنى أن الإسلام كعقيدة يقدم تصورا يقينيا شاملا وكاملا ويقينا يقوم على الجزم واليقين. وهذا التصور اليقيني يغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل العامة والخاصة وفي كافة نواحي الحياة وعلى كافة الأصعدة الفردية والجماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية... الخ. وهذا التصور اليقيني هو بمثابة مخططات عامة وتفصيلية دقيقة لواقع ما هو كائن ومستقبل هذا الكائن في دائرة الواقع، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الكائن في دائرة المنى الذي سيتحول إلى واقع بحيث تقودك هذه المخططات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية الشرعية من أقصر الطرق وبأقل التكاليف، وفي كل أمر من الأمور. عندئذ تكون العقيدة هي القائدة والموجهة، وهي منبع الشرعية، وتستقر كبنية فكرية كاملة، وتدعم هذا الاستقرار القناعة الذاتية والرضى بهذه العقيدة القائمة على الجزم واليقين، بعكس العقائد الوضعية التي تقوم على الافتراض والتخمين والتي ستنهار في النهاية عاجلا أم آجلا.

المنظومة الحقوقية الإلهية

بمعنى أن العقيدة الإسلامية هي مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على عبده محمد (صلى الله عليه وآله)، وقام هذا النبي ببيانها للناس عبر دعوة قادها بنفسه، وعبر دولة تزأسها بنفسه. فالمنزل من عند الله والمبين من رسول الله بالقول والفعل والتقرير يشكل منظومة حقوقية إلهية هي بمثابة القانون النافذ، الصالح لكل زمان.

ومنظر هذه المجموعة ومبينها بعد وفاة النبي هو المرجع الشرعي.

الفصل الثالث

من هو المختص بتعيين المرجعية

قلنا: إن كل عقيدة إلهية على الاطلاق لا بد لها بالضرورة من مرجعية شرعية تتلازم معها وتتكامل. ومن المستحيل أن تكون هنالك عقيدة إلهية بدون مرجعية تتولى بيان هذه العقيدة الإلهية. وهذا المرجع يجب أن يكون بالضرورة هو الأعلم في هذه العقيدة، والأكثر فهما لها، والأكثر إخلاصا لها، وخير الموجودين وأفضلهم وأنسبهم لا على سبيل الافتراض والتخمين، إنما على سبيل الجزم واليقين. وتلك أمور خفية لا يعلمها العلم اليقيني إلا الله العالم بالسر وأخفى. ومن هنا اختص تعالى بتعيين هذه المرجعية واختيارها، تلك حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل.

وهذه الصفات مجتمعة أعلنت العناية الإلهية أنها متوفرة في كل الأنبياء الذين اختارهم الله وحده عبر التاريخ البشري لتبليغ رسالات ربهم. ولم يحفل باعتراضات المعترضين * (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) * * (هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) * لأن هذه الاعتراضات على الحكم الإلهي تنبع من الافتراض والتخمين، بينما الحكم الإلهي باختيار هؤلاء الأنبياء وتعيينهم مراجع قائم على الجزم واليقين بأنهم الأعلم والأفهم والأكثر إخلاصا، والأخير والأفضل والأنسب لبيان العقيدة الإلهية وقيادة سفينة الإسلام والولاية على الأتباع.

والخلاصة أن الله جلت قدرته هو الذي اختص بتعيين المراجع التي تولت بيان العقائد الإلهية طوال التاريخ لأنه هو وحده الذي يعلم من هو المؤهل لبيان هذه العقائد. ولم يصدف في التاريخ البشري كله أن ترك أمر تعيينهم واختيارهم إلى أهواء الناس أو آرائهم.

ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله ؟

لا خلاف بأن الأنبياء الكرام مراجع عينهم الله كلهم بلا استثناء، واختارهم بنفسه وأعلن هذا الاختيار. والسؤال: ما هي المهام والوظائف المناطة بهؤلاء المراجع الكرام ؟

1 – البيان: من المهام المشتركة بين كل الأنبياء والموكولة لكل الأنبياء كمراجع بيان قواعد العقيدة الإلهية، من صميم مهمة كل مرجع توضيح كامل العقيدة الإلهية، توضيحا كاملا على الصعيدين النظري والعملي من خلال دعوة بالضرورة تتمخض عن دولة، كما حدث لمحمد ولدعوة الإسلام. وقد لا تتمخض هذه الدعوة عن دولة كما حدث للكثير من الأنبياء، فالمرجع يبين القاعدة الإلهية نظريا كما تلقاها من الله بالضبط لا زيادة ولا نقصان، ثم يقوم بترجمة هذه القاعدة من عالم النظر إلى الحركة والتطبيق. فيكون البيان كاملا من الوجهتين النظرية والتطبيقية. فهو الذي يكيف النص على الواقعة بنفس التكييف الإلهي، وهو الذي يتأكد أن النص الإلهي قد حقق الغاية من وجوده على هذه الواقعة وعلى كل واقعة.

2 – تحديد دائرة الشرعية والمشروعية: يختص النبي المرجع ببيان حدود دائرة الشرعية والمشروعية، وقد حددها كل نبي

مرجع ب : - 1 - عقيدة إلهية تشكل مركز دائرة الشرعية والمشروعية، وهي ما أنزله الله على المرجع سواء باللفظ والمعنى معا كالتوراة والإنجيل والقرآن، أو بالمعنى كالحديث القدسي.

2 - بيان النبي المرجع لهذه العقيدة الإلهية بشقيه النظري والعملي.

3 - وحدة العقيدة مع بيان المرجع، إذ يتعذر الفصل بينهما. فالعقيدة الإلهية والبيان وجهان لعملة واحدة، إذ يتعذر فهم العقيدة بدون بيان، ويتعذر استيعاب البيان دون الرجوع لأساسه. فما أنزل الله هو الأساس وبناء الهدى والبيان هو أبواب هذا البناء. 3 - الولاية على الأتباع: ومن مهام النبي المرجع أن يكون الولي والإمام على أتباع

العقيدة يصرف أمورهم ويسوسهم وفق أحكام وقواعد العقيدة الإلهية. وهذا ما تأكد بالنسبة العملية. فمحمد (ص) هو المرجع الديني لاتباعه وهو الولي والإمام الزمني لهؤلاء الأتباع. فولاية المرجع دينية وزمنية معا بالشرع والعقل معا. فهو نفسه الذي قاد الدعوة، وهو نفسه الذي ترأس الدولة، وهو نفسه الذي أنزل عليه الذكر، وهو نفسه الذي بين هذا الذكر وطبقه.

4 - منع حدوث الضلالة: في عهد النبي المرجع يتحقق الهدى وتختفي الضلالة بتوفر ركنين:

1 - ركن عقائدي حقوقي وهو اتباع قواعد العقيدة الإلهية (المنظومة الحقوقية الإلهية) وبيان النبي المرجع لهذه المنظومة.

2 - ركن شخصي وهو الولاية والإمامة للنبي المرجع بحيث يسوس هذا النبي المرجع أتباعه ويطبق عليهم العقيدة الإلهية بنفس الفهم والكيفية التي يتلقاها من الله، والمحافظة على وحدة هذين الركنين ضمانة لسيادة الهدى والشرعية وأي خلل تطبيقي فيهما أو بأحدهما يؤدي حتما إلى الضلالة، لأن الركن الشخصي تماما كالركن العقائدي، وهما معا صفقة واحدة.

فغير ممكن لشخص أن يؤمن بالعقيدة الإلهية ويرفض ولاية محمد، لأن الولاية جزء لا يتجزأ من العقيدة، وأي محاولة للتجزئة تدخل صاحبها بالضلالة بحجم تلك المحاولة.

5 - سفينة نجاة: النبي المرجع سفينة نجاة، من يركب معه فقد نجا ومن يتخلف عنه أو يركب بأي سفينة أخرى يغرق لا محالة.

6 - النبي المرجع باب للمغفرة: من دخله غفر الله له، ومن أبى دخول هذا الباب بقي حاملا لأوزاره.

7 - النبي المرجع يقود أتباعه للهدى: فمن يتبع النبي ويطعه فكأنما أطاع الله، لأن طاعة النبي طاعة لله، وطاعة الله هي الهدى، ومن يعص الله ويتبع سواه فقد عصى الله، ومن عصى الله فقد ضل ضلالا بعيدا.

8 - النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف: فعندما تتبع الأمة المؤمنة النبي

المرجع فإنها تسلك طريق الأمان، لأنها تسير على طريق واحد فهمه النبي ووعاه قبل أن يسلكه. فالطريق التي يسلكها مأمونة تماما ولا يتعثر بها أحد. وبغياب هذه المرجعية يقع الخلاف ويختفي الأمان ويضيع الناس فيتبعون (كل ناعق)، ويميلون مع الريح. فوجود مرجع واحد للأمة يفهم فهما مثاليا القواعد الإلهية عصمة للأمة من الاختلاف وتذكرة أمان للجميع.

9 – المرجع ثقل لاتباعه يتمسكون به فلا يسقطون ولا يضيعون.

10 – المرجع هو القدوة في العلم والتقوى والالتزام والحكم، وهو النموذج المتحرك للرباني المتمسك بالعقيدة الإلهية.

11 – تكثيف الجهود وتنسيق الطاقات المؤمنة لتعميم الهداية على الجنس البشري كله.

المرجعية خلال حياة النبي

طاعة الله تتمثل باتباع أوامره واجتناب نواهيه. والذي يعرف كنه الأوامر والنواهي هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فطاعة الرسول عمليا هي طاعة الله، ومعصية الرسول عمليا هي معصية الله. وقد تأكدت هذه الحقيقة في القرآن الكريم تسع مرات، لأن الرسول هو القيم على هذا الدين، وهو العالم بأسراره المطلع على خفاياه، والقادر على تخصيص العام من أحكامه وبيان المعنى المطلوب إن تعددت المعاني في النص الواحد، وبالتالي فإن المرجعية أثناء حياة الرسول محصورة به وبه وحده، لأن الله عصمه واصطفاه لهذه الغاية، ولا يمكن لأحد من أتباعه أن يفهم أوامر الله ونواهيه كما فهمهما الرسول بالتمام، لأن الرسول مميز ويجب أن يكون الأعلم والأفهم والأفضل ليرجع إليه أتباعه. فخلال حياته هو المرجع المختص ببيان الإسلام وبقيادة المسلمين بالإجماع ولا أحد يخالف هذه الحقيقة لأنها إيمانية وعقلية معا.

المرجعية بعد وفاة النبي قراءة أولية للواقع

حقيقة أنه قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه. اكتمل الدين وتمت النعمة،

وترسخت العقيدة، وطبعت الأحكام، وقام نظام الدولة وترأسها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مدة عشر سنوات.

لكن طبيعة الإسلام كآخر دين، وطبيعة قواعده المتعمقة بالعموم والشمول، وطبيعة المهمة الملقاة على عاتق المسلمين والمتمثلة بتقليص رقعة الكفر، وهداية الجنس البشري تقتضي بالضرورة وجود مرجعية بعد وفاة الرسول (ص)، وهذا أمر من البداهة بحيث أنه لا يحتاج إلى دليل ولا التقليد الأعمى، والتسليم بالواقع، وفطرة أغلبية الناس بإطاعة الغالب.

سيقول البعض – وخاصة الأحزاب الدينية العربية – إن علماء المسلمين هم المرجع بالمعنى الذي تقصده. والخليفة هو مرجع المراجع أيضا. ونحن نجيبهم بأن قولكم الأول غير عملي، فماذا يكون الموقف لو أن علماء المسلمين – على فرض إمكانية جمعهم في مكان واحد – قد افترقوا على فرقتين أو ثلاثة أو أكثر، وكل مجموعة لها وجهة نظر مستندة إلى ظاهر من الشرعية، وكلهم عمالقة بفقههم، وأصر كل فريق على رأيه، فأي فريق نتبع ؟ وأي رأي ننفذ ؟ ستقول الأحزاب الدينية العربية: إن الحاكم يتبنى الرأي الذي يراه مناسبا من هذه الآراء خلال فترة حكمه!!

إذن هم يعترفون أن الحاكم هو المرجع أو هو الذي يقوم بدور المرجع بوصفه خليفة النبي، ولكنكم تعلمون أنه قد توالى على رئاسة الدولة أعداد لا حصر لها من الخلفاء منهم التقي كعلي وأبي بكر، ومنهم أيضا مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد ابنه، ومنهم تأسس الدولة بالطريقة الشرعية، ومنهم تأسس الدولة ودانت له الناس لأنه الغالب وبحكم الحال

والاضطرار. فمروان ليس عالما وغير مؤهل لاختيار الحكم الأمثل.

الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي

رأينا أن كل نبي على الاطلاق مرجع بالضرورة، كلفه الله تعالى بمهام ووظائف وسيد الأنبياء وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله) قاد الدعوة إلى الله فنجحت دعوته، وأسوت عن دولة طبقت قواعد العقيدة الإلهية بيانا كاملا نظريا وعمليا، وأعلن الله أنه قد أكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته. وخير النبي

فاختار ما عند الله. ولم يفاجئه الموت، إنما مرض ثم انتقل إلى جوار ربه تاركا دعوة قائمة ودولة ماثلة، ودينا يباهي به الدنيا، إنه تبيان لكل شئ * (تبيانا لكل شئ) * على الاطلاق. من هو المرجع من بعده ؟ ومن الذي سيقوم بالوظائف التي كان يقوم بها ؟ من الذي يبين للناس أحكام العقيدة الإلهية ؟ ومن الذي يحدد دائرة الشرعية والمشروعية ؟ من هو ولي الأمة وركن مجدها القائم مقامه ؟ من هو سفينة النجاة ؟

من هو باب المغفرة ؟ من هو الأمان المخلص لهذه الأمة ؟ من هو ثقلها ؟ من هو مثلها الأعلى بعده ؟ من الذي يقود موكب المؤمنين لتحرير سكان العالم وانتشالهم من الظلمات إلى النور ؟

تساؤلات تحتاج إلى أجوبة

فإذا قال المسلمون إنه لم يعين المرجع من بعده، ولم يحدد من الذي سيقوم بوظائفه، ولا حدد من سيبين للناس أحكام العقيدة، ولا من الذي يحدد لهم دائرة الشرعية والمشروعية ولا بين من هو ولي الأمة من بعده، ولا من هو ركن مجدها القائم مقامه، ولا من هو ثقلها ؟ ولا من هو مثلها الأعلى ؟ ولا من هو الذي سيقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها.

فإذا قال المسلمون ذلك، فإن قولهم هذا يناقض كمال الدين وتمام النعمة، لأن هذه الأمور من صلب الدين ومن صميم النعمة ؟ ومن المحال أن تغفلها العقيدة الإلهية، ثم إنهم لو أصروا على ذلك لوجدوا أن العقيدة الإلهية تتحدى إصرارهم هذا وتعيبه ولا تقره، وأن هذا الاصرار يتعارض مع المنطق والعقل وأساسيات الحياة فضلا عن تناقضه الصارخ مع قواعد العقيدة الإلهية.

الفصل الرابع

مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي (ص)

وحول المرجعية بعد وفاة النبي انقسم المسلمون إلى قسمين رئيسين، وكل قسم من هذين القسمين زعم أنه على الحق المبين:

1 – التاريخيون: وهم الذين سوغوا ما جرى في التاريخ السياسي الإسلامي واعتبروه شرعيا من كل الوجوه، وبشكل

خاص عهد الخلفاء الراشدين، ويعرفون بأهل السنة، واصطلاح التسنن وأهل السنة نشأ في العهد الأموي، وبالتحديد في زمن معاوية حيث انتصرت القوة على الشرعية، واستقر الأمر نهائيا لمن غلب، ودانت الأكثرية الساحقة لهذا الغالب. ومن هنا سمي ذلك العام بعام الجماعة، وسمي الذين دانوا لمن غلب بالجماعة وهم حزب الدولة، فهم وإن اختلفوا معها في بعض المواقف إلا أن السمة الغالبة هي موالاة الدولة، لأن بيدها الأرزاق، فهي تعطيها لهم وتمنعها عمن يوالي غيرها، ومن جهة ثانية فإنهم قد اعتبروا الدولة رمزا لوحدة المسلمين.

2 – الشرعيون: وهم الذين عارضوا ما جرى في التاريخ واعتبروه غير شرعي مع اختلاف بحجم المعارضة ونسبة الخروج على الشرعية. فعصر الخلفاء الراشدين عصر ذهبي بالنسبة لعصر بني أمية، ولا مجال للمقارنة بين العصرين. وعصر بني العباس أكثر سوءا من العصر الأموي، وهم يعتقدون أن العقيدة الإلهية عينت المرجع بعد وفاة النبي، وأن الله لم يترك الأمر سدى، إنما رشح المرجعية للناس وحولها صلاحية الجمع بين الحكم والمرجعية، وأن المرجع المعين شرعا بعد وفاة النبي هو علي بن أبي طالب (عليه السلام). وقد رتب الشرع طريقة تعيين المرجعية بنص كل مرجع على الذي يليه، ويعرفون بالشيعة. وقد نشأ التشيع في

زمن النبي، والشيعة هم حزب المعارضة طوال التاريخ، وقد طوردوا من قبل الحكام طوال العهدين الأموي والعباسي خاصة، وحرموا من كافة حقوقهم، ولم تقبل شهاداتهم، وشطبت أسماؤهم من دواوين العطاء، ولاحقتهم لعنة الحكام طوال التاريخ.

وسنقوم ببيان رأي الفريقين بالمرجعية بعد وفاة النبي وإيراد حجة كل واحد منهما تباعا.

من هو المرجع بعد وفاة النبي ؟

رأي أهل السنة

زعم ترك النبي الأمة بدون خلف ولا مرجعية

يقول أهل السنة أن النبي قد ترك الأمة بدون خلف ولا مرجعية، وأنه لم يبين للمسلمين الإمام أو الولي الذي سيخلفه من بعده ويقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية، ومنها المرجعية من بعده. وقد استدلوا على ذلك برد الخليفة عمر بن الخطاب على الذين أشاروا عليه أن يستخلف من بعده على المسلمين فقال: " إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني " يعني أبا بكر "وإن أدع فقد ودع من هو خير مني " يعني النبي (صلى الله عليه وآله) [1].

ثم إن النبي ورأيهم لم يوص لأحد قط بأن يقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية، ومنها المرجعية من بعده، ويستدلون على ذلك بقول السيدة أم المؤمنين عائشة " بأن النبي مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذها، ولو أنه قد أوصى لسمعته ".

ومن هنا فقد أنكر بخاري ومسلم الوصية بهذا الشأن مستندين إلى قول أم المؤمنين.

ومن المؤكد حسب رأيهم أن النبي إذا بين هذا الإمام والولي والمرجعية من بعده فإنه قطعا ليس عليا بن أبي طالب كما تزعم الشيعة، لأنه لو كان عليا لما كان من المعقول أن يتجاهل الصحابة الكرام بيان النبي هذا ويبولوا ويوالوا غيره، لماذا ؟

(1) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 23 وراجع الطبري مجلد 3 ص 34 وراجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353.

لأنهم عدول ومن أهل الجنة ومن يشك بترتيب الخلفاء (أبا بكر وعمر وعثمان وعلي) فقد أزرى على 12 ألف صحابي [1].

والخلاصة أن النبي ترك ولاية وإمامة المسلمين ومرجعية الدين للمسلمين أنفسهم على اعتبار أن خلافة النبي شأن من شؤون المسلمين، والإمامة والمرجعية تتبعان بالضرورة لرئاسة الدولة.

تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع

وقد اكتشف أهل السنة أن ترك الإمام القائم الأمة دون أن يسمي وليا للعهد من بعده خطر ماحق ما بعده خطر، وأن من مصلحة المسلمين ومصلحة الإسلام أن يقوم الحاكم باختيار ولي عهده ليخلفه من بعده.

أنظر إلى قول السيدة عائشة مخاطبة عبد الله بن عمر: " يا بني أبلغ عمر، سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلاراع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة ". فأتى عبد الله فأعلم الخليفة بما قالت أم المؤمنين [2]. لقد أصابت أم المؤمنين لأن ترك الأمة بدون راع ولا مرجعية يؤدي للفتنة ويترك الناس هملا.

وقد انتبه لهذه الناحية ابنه عبد الله بن عمر فدخل عليه وهو يجود بنفسه، فقال: يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله وغنمه لاراعي لها للمته وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة ؟. فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد ؟ فأجابه الفاروق بمقالته السابقة " إن أدع فقد ودع من هو خير مني... الخ " [3].

وأمكن تلاشي عملية ترك النبي للأمة بدون مرجع عن طريق ما عرف ولاية

(1) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 ص 8 وما فوق وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر.

(2) راجع الإمامة والسياسة ص 23.

(3) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353 وراجع الإمامة والسياسة ص 23 وتاريخ الطبري ص 34.

العهد، وذلك بأن يقوم الخليفة أو الإمام أو رئيس الدولة القائم كائنا من كان بتعيين من يتولى أمور المسلمين من بعده، لأن الإمام أو الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية القائم كائنا من كان هو ولي الأمة والأمين عليها، ينظر للأمة في حال حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به في ما قبل، وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده. إذ وقع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر.

وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة... [1] وقد شرعت ولاية العهد بسبب فعل أبي بكر وعمر وعدم معارضة الصحابة لهم مما جعلها وليدة الاجماع، والإجماع سند شرعي كما يرى ابن خلدون، وذلك حرصا على وحدة المسلمين ومصلحتهم وهروبا من الفتنة، وحتى لا تبقى أمة محمد هملا بغير راع على حد تعبير السيدة عائشة أم المؤمنين [2]، وتجنبا للوم على حد تعبير عبد الله بن عمر بن الخطاب [3].

ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفته، ولم يتخذ وليا للعهد هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فهو بالمفهوم عند ابن خلدون:

ينظر للناس عند حياته، ويتبع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته، بعكس بقية الخلفاء، أو رؤساء الدول الإسلامية حيث ينظر الواحد منهم عند حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته. [4] والخلاصة أن الصحابة الكرام اكتشفوا بعد طول معاناة أن ترك الأمة دون بيان المرجع والإمام وولي العهد دمار محقق، وأن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين فشرعوها، أو هكذا صور.

والأهم من ذلك أن الشريعة الإسلامية شريعة سماوية، وقد بينت كل شئ

---

(1) راجع مقدمة ابن خلدون ص 210 دار الفكر.

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 23.

(3) مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353.

(4) مقدمة ابن خلدون ص 210 دار الفكر.

أجمله القرآن الكريم أو فصله، وبينه الرسول ودعمه، وخلو الدين من هذا الأمر الجوهري يناقض كمال الدين وتمام النعمة، خاصة وأن الرسول قد خير واختار الموت، ومرض قبل الموت، وعرف أنه ميت في مرضه ذاك. ثم إن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة، وجعله بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وأطلعه على مستقبل هذه الأمة، فهل من الممكن عقلا أن يموت الرسول دون أن يبين للناس من هو المرجع من بعده ؟ ومن هو خليفته ؟ كيف تفوته هكذا أمور فيتلاشاها أبو بكر وهو ليس نبيا، وعمر وهو ليس نبيا ؟ وتحس بخطورتها عائشة أم المؤمنين وهي امرأة وليست نبيا، فتحض عمر على الاستخلاف وتقول: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا!!

هذا أمر غير وارد قطعا، تدحضه النصوص الشرعية القاطعة وتكذبه، بالرغم من تقديرنا للواقع التاريخي الذي ساد.

فأهل السنة تشبثوا بكل شئ ليبرروا هذا الواقع الذي حدث. تشبثوا بالنص، وعندما خذلهم النص تشبثوا بالإفتراض، وعندما انهار الافتراض تشبثوا بالشورى وعندما انهارت الشورى تشبثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على مصلحتهم ووحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملا وبلا راع. واستقروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمي من يليه، أي يحدد للأمة الشخص الذي عليها أن تبايعه. [1]

المرجع بعد وفاة النبي (ص) عند أهل السنة

الخليفة أو الإمام أو رئيس الدولة الإسلامية، القائم مقام النبي هو المرجع الديني والدنيوي معا، كيف لا وهو خليفة رسول الله. فما كان الرسول يقوم به يقوم به الخليفة. فهو ينظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم، وهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل [2]، فهو

(1) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام فقد استعرضنا فيه كافة النظريات التي تشبث بها أهل السنة ونقدناها نقدا علميا ص 8 وما فوق.

(2) راجع مقدمة ابن خلدون دار الفكر ص 210.

يملك كافة الاختصاصات التي كان يختص بها النبي وكافة الصلاحيات المخولة للنبي كإمام وكولي للأمة. وقد أفردنا فصلا في كتاب النظام السياسي لهذه الاختصاصات [1] ونقلنا قول صاحب كتاب نظام الحكم المرحوم ظافر القاسمي حيث قال: إن اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية، وإن أعباءه تقع عليه وحده، وإنه إذا فوض شيئا منها فإن ذلك لا يسقط حقه الأصيل بممارستها [2].

ولقد حاول الإمام الماوردي أن يكشف ويحدد هذه الاختصاصات على الصفحتين 15 و 16 من الأحكام، وكذلك الفراغ على الصفحة 11 . ولقد لخصنا هذه المحاولة في كتابنا " النظام السياسي " ص 194 . والمرجعية الدينية تابعة بالضرورة لرئاسة الدولة، لأن رئيس الدولة هو خليفة النبي، والنبي كان هو المرجع الديني والدنيوي معا. فما كان يمارسه النبي يمارسه الخليفة، لأنه هو القائم مقام النبي في كل أمر من الأمور عدا النبوة، بل إن هنالك أمور دخلت باختصاصهم وقالوا بأن النبي نفسه لم يمارسها وهي ولاية العهد. فالنبي ترك الأمة بدون راع وبدون ولي وبدون مرجع وبدون إمام ورأيهم، ثم قام أبو بكر بمبادهة منه وتشجيع من أكابر الصحابة باتخاذ عمر وليا لعهده وتوليته خليفة من بعده. ثم جاء عمر فعهد لستة، ومن يدقق بالعهد يكتشف أنه عهد عمليا لعثمان، لأن عثمان كان يعرف بالوديف، والوديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم [3]. ومن جهة ثانية فإن طلحة كان غائبا، فلو وقف الزبير وطلحة وعلي في صف، ووقف الثلاثة الآخرون في صف عثمان لكان عثمان هو الخليفة لأن التنفيذ الحرفي لوصية الفاروق يؤدي حتما لاستخلاف عثمان – دقق بكل المصادر ستصل إلى هذه النتيجة.

وفي خلافة بني أمية كان رئيس الدولة هو الذي يسمي خليفته على الغالب، أو كان الغالب هو الخليفة وهو المرجع وهو الذي يعين المرجع من بعده. وفي خلافة

(1) النظام السياسي ص 187.

(2) راجع الحكم للأستاذ ظافر القاسمي ص 353.

(3)راجع نظام الحكم للأستاذ ظافر القاسمي وقد نقلها عن الطوي ص 197 – 198.

بني العباس كان الأمر كذلك، وفي خلافة بني عثمان كان الأمر كذلك.

وهذا المبدأ – أي أن الخليفة هو المرجع وأنه هو صاحب الحق بتولية الخليفة الذي يليه ليكون خليفة من بعده ومرجعا – سنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ونسج الخلفاء على منوالهما. والفرق أن أبا بكر وعمر كانا يتوخيان أن لا يسند هذا الأمر لقريب لهما، بينما كانت الأمور فيما بعد عكس ذلك، وقد جرت العادة فيما بعد واستقرت على أن يسمي رئيس الدولة الحالي خليفته من بعده ويرشحه للأمة. وقد صور هذا الأمر كأنه حق للخليفة القائم، وقد فهم كثير من علماء أهل السنة ذلك ومنهم ابن خلدون إذ يقول بالحرف: إن الإمام ينظر للناس في حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته [1].

الحاكم القائم هو المرجع عند أهل السنة

أهل السنة يعتبرون الخليفة الذي يتولى رئاسة الدولة ويمارسها بالفعل هو المرجع بالذات في كل الأمور الدينية والدنيوية. فأبو بكر هو المرجع الأعلى في زمانه، وعمر هو المرجع الأعلى في زمانه، وعثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم... الخ كل واحد منهم يقوم بدور ومهمة المرجعية في زمانه. وينطبق هذا الوصف على خلفاء بني العباس وبني عثمان. فكل واحد منهم مرجع في زمانه، هو بالذات أو من يوكل له هذه المهمة. فالعبرة بالمرجعية الفعلية هو الغلبة. فالحاكم الغالب على الأمة هو وليها وإمامها ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدنيوية.

ذكر أبو يعلى العز فقال: روي عن الإمام أحمد ما دل على أن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر، ولا تفتقر إلى العقد. فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما برا كان أم فاجرا. وقال في رواية أبي الحارث في الإمام يخرج عليه: من يطلب الملك فيكون مع هؤلاء قوم ومع هذا قوم (تكون الجماعة مع من غلب) وذلك إعمالا للقاعدة الشرعية التي وضعها عبد الله بن عمر بن الخطاب عندما صلى بأهل المدينة يوم الحرة وقال للناس: نحن مع من غلب والناس يبايعون

(1) المقدمة لابن خلدون.

الغالب [1].

ألا ترى كيف انتهت الأمور واقعيا بالنظام السياسي الإسلامي. فعلى الأمة أن تبايع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته، وبغض النظر عن موقف الشرع منه، بل أصبحت تلك المقولات جزءا من الشريعة السياسية.

والخلاصة أن الحاكم القائم الغالب هو المرجع في كافة شؤون الأمة عند أهل السنة.

من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية

ما دام الحاكم حيا وغالبا فهو المرجع الأعلى للأمة في كافة شؤونها الدينية والدنيوية. وقبل أن ينتقل هذا الحاكم إلى جوار ربه ولو كان في الزمن الأخير يعين للأمة إماما ووليا ومرجعا لها من بعده، وهو أهل لذلك ومخول بذلك. ولم لا ؟

فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم في ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل. وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة إذ وقع بعهد أبي بكر لعمر بمحضر من الصحابة فأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر [2].

ونضيف: إن تولية معاوية ليزيد تمت بمحضر من بقي من الصحابة. فإذا عين الحاكم القائم خليفته ومرجعية الأمة من بعده تقوم الأمة عمليا بمبايعته، ومن يعارض الأمة فهو مفسد في الأرض.

وصلاحيات الخليفة القائم بتعيين من يخلفه صلاحيات مطلقة لاراد لها ومعللة بكونه موضع الثقة على حد تعبير ابن خلدون وأبو بكر على فراش الموت عهد إلى عمر وقال لكاتب عهده عثمان: لو كتبت لك لكنت أهلا لها [3].

ثم ها هو عمر وهو على فراش الموت أيضا يفكر بأمر المسلمين ويقلب الأمر

---

(1) نظام الحكم للقاسمي.

(2) مقدمة ابن خلدون ص 210 دار الفكر.

(3) راجع ص 429 ج 3 من تاريخ الطوي و ص 37 من سيرة عمر لابن الجوزي.

على وجوهه المختلفة ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه فيقول: لو كان أبو عبيدة حيا وليته واستخلفته، ولو أدركت خالد بن الوليد استخلفته ووليته، ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته [1]. ومعنى هذا أن سالم مولى أبي حذيفة لو كان حيا لكان بإمكانه أن يتسلم الخلافة مع أن سالم ليس قرشيا ولا يعرف له نسب في العرب، ومع هذا كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء، كما يروي البخاري. وبالمناسبة إذا كانت خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب في العرب، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار، أليسوا أقرب عرقيا لرسول الله ؟ ثم ألم يحتج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته. ثم ماذا تبقى من قاعدة الأئمة من قريش ؟ ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة فكيف جازت فكرة تولية معاذ فيما بعد ؟ ثم إن خالدا قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم، وعلي قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال، فبأي مبدأ يقدم خالد على علي ؟!.

وقيل لعمر: استخلف عبد الله بن عمر، ورفض عمر ذلك لسبب بسيط جدا وهو أن عبد الله بن عمر عجز عن طلاق امرأته كما قال عمر [2].

وتصور يربك أن عمر (رضي الله عنه) فكر أخيرا بأن يعهد بالخلافة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ولكن رهقته غشية [3]. ألا ترى أن صلاحيات الخليفة القائم بتسمية ولي عهده أو إمام المستقبل من بعده في نظر أهل السنة صلاحيات مطلقة. ويجدر بالذكر أن ولاية العهد أصبحت جائزة ومشروعة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر للستة أو عمليا لعثمان. وبعد أن تولى الأمويون رئاسة الدولة أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة (1) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبري وفي طبقات ابن سعد وراجع ص 15 من الإمامة والسياسة.

(2) راجع على سبيل المثال شرح النهج ج 1 ص 64 لعلامة المعتزلة وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(3) راجع على سبيل المثال شرح النهج ج 1 ص 64 لعلامة المعتزلة وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

وتعيين مرجع المستقبل، وهكذا الحالة في عهد العباسيين والعثمانيين، فإما عهد إلى الولد أو عهد لأحد أفراد الأسرة المالكة [1].

وأصبحت التسمية أو ولاية العهد أو مرجعية المستقبل أمرا شرعيا وذلك حرصا على مصلحة المسلمين. أنظر لقول أم المؤمنين: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا، ثم انظر إلى رد عمر عليها: ومن تأمرني أن أستخلف ؟ فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف أي شخص لفعل.

المرجعية الجماعية عند أهل السنة

قال ابن خلدون: إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان مختصا بالحاملين للقرآن

العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر أدلته، بما تلقوه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو ممن سمعه منهم وعن عليتهم، وكانوا يسمون (القراء) أي الذين يقرأون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية، فاختص من كان قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ وبقي الأمر كذلك صدر الملة [2].

وبحلول العهد الأموي تكونت المقاطع الأساسية لنظرية عدالة كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي، فأصبح الصحابة جميعا وبدون استثناء وبدون مقدمات كلهم عدول، وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار [3]، ولا يجوز عليهم الكذب، وتحولوا لمراجع دينية كل واحد منهم مرجع قائم بذاته ومستقل عن سواه، وإن أخذت من أي واحد منهم جاز.

فرأي أبي بكر شرع لأنه صحابي بالدرجة الأولى شأنه شأن كل الصحابة، فهو من العدول وكذلك رأي عمر، وكذلك رأي أي صحابي على الاطلاق.

---

(1) راجع نظام الحكم للقاسمي ص 187 - 198.

(2) راجع طبقات ابن سعد ج 4 ص 168 وراجع آراء علماء المسلمين ص 50 وما فوق.

(3) وقد نقلنا تعريف ابن حجر الذي أجمع عليه أهل السنة وحللناه في الباب الأول من هذا البحث.

يقول أبو حنيفة: إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة الواحدة أخذت بقول من شئت وأدع من شئت [1].

وجاء في " أعلام الموقعين " لابن القيم: إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص، والثاني فتوى الصحابة، فعمل الصحابي على خلاف عموم القرآن دليلا على التخصيص وقول الصحابي بمنزلة عمله [2].

وبالمناسبة نذكر ثانية بأن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) تعني القول والفعل والتقرير. وأنت تلاحظ أن لكل صحابي سنة قول وفعل وتقرير. أنظر إلى قوله " وقول الصحابي بمنزلة عمله ". فقول الصحابي يخصص عموم الكتاب (القرآن) ويقيد مطلقاته، وعمل الصحابي يخصص عموم الكتاب ويقيد مطلقاته. فأنت تلاحظ أن قول الصحابي يعامل كأنه وحي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – والكارثة أي صحابي بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي –.

فأبو بكر صحابي ومعاوية صحابي ومروان بن الحكم صحابي و عبد الله بن أبي سرح صحابي، والأربعة كما يتصور أهل السنة مراجع ونجوم، وبأي واحد منهم يجوز الاقتداء به والاهتداء.

والخلاصة أن لدى أهل السنة مرجعية جماعية. فكل واحد من الصحابة بلا استثناء مرجع قائم بذاته مزه، ممتنع عليه الكذب، ينطق بالحق المبين لأنه من أهل الجنة. ومن يشك بهؤلاء المراجع جميعا أو بأي واحد منهم فهو زنديق لا ينبغي أن يواكل أو يشارب أو يصلى عليه. وبعد أن انتقل الصحابة كلهم إلى جوار ربهم حل محلهم التابعون، وبانتقال التابعين إلى جوار ربهم حل محلهم العلماء من أهل السنة، والأحزاب التي تكونت عندهم.

---

(1) راجع المستصفي للغزالي ص 135 - 136 وراجع آراء علماء المسلمين للسيد الرضوي ص 88.

(2) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي وراجع ص 87 من آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي.

كيف تعمل المراجع عند أهل السنة

بعد وفاة النبي وفي زمن الخلفاء الراشدين كان الخليفة هو المرجع الأعلى للمسلمين، فهو صحابي ومن العدول حقيقة وبنفس الوقت هو الخليفة، يسأل من يشاء من الصحابة ويأخذ برأيه أو برأي من يشاء. وغالبا ما كان يسأل أبو بكر وعمر القراء كعلي، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت...ولا تثريب عليه لو أخذ برأيه لأن المطلوب هو معرفة الحكم الشرعي. وفكرة عدالة الصحابة بالمعنى الذي طرحه الأمويون وروجوا له وأقروه لم تكن موجودة، والأكثرية الساحقة من الصحابة كانت أدوارهم بالمرجعية محدودة جدا بمعنى أنهم لم يكونوا مراجع.

ولم يختلف الأمر كثيرا في العهد الأموي، فمعاوية بوصفه صحابي "ومن العدول بعد أن تكرست نظرية عدالة الصحابة" أصبح هو المرجع الأعلى للمسلمين، ويمارس مرجعيته كما مارسها من سبقه بالخلافة، فله أن يسأل من يشاء ويأخذ برأي من يشاء وقد أفادته فكرة عدالة كل الصحابة لأنها جعلته من أهل الجنة وبررت له الجلوس محل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي مع أنه الطليق ابن الطليق، وبررت له أن يتمتع بنفس الصلاحيات بوصفه خليفة. وإذا تعددت آراء الذين سألهم معاوية أو الذين عرضوا عليه آراءهم فلمعاوية الحق بأن يأخذ ما يشاء ممن يشاء.

أما بالنسبة لطلاب العلوم فهم أحرار بقبول ما يرونه من آراء الصحابة في المسألة الواحدة إذا تعددت. وتتكرر الحالة مع التابعين، وتتكرر الحالة مع علماء المسلمين بعد التابعين، وتتكرر فيما يتصل بالأحزاب. وبعد زوال الخلافة الإسلامية أصبح كل عالم من علماء أهل السنة مرجعا قائما بذاته يفتي لنفسه ولأتباعه وأصبح كل حزب من الأحزاب العربية خاصة مرجعا قائما بذاته ومهمته منصبة على إثبات أنه على الحق، وتكثيف الجهود ليستحوذ وحده على السلطة في أي مصر يتواجد فيه.

الفصل الخامس

المرجعية البديلة

اجتهد البعض في مورد النصوص الشرعية (مع أنه لا اجتهاد في مورد النص)، وقادهم هذا الاجتهاد إلى نتيجة أن المرجعية الشرعية التي عينتها وحددتها العقيدة الإلهية ليست في مصلحة الإسلام ولا في مصلحة المسلمين لاعتقادهم أن النصوص المتعلقة بتحديد وتعيين المرجعية الإلهية هي من التحليل العقلي للنبي وليست أوامر إلهية، وأن النبي عندما وضع مرتكزات هذا التحليل كان لا يعرف توجهات الرأي العام الإسلامي، وأنه يرفض رفضا قاطعا أن يجمع لبني هاشم النبوة

والخلافة، وعز على هذا البعض أن يواجهوا النبي صراحة بما في نفوسهم.

وتلاحقت الأحداث سريعا، ووضعت المرجعية البديلة على عجل، وتصور الذين وضعوها أنهم يحسنون صنعا، ويخدمون الإسلام والنبي بفعلتهم هذه، وتصوروا أنهم وحدهم الذين أناطت بهم العناية الإلهية أمر التخطيط لبناء مستقبل الإسلام، لأنه رأيهم لا يوجد في صفوف المسلمين من هو أكثر أهلية منهم للقيام بهذا العمل الخطير، فحزموا أمرهم وشرعوا بترجمة ما بيتوه.

الشروع بوضع معالم المرجعية البديلة

النبي على فراش الموت، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه، النبي على علم بمستقبل هذه الأمة، وقد أدى النبي دوره كاملا وبلغ رسالات ربه، وبين لهم كل شئ على الاطلاق، وهو على علم تام بما يجري حوله ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار فينسف الشرعية السياسية والمرجعية، وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لا تضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره.

المواجهة الصاخبة

النبي على فراش المرض، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال النبي: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي ؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته، والذين يسمعون قوله أحرار في ما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله، هذا إذا افترضنا أن محمدا مجرد مسلم عادي وليس نبيا وقائدا للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: " إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله " فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده أبدا، ومنهم من يقول ما قاله عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني [1].

وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول الله. قال النبي:

(1) صحيح بخاري كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني ج 7 ص 9 وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج 5 ص 75 وصحيح مسلم بشرح النووي ج 11 ص 95 ومسند الإمام أحمد ج 4 ص 356 ح 2992 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص 51.

دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.[1] وفي رواية ثالثة قال النبي (صلى الله عليه وآله): ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة. أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا: إن رسول الله يهجر.[2]

وفي رواية رابعة للبخاري: أن النبي قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وأكثروا اللغط. قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.[3] رواية بلفظ خامس للبخاري: قال النبي: ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر ؟ إستفهموه فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.[4]

رواية بلفظ سادس للبخاري: قال النبي: ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر استفهموه، فقال النبي ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.[5] رواية بلفظ سابع للبخاري قال النبي: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي قال: قوموا عني.[6]

(1) راجع صحيح بخاري ج 4 ص 31 وصحيح مسلم ج 3 ص 16 ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 222 و ج 3 ص 286.

(2)راجع صحيح مسلم ج 2 ص 16 و ج 11 ص 94 – 95 بشرح النووي ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 355 وتاريخ الطبري ج 2 ص 193 والكامل لابن الأثير ص 320.

(3)راجع صحيح بخاري ج 1 ص 37.

(4)راجع صحيح بخاري ج 5 ص 137 وتاريخ الطبري ج 3 ص 192 – 193.

(5) صحيح بخاري ج 2 ص 132 و ج 4 ص 65 – 66.

(6) صحيح بخاري ج 8 ص 161.

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر....[1] وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي.[2]

تحليل المواجهة

أطراف المواجهة

الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمام الدولة الإسلامية (رئيسها) الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ووزير من أبرز وزراء دولة النبي والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.

مكان المواجهة: بيت النبي شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة

1 – الانقسام

إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: – القسم الأول: يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول (ص) وبين كتابة ما يريد. وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي ومشفق على الإسلام، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي

(1) راجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي الحنفي ص 62 وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص 21.

(2)راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 3 ص 114 سطر 27 طبعة أولى مصر وأوفست بيروت و ج 12 ص 79 سطر 3 بتحقيق محمد أبو الفضل و ج 3 ص 803 دار مكتبة الحياة و ج 3 ص 167 دار الفكر.

لإعاجه بكتابة هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي، فهو التأمين ضد الضلالة ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي.

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلا بين التابع والمتبوع، وبين نبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت، وبين واحد من وزرائه. ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد، ولكتابة ما يريد لأنه نبي ومازال نبيا حتى يتوفاه الله، ولأنه رئيس الدولة ومازال رئيسا للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله.

ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء. ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته، فهو صاحب البيت، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

2 – بروز قوة هائلة جديدة

برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عددا كبيرا من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه [1]. واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة. ولحد الآن: لا أحد يدري على وجه اليقين من الذي أوصى للأنصار بفكرة الاجتماع بسقيفة بني ساعدة ولا كيف التم شمل هذا الاجتماع ولا من الذي دعا إليه. ولا أحد يدري كيف علم به عمر من دون كل المهاجرين. فالثابت أن الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم: أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة. والثابت أيضا أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان

يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي. والثابت أيضا أن عمر (رضي الله عنه) هو الذي دعا أبا بكر وأخوه بحادث اجتماع السقيفة. والثابت أيضا أن أبا بكر وعمر وجدا وهما في طريقهما إلى السقيفة أبا عبيدة بالصدفة [2].

(1) راجع مراجع يوم الرزية وكيف أجمعت على أن الفاروق هو الذي قال حسبنا كتاب الله.

(2) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 5 وما فوق.

فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتابعها متابعة دقيقة، دقيقة بدقيقة. وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم، فلو أراد لكان هو الخليفة. وبعد الخروج من السقيفة ومبايعة الأكثرية الحاضرة لأبي بكر الصديق، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة وهو الذي صاح بالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبايعه الأنصار وأن عليهم أن يقوموا فيبايعوا، فنهض عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا الصديق. وعثمان والأمويون بأغلبيتهم هم أول من بايع الصديق، وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة وجهز منهم سرية وأخرجت عليا ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق [1] وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهم بإحراق بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به [2] وهو نفسه الذي هدد عليا بالقتل إن لم يبايع [3]، وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه [4] وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائدا لجيش الشام [5]، وهو القوة الهائلة التي صنعت الاستقرار لدولة أبي بكر، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلا فانتقل إلى جوار ربه وورث عمر دولة آمنة مستقرة، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة، وكأن الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة، وعاجلا أم آجلا سيكتشف الباحثون أن للفاروق قوة هائلة على التخطيط والتنظير ما توفرت لأحد قط من أقرانه [6]. فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنبوة أبدا، وستكون الخلافة تداولا في غيرهم، وحقا خالصا لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة.

(1) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 5 وما فوق.

(2) راجع مراجع التوثيق الذي ذكرناها أكثر من مرة.

(3) الإمامة والسياسة ص 13.

(4) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة لابن أبي الحديد ج 1 ص 306 – 307 تحقيق حسن تميم مكتبة الحياة.

(5) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 209 – 210 وتاريخ الحكم للقاسمي ص 152.

(6) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة لابن أبي الحديد مجلد 3 ص 107.

3 – بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع

نبتت بهذه المواجهة فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع أو المساواة بين التابع والمتبوع وخلق حالة من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع ؟

فحجة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجع، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطرا. وشايع الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة، وهذا شك.

وحجة الطرف الآخر أن محمدا مازال نبيا وسيبقى نبيا حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين. فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعا من القول.

حادثتان متشابهتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة.

فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خاليا – أي وحده – وقال له: اكتب أما بعد، ثم أغمي عليه من شدة الوجع، فكتب عثمان:

فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا. فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: اقرأ علي فقرأ عليه ما كتب، فقال أبو بكر: أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتتلت نفسي في غشيتي ؟ قال عثمان: نعم. قال أبو بكر: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر [1]. تلك حقيقة بالإجماع.

الثانية: مرض عمر نفسه. قال طبيبه لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلا ؟ فقال لابنه عبد الله: عبد الله ناولني الكتف فمحاها، وقال من شدة الوجع:

"والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع "

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 429 و ص 176 من نظام الحكم للقاسمي و ص 37 من سيرة عمر لابن الجوزي و ج 2 ص 85 من تاريخ ابن خلدون و ص 120 من كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال لابنه: ضع خدي بالأرض، فلم يفعل فلحظه وقال: ضع خدي بالأرض لا أم لك الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر [1].

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة، واطمأن أنه لا يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة. ونفذت بدقة وصية الاثنين وسمح لهما بقولها وسمح لهما بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهما. فعندما كتب كل واحد منهما وصيته كان مازال رسميا على رأس عمله (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حيا أو لم يعزل.

تلك حقيقة مسلم بها بالإجماع وقولا واحدا لا خلاف عليه. فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما أرادا، مع أن

المرض قد اشتد بكل واحد منهما أكثر من اشتداده برسول الله ويحال بين الرسول (ص) وبين كتابة ما أراد.

ألا يحق لمحمد (صلى الله عليه وآله) ما يحق لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ؟ هذا مع الافتراض أن محمدا على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر، وهذا افتراض مرفوض شكلا وموضوعا، لأن محمدا نبي مرسل من الله وإمام بينما أبو بكر وعمر من الأتباع، ومحمد يوحى إليه، وقد أكد وقال أكثر من مرة أن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان كان يأتيه وهو مريض. [2] والله يقول: * (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) * ويقول: * (وما صاحبكم بمجنون) * * (ما ضل صاحبكم وما غوى) * * (إن هو إلا وحي يوحى) * فكيف يتحول بطرفة عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشا له أن يهجر!! ؟ولا يؤمن على كتابة وصية!!.

ومع أن هذه حقائق دامغة لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها،

---

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 21 - 22 والطبقات لابن سعد و ص 120 - 121 من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال.

(2)راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 193.

ومع أن هذه الواقعة نسفت مستقبل الإسلام كله، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلت بالمسلمين، إلا أن أهل السنة يتجاهلونها تماما ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة.

وهكذا وعمليا رجح قول التابع على قول المتبوع، فأصبح التابع متبوعا والمتبوع متبوعا، وتم للتابع ما أراد، وغلبت مشيئته، واستقطب الناس لها، فوجدت واقعيا فكرة الغلبة وأثمرت واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأ شرعيا وأجيز للأمة أن تتوج على الصراع بين متغالبين ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاته ومهما كان دينه [1] ، فطمع المتبوع بالتابع وتقدم المفضول على الأفضل.

ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم وينازع بالخلافة أول من أسلم وولي الله بالنص، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه. ولا ينبغي أن نندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا مجتهد وكلاهما في الجنة.

ولا ينبغي أن ندهش عندما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظورا عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معززا مكرما واتخذ ابنه مروان رئيسا لوزرائه وزوجا لابنته.

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام. فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي والوليد يعظ وعلى الحسين أن يسمع وعظ هذا الواعظ، والوليد يصلي بالناس صلاة الصبح أربعا وهو سكران ويسأل المأمومين إن كانوا يرغبون بالزيادة، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماما للحسين بن

علي بن أبي طالب وأمروا عليه ومرجعا يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه!!!.

(1) راجع نظام الحكم للقاسمي ص 344 - 245 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 153.

4 – ظفر الغالب ونجاحه

أصبح الغالب – أي غالب وأيا كان – هو الظافر، وهو سيد الموقف، وهو إمام المسلمين ورئيس دولتهم، وهو مرجعهم في كل الأمور الدينية والدنيوية، وهو الحائز لكل وسائل القوة، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة يعطي لمن يشاء ويمنع العطاء عمن يشاء، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه، وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمنين الخارجي والداخلي ولتطويع الرعية رغبة ورهبة، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام، فلو شاء جعل الأبيض أسود، ولو شاء جعل الأسود أبيض، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القوم عملاقا وأن يحول العملاق إلى قزم، وتحول مؤيدوه إلى واجهة له بيدهم الحل والعقد، ومع الأيام أصبحوا مراجع. فهم يتبنون وجهة نظر الغالب ويستعملون وسائله بالمرجعية، فهم سادات المجتمع، وهم القواد المتألقة، وإذا سار معهم أي واحد قادوه إلى نقطة الارتكاز ومحور الهداية – أي عين ما يراه الغالب. وعزف العامة على ذات الوتر واتحدت الأمة على هذه الشاكلة، وكلما مضت سنة ترسخت هذه السنة وتوطدت، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض وأصبحت رأيا عاما وقناعة وعقيدة سياسية.

5 – عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادت العترة الطاهرة بالشورية، وقالت إن لها حقا وتطالب به، ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي. كانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جدا بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: " لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان " [1].

ولكن تبقى السلطة سلطة، وتبقى المعارضة معارضة، ولا يمكن بالفطرة للقائمين على السلطة أو للسلطة بأي مقياس أن تثق سياسيا بالمعارضة ولا أن تسلم للمعارضة مكتسباتها. ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي، فقد رؤي

(1) الإمامة والسياسة ص 12 على سبيل المثال.

عدم قتله بالرغم من أنه هدد بالقتل إن لم يبايع، ورؤي عدم إكراهه على البيعة تقديرا لفاطمة.

ولم تتخذ أية إجراءات فعالة ضد الإمام وزوجته الزهراء عندما كانا يطوفان ليلا في مجالس الأنصار ويسألان النصرة، فكان الأنصار يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن

إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم .

ومع هذا فالنتيجة المنطقية كانت عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته.

وتجلت الرغبة بعزل الإمام عن بني هاشم خاصة بمحاولة السلطة اجتذاب العباس إليها بإغوائه ببعض الأمر له ولعقبه. ولكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعا وردردا حاسما على السلطة [2].

وبالمعيار الموضوعي، فإنه إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب الأقوى، خاصة وأن معارضات أهل البيت تتابعت، وكاد حبل الود أن ينقطع نهائيا بينهم وبين السلطة عندما هم عمر بإحراق بيت فاطمة على من فيه، ولكن الله سلم [3].

ولقد بلغ من حجم القناعة لدى السلطة أنها اقتنعت بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة كوسيلة لمنع الاجحاف الهاشمي، وآمنت السلطة أن قريش قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ [4]. والأهم من ذلك أنه قد وضع شرط بأنه لا

---

(1) الإمامة والسياسة ص 12 على سبيل المثال.

(2) الإمامة والسياسة ص 15 – 16.

(3) راجع وراجع التعريق.

(4) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 آخر سيرة عمر من حوادث سنة 23 وراجع علامة المعتزلة ابن أبي الحديد شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 149 وما فوق.

يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم [1]. فعزل علي وعزلت شيعته وتعايش الإمام مع الشيخين وتعايشت شيعته، وقدم أهل البيت في زمنهما على الجميع في العطايا، فكانوا يبدأون بآل محمد ثم ببقية الناس، وآمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم، وكانا يستشيران الإمام ويرجعان إليه في كثير من الأمور، واستقرت الأحوال وساعد على استقرارها فتوح البلدان وعدم تدنس الشيخين بشهوة.

وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة، بدأ الصحابة يتراجعون من حوله، وبدأ الأمويون ينزون في بلاطه، فانفض الصحابة جميعا من حوله، والتف الأمويون عليه، وغص بهم بلاطه.

ولم يأت الأمويون بجديد، فآل البيت وشيعتهم الذين حرموا الأعمال في زمن الشيخين غير وارد أن يتولوها في زمن عثمان، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكتوا على أخطاء بني أمية وهم حاشية عثمان وعماله، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيهم عن المنكر معارضة للأمويين لأنهم أمويون. فلذلك ضاقوا ذرعا بعلي وبشيعته، وتراكمت هذه المعارضة مع تركات الماضي بين الهاشميين والأمويين ومازالت تكبر وتكبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكا حقيقيا على الأمة وسمي

العام بعام الجماعة. وبدأ عهد جديد لمطاردة آل محمد ملئ بالدمع والدم، فأبيدوا إلا من كتبت له الحياة، وفوضت مسبتهم وشتمهم في الأمصار، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام، وطوردت شيعة آل محمد، ولم يجيزوا لأحد من أهل البيت أو لأحد من شيعتهم شهادة، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم [2].

(1) مروج الذهب ج 2 ص 353 للمسعودي.

(2) راجع تاريخ ابن عسكر ج 3 ص 407 وراجع معاوية في الميزان للعقاد ص 16 وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 180.

طاقم المرجعية الجديد

الخليفة الغالب – كائنا من كان – هو المرجع للأمة في كل شؤونها الدنيوية والأخروية بدلا من ولي الأمة وعميد أهل بيت النبوة.

والصحابة الكرام كلهم وبلا استثناء هم المرجعية الجماعية للأمة لأنهم عدول ومن أهل الجنة، وهم البديل لأهل بيت النبوة المطهرين بالنص، فأهل البيت عارضوا، والصحابة والوا.

وإذا انقرض جيل الصحابة يأتي التابعون فيكونوا هم المرجعية الجماعية التي تساعد الخليفة مرجع الأمة الأعلى، فإذا انقرض جيلهم يأتي تابعو التابعين.

ثم يأتي بعدهم العلماء، فالعلماء ورثة الأنبياء وهم يقومون بدور المرجعية بالتعاون مع الحكام، وبالنتيجة فإن وجود أهل البيت ثانوي جدا أمام هذا الطاقم.

أثر المعارضة

تحولت توجهات الأكثرية وأفعالها إلى قناعات عامة ترسخت في الأذهان واستقرت نهائيا، وضاق صدرها بمن يعارض هذه القناعات وتم عزله والتضييق عليه، والتقليل من شأنه، والتشهير به، واعتباره خارجا على الجماعة، ومتوليا غير سبيل المؤمنين، وشوهت سمعة المعارضين وحرفت وجهات نظرهم حتى أصبحت تهمة الكفر أخف من تهمة التشيع لأهل البيت، فمن يكفر بالله ويرتد عن دينه يستتاب، فإذا عاد عن كفره ولو بلسانه قابلوه بالترحاب، أما المتشيع لأهل البيت فلا توبة له، وموالاة الكافرين أهون من موالاة آل محمد، وتحولت هذه القناعات إلى تركة ترثها الأمة كما ترث المتاع، فقد ورثت – كما أرث المتاع عن آبائي وأجدادي – أن الشيعة كفار، لأنهم يؤلهون عليا، ولأنهم يطعنون بالصحابة الكرام ولأنهم.... الخ وأنا ورثت هذه الأفكار لأولادي، لكن لا أنا ولا أجدادي ولا آبائي ولا أولادي قد سمعوا وجهة نظر الشيعة بهذه التهم، ولا تأكدنا من صحة هذه الاتهامات، وليس بأيدينا أي دليل على صحتها سوى التقليد، وكل ما نعرفه بالتقليد أن الشيعة هم أعداء الأمة،

وحتى علماء أهل السنة المعاصرين الذين يدرسون علماء

الغد في الجامعات لا يعرفون معنى التشيع ولا متى نشأ، ولا كيف، وإن عرضوا وجهة نظر الشيعة فإنهم ينقلون بالحرف وجهات نظر أعداء الشيعة بالشيعة كما هي بالرغم من مرور 1400 عام عليها وكما ذكرها خصوم الشيعة، فالخصم هو الرواي وهو الحكم وهو القاضي، مع أن الخلاف في حقيقته وجوهره هو خلاف سياسي، ومع أن الشيعة تعلموا الإسلام وفهموه عن طريق أهل البيت ومذهب أهل البيت هو مذهب محمد (صلى الله عليه وآله). والفئة الناجية هي الفئة التي تهتدي بهديهم.

الفصل السادس

من هو المرجع بعد وفاة النبي (ص) ؟

رأي الشيعة

أ – ضرورة المرجعية

هم يقولون: ليس صحيحا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ترك هذه الأمة بدون ولي ولا مرجع، لأن الولاية والمرجعية أمران جوهريان لا غنى للأمة عنهما وفي كل زمان، والقول بترك الأمة بدون ولي ولا مرجع يناقض كمال الدين، وتمام النعمة، وتغطية البيان لكل شئ " تبيانا لكل شئ " فكيف يكون التبول شيئا ويبين النبي للناس كيف يتبولون ولا تكون الولاية والمرجعية شيئا ويتركها الرسول (ص) دون بيان ؟ وبالتناوب، فإن عدم بيان الولاية والمرجعية من بعده يناقض رحمة النبي ورأفته بهذه الأمة وحرصه على مستقبلها لأن الله قذف في قلبه الكبير المحبة والرحمة والرأفة بهذه الأمة كما هو ثابت في القرآن الكريم. ثم من يقوم بوظائفه الدينية والدنيوية من بعده. فمن يبين القرآن ؟ ومن يحدد دائرة الشرعية ؟ ومن سيكون سفينة النجاة للأمة ؟ ومن يقود الناس للهدى ؟ ومن يكون أمانا لها ؟ هذه اختصاصات فنية كالطب والهندسة وعلم الذرة ؟ وهذه أمور لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الأعلم بالعقيدة والأفضل والأنسب بجمع الولاية مع المرجعية وهذه صفات لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله، ومن المحال بالشرع والعقل أن يتركها لأهواء الناس، ثم إنها من ضرورات الدين ومن المستلزمات الأساسية للدعوة وللدولة وللأمة معا. وأكبر دليل على ضرورتها أن الذين أنكروها وأنكروا أن يكون النبي قد بنيها عادوا وأوجدوا ولاية وضعية، واستوت هذه الولاية الوضعية لمن غلب بعد أن قتل مئات الآلاف من أبناء الأمة في سبيل تحقيق الغلبة للغالب الذي

يجمع الأمة تحت إمرته بالقوة. وبغياب الفرس الغالب ركبت كل مجموعة من الناس رأسها، وكونت ولاية وضعية ومرجعية خاصة بها.

ب – البيان الإلهي للمرجعية

الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل القرآن كرسالة إلهية لبني البشر، وكعقيدة إلهية تقدم لهم تصورا يقينيا لحركة كل شئ وتنظم أمور دينهم ودنياهم في الحياة الدنيا، وتستكشف لهم المعالم الأساسية للحياة الآخرة، وتربط الحياتين برباط عضوي محكم، وكضرورة من ضرورات الكتاب أنزله على عبده محمد ليبينه للناس بيانا نظريا وعمليا على صعيدي الدعوة والدولة معا، فقاد النبي الدعوة بنفسه وترأس الدولة بنفسه عندما تمخضت الدعوة عن دولة وخلال مرحلتي الدعوة والدولة بين العقيدة بيانا كاملا، وبينت العقيدة كل شئ للذين تلقوا الذكر. فمحمد هو المرجع ببيان العقيدة لأنه الأعلم بها والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم. فلا أحد في الدنيا ينوب عن محمد بهذه المهمة،ولا أحد يغني ويسد مسده أثناء حياته المباركة، وصاحب الإختصاص بانتداب محمد لهذه المهمة هو الله، لأنه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم إلا الله، لذلك حصر بنفسه حق اختيار هذا المرجع والولي، وطرحه أمام البشر وشهد له بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب، وخوله صلاحية بيان العقيدة للناس، وصلاحية المرجعية وصلاحية الجمع بين الولاية على الأتباع والمرجعية في الدين والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين.

فإذا قبلت الأمة المرجعية والولاية التي طرحها الله " قدمها " لهم وبايعت بالرضا يصبح المرجع والولي هو محمد.

ولأن الدعوة مستمرة إلى يوم الدين والدولة المؤمنة تدعم دعوة الإيمان ولأن الغاية هداية البشرية كلها ولأن محمد بشر، وميت لا محالة،ولأن الله وحده هو الذي يعلم على وجه الجزم واليقين من هو من أتباع محمد الأعلم والأفهم بالعقيدة والأفضل بين الأتباع في ذلك الزمان والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع، فإنه أيضا قد

اختص بتقديم الولي والمرجع بعد وفاة محمد، فإذا بايعت الأمة وقبلت بمن قدمه الله وليا ومرجعا لها فقد اهتدت، وإذا لم تبايعه الأمة تحدث عملية انفكاك بين الولاية وبين المرجعية فيكون الحاكم شخص والمرجع شخص آخر، ومع الأيام يستحوذ الحاكم على الحكم والمرجعية.

فالحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) هو إمام بالنص، وولي بالنص، ومرجع بالنص وهو القوة في زمانه بالنص.

ولكن الأمة رغبة أو رهبة بايعت يزيد بن معاوية، فأصبح يزيد هو الحاكم والحسين هو المرجع، والأصل أن يكون الحسين هو الإمام (الحاكم) وهو المرجع معا، ولكن لأن الأمة بايعت يزيدا تم الفصل بين الولاية (الحكم) وبين المرجعية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي،ولأن المرجعية تابعة للولاية فلن يهنأ الحاكم قبل أن يجرد المرجع من اختصاصاته المرجعية ليجمع بيده

الولاية، والمرجعية وهذا ما حدث فلا وسيلة لتجويد الحسين من مرجعيته تبعا لتجويده من الولاية إلا بقتله فقتله يزيد.

وتقول الشيعة إن حالة المسلمين ومستقبلهم يتوقف على توحيد المرجعية مع الحكم أو الولاية بحيث يكون الولي هو المرجع وبحيث يكون الولي والمرجع هو بنفسه المعين من قبل الله.

والخلاصة أن المختص ببيان الإمام أو الولي والمرجع هو الله، لأنه وحده يعلم من هو الأعلم والأفهم بأحكام العقيدة ومن هو الأفضل والأنسب من الأتباع للقيادة وفق أحكام الإسلام، وأنه تعالى قد اختار للأمة الإسلامية وليها ومرجعها قبل أن ينتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى، وأن الله قد أمر النبي بإعلان ذلك فأعلن أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع، وتكرر إعلان النبي لهذا الأمر الإلهي عشرات المرات، ولكن الأمة بايعت غير هذا الولي والمرجع فحدثت عملية الانفكاك بين الولاية (الحكم) وبين المرجعية ثم زحف الحكام وجروا الولي في كل زمان من المرجعية وجمعوا بأيديهم (كحكام) الولاية والمرجعية معا بسند الغلبة.

من هو هذا الولي والمرجع الذي عينه الله ؟

تقول الشيعة إنه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد اختاره الله ليخلف نبيه بالولاية والمرجعية وكلف الله نبيه بأن يعلن هذا الاختيار الإلهي فأعلنه النبي أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع، وإنه تعالى أعلن إمامة الحسن من بعده، وإمامة الحسين من بعد الحسن، ورتبت الأمور بحيث يتعين كل واحد من الأئمة بنص من سبقه عليه ووصلوا إلى اثني عشر إماما، والإمام الثاني عشر هو المهدي عجل الله فرجه وهو الحاكم الشرعي لجمهورية إيران الإسلامية حسب منطوق المادة الخامسة من الدستور الإيراني، والإمام الفعلي في إيران ما هو إلا نائب للإمام الشرعي، يمارس أعمال الإمام والمرجعية نيابة عن صاحبها الشرعي حتى يظهره الله.

وكقاعدة، فإن عميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو الإمام وهو الولي وهو المرجع حسب الشرع، وعمادة أهل البيت قائمة إلى يوم الدين، ولا تنقطع الذرية المباركة بالرغم من محاولات الحكام طوال التاريخ لإبادة هذه الذرية الطاهرة.

ما هو سبب عداء أهل السنة للشيعة ؟

طالما أن أهل الشيعة على حق، فلماذا عاداهم أهل السنة ؟ لأن ما تقول به الشيعة يسحب البساط من تحت أقدام الحكام، ويزيل مبرر وجودهم ويخلق المبرر لأعداء الحكام بأن يحلوا محلهم، ولأن الحكام لهم السيطرة الكاملة واقعيا على موارد الدولة وتتصرف بهذه الموارد كما تشاء من الناحية العملية، ولأن الحكام تحت إمرتهم جيوش تتقاضى رواتبها من الناحية العملية من الحكام وتتبع إرادة هذه الجيوش لإرادة الحكام، ولأن الحكام يملكون فعلا السيطرة على وسائل الأعلام، ولأن الشيعة كانوا حزب معارضة طوال التاريخ، لذلك نقم منهم الحكام وطاردوهم وصوروهم كأنهم شياطين وعصاة وخارجون على إجماع الأمة، ولم يكن أمام الأكثرية الساحقة من الأمة بديل سوى مجاراة الحكام، ولأن الشيعة لم تتح لهم الفرصة لعرض

وجهة نظرهم بحرية، فقد قام الحكام بعرض وجهات نظر الشيعة بشكل محرف ومزور، وتناقلت الأمة وجهات النظر التي ذكرها أعداء الشيعة نيابة عنهم ولغايات تنفير الناس من الشيعة جيلا بعد جيل. واستقرت مزاعم الحكام عن

الشيعة وكأن هذه المزاعم حقيقية وأكثر الناس يعتبرونها حقيقة لكثرة ما نقلت إليهم وما تم تداولها.

عجلة أهل السنة

يتصايح أهل السنة من كل حدب وصوب وهم يرددون: لا تصدق الشيعة فقد مهروا بعداء هذه الأمة واطمأنوا للخروج من الجماعة، طالبهم بالدليل على ما تزعمون.

الرد على العجلة

تقول الشيعة: إن العام الذي انتصرت فيه القوة على الشرعية هو عام الجماعة عند أهل السنة، وإن فكرة التسنن التي أخذ أهل السنة منها اسمهم نشأت في الزمن الذي انتصرت فيه القوة على الشرعية، وليس كما يتصور العامة بأن أهل السنة هم أهل سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) فالشيعة هم أحرص الناس على ما صدر من الرسول من قول أو فعل، ولو تركنا التقليد الأعمى لتبين أنا لا نلقي القول على عواهنه وبإمكانكم أن تتأكدوا من صحة ما ذكرناه، فإن كان حقنا كففتم لومكم عنا وإن كان باطلا رجعنا عنه (إن الباطل كان زهوقا). ونزولا عند رغبة عشاق الحقيقة نقدم الدليل القاطع على ما قلناه.

المرجعيتان

لدى الإسلام رأي الشيعة مرجعيتان بعد وفاة النبي:

المرجعية الأولى فردية: عميد أهل بيت النبوة وأول العمداء علي (عليه السلام) وهي تقابل فردية الحاكم الغالب عند أهل السنة.

المرجعية الثانية جماعية: وهي عترة النبي وأهل بيته، وهم يوالون عميدهم ويساعدونه بحفظ الدين على أصوله المستقرة

الله هو الذي عين المرجعيتين

ويقول أهل الشيعة بأن الله تعالى هو الذي عين المرجعيتين بالنص وأمر نبيه أن

يعلن للمسلمين هذا التعيين الإلهي فأعلنه بأكثر من مناسبة.

الدليل الشرعي على تعيين الله للمرجعية الفردية

الأول: آية الولاية وهي الآية 55 من سورة المائدة * (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) * وقد نزلت هذه الآية في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع في صلاته. وتفسير هذه الآية مفصل بتفسير الثعلبي على سبيل المثال، وعندما رأى النبي (ص) عليا

وهو يتصدق بخاتمه أثناء ركوعه في الصلاة دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه هارون ربه "واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أشدد به ظهري.... " قال أبو ذر: فوالله ما أتم الرسول (ص) دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية.

وقد أجمع المفسرون على نزول هذه الآية في علي [1].

---

(1) ونقل هذا الاجماع غير واحد كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد وراجع تفسير الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه ابن خلكان في وفياته إنه أوحد زمانه في علم التفسير. وراجع على سبيل المثال شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 161 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 311 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ج 328 و 250 ، وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص 88 و 102 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 187 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 409 وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 123 و 108 والدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 293 وفتح القدير للشوكاني ج 2 ص 53، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ص 181 والكشاف للزمخشري ج 1 ص 649 وتفسير الطبري ج 6 ص 288 - 289، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي ج 2 ص 383، وتفسير القرطبي ج 6 ص 216، والتفسير المنير لمعالم التنزيل للجادي ج 1 ص 210 وفتح البيان في مقاصد القرآن ج 3 ص 51 وأسباب النزول للواحدي ص 148، والباب المنقول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص 213 وتذكرة الخواص للسبط الجوزي الحنفي ص 18 و ص 208 وتفسير الرازي ج 12 ص 26 و 20 وتفسير ابن كثير ج 2 ص 71.. الخ وهنالك 36 مرجعا لم تذكر.

وبالفعل فقد نصب النبي (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين عليا مرجعا وخليفة من بعده في جمع ضم مائة ألف مسلم في غدير خم، وذلك يوم الخميس وقد نزل عليه جبريل بعد مضي خمس ساعات من النهار فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: * (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك.....) *.

وقد نزلت هذه الآية يوم الغدير [1].

وبعد أن نصب الرسول عليا إماما ومرجعا وخليفة من بعده نزلت الآية * (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) * وهذه الآية نزلت بذي الحجة وبمنطقة غدير خم وبنفس المكان الذي نصب فيه أمير المؤمنين ومباشرة بعد تنصيبه [2].

وبعد تنصيب الإمام علي بن أبي طالب وليا ومرجعا وخليفة للأمة بعد النبي

---

(1) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 86 وفتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان ملك بهو بال ج 3 ص 63 وشاهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكاني ج 1 ص 187 وأسباب النزول للواحدي النيسابوري ص 115 والدر المنثور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي الشافعي ج 2 ص 298 وفتح القدير للشوكاني ج 2 ص 60 وتفسير الفخر الرازي الشافعي ج 12 ص 50 ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 44 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 25 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 120 و 249 والملل والنحل للشهرستاني الشافعي ج 1 ص 163 وفرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 158 ، وعمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين الحنفي ج 8 ص 58 ومودة العربي للهمداني وروح المعاني للآلوسي ج 2 ص 348 وتفسير المنار لمحمد عبده ج 6 ص 463.... الخ.

(2) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي ج 2 ص 75 والمناقب لابن المغازلي الشافعي ص 19 وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 157 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 290 والدر المنثور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي الشافعي ج 2 ص 259 والاتفاق للسيوطي الشافعي ج 1 ص 31 والمناقب للخوارزمي الحنفي ج 1 ص 47 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 115 وفرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 72 و 74 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 35 وكتاب الولاية لابن جرير الطبري وروح المعاني للآلوسي ج 6 ص 55 والبداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 213..... الخ.

تقدم عمر بن الخطاب من أمير المؤمنين عليا وقال له مداعبا " بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم " وتلك حقيقة [1].

وأصبح يوم الغدير عيدا عاما للمسلمين في الأزمنة المتقادمة [2]. وحديث الغدير قد بلغ مرتبة التواتر عن طريق علماء أهل السنة، وألفت فيه المؤلفات منها كتاب الولاية لابن حجر الطبري وكتاب الولاية لأبي العباس بن أحمد بن عقدة المتوفى 333 هـ وكتاب ابن روى حديث غدير خم لأبي بكر الحصابي المتوفى 355 هـ والدارقطني المتوفى في 385 هـ له جزء في طريق حديث الغدير وكتاب الراية في حديث الولاية لأبي سعد السجستاني المتوفى 477 هـ وكتاب دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة لأبي القاسم عبيد الله الحنفي المتوفى 490 هـ ..... الخ. وقد روى حديث الغدير من الصحابة 116 صحابيا ورواه 84 من التابعين، وروى حديث الغدير كل علماء أهل السنة وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري وعددهم 360 عالما كما ذكر الأميني في كتاب الغدير.

ويكفي أن عمر بن الخطاب تقدم وهنأ عليا يوم الغدير قائلا له: " هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة "

---

(1) راجع تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 75 ح 575 و 577 و 578 وراجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 18 ح 24 وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 ، وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 290 وراجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 1 ص 158 ح 213، وراجع سر العالمين لأبي حامد الغزالي ص 21، وراجع إحقاق الحق ج 6 ص 256 وراجع الغدير للأميني ج 1 ص 132 وراجع فرائد السمطين لابن الخوارزمي ج 1 ص 277.... الخ.

(2) وقد نقله العلامة الأميني في كتاب الغدير ج 1 ص 267 نقله عن الآثار الباقية في القرون الخالية للبيروني ص 334 وراجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 44 ووفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 60 ترجمة المستعلي بن المنتصر و ج 2 ص 223 في ترجمة المستنصر العبيدي.

نموذج من إعلان يوم الغدير

قال الطبراني في المعجم الكبير:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري الصحابي الجليل (رضي الله عنه) قال: لما صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا، ثم بعث إليهم، فقم ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى تحتهن، ثم قام فقال:

" يا أيها الناس إني قد أنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون ؟ " قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا.

فقال: " أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق ونارة حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا بلى نشهد بذلك قال: اللهم اشهد ثم قال: أيها

الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا – يعني عليا رضي الله عنه – مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [1].

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 50 ح 548 و 550 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 281 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 24 والحاوي ملفناوي للسيوطي ج 1 ص 122 وذخائر العقبى للطبري ص 67 وفضائل الخمسة ج 1 ص 350 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 197 وعلم الكتاب لخواجه الحنفي ص 161 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 109، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 و 31 و 249 وتفسير الفخر الرازي الشافعي ج 3 ص 63 وتذكرة الخواص للسبط الجوزي ص 29 ومشكاة المصابيح ج 3 ص 246 وعبقات الأنوار ج 1 ص 285 وفرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 77 وراجع المراجعات تحقيق السيد حسين راضي ص 177 ج 2 من المراجعات.

ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين: فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض [1].

التأكيد الشرعي على ولاية علي

قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي: " أنت وليي في الدنيا والآخرة " [2]، " أنت ولي كل مؤمن بعدي "، وقال: " من كنت وليه فإن عليا وليه "، وقال: " إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ إنه وليكم بعدي "، وقال مرة:

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعي ص 25 وصحح الحديث، وراجع معجم الزوائد للهيثمي الشافعي ج 6 ص 164 وراجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 45 ح 545 وراجع كنز العمال للمتقي الهندي ج 1 ص 168 ح 959 وراجع الغدير للأميني ج 1 ص 26 - 27 وراجع عبقات الأنوار مجلد حديث التعليق ج 1 مجلد 12 ص 3132 و ج 156 وراجع نوادر الأحوال للحكيم الترفدي الشافعي ص 289، وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 37.

(2) وقد صرح الذهبي بصحته على نفسه في تلخيص المستدرك ص 26، وابن حجر ذكره في صواعق باب 12 ص 16 وأخرجه مسلم في فضائل علي ص 24 ج 2 من صحيحه والحاكم ص 109 ج 3 من مستدركه وابن حجر في باب 11 ص 107 من صواعقه وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه، وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي وفي غزوة تبوك موجود في صحيح بخاري ج 2 ص 58 وراجع صحيح مسلم ج 2 ص 323 و ص 28 ج 1، وراجع ص 109 ج 2 من مسند الإمام أحمد و ص 172 و 175 و 777 و 179 و 182 و 185 ج 1 من المسند و ص 331 و ص 269 و ص 438 ج 6 من المسند و ص 32 ج 3 من المسند وراجع الصواعق المحرقة باب 11 ص 107 وراجع فصل 2 باب 9 ص 72 من الصواعق وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء وذكره أن الطواني أخرجه والزار في مسنده وراجع ص 65 من تاريخ الخلفاء، وأخرجه الترمذي كما يدل الحديث 2504 وراجع ج 6 ص 152 من الكنز وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب.

" إنك ولي كل مؤمن بعدي "، وقال: " من كنت وليه فهو وليه "، وقال: " من كنت مولاه فهذا علي مولاه "، وقال: " إنك ولي المؤمنين بعدي " [1].

وجاء حديث المنزلة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ليؤكد هذه الولاية:

" أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي "وهذا الحديث من أصح الآثار وقد رواه أصحاب السنن [2].

---

(1) راجع النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص 438 ج 4 والحاكم في مستدركه ص 111 ج 3 والذهبي في تلخيص المستدرك وراجع المراجعات ص 163 - 164 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول.

(2) نذكر على سبيل المثال البخاري ج 5 ص 129 وصحيح مسلم ج 2 ص 360 ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج 3 ص 50 ح 1490 بسند صحيح و ص 56 ج 5 و ص 57 و ص 66 وسنن ابن ماجة ج 1 ص 42 و ج 4 ص 208 من صحيح بخاري و ج 3 ص 109 من المستدرك للحاكم و ج 3 ص 104 من تاريخ الطبري و ج 1 من تاريخ ابن عساكر حديث 30 و 125 و 148 و 149 و 150 وقد رواه بأكثر من مائة رواية وأنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 106 والإصابة لابن حجر ج 2 ص 507 و 509 والاستيعاب بهامش الإصابة ج 3 ص 34 و 35 والخصائص للنسائي ص 76 و 77 و 78 ومناقب علي لابن المغازلي وحلية الأولياء ج 7 ص 194 والمناقب للخوارزمي ص 60 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 168 وينابيع المودة للقندوزي ص 35 وأسد الغابة ج 2 ص 8 ونظم درر السمطين للزرندي ص 95 وكفاية الطالب للكنجي ص 281 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص 495 والمعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 22 و 54 ومجمع الزوائد ج 9 ص 109 وكنز العمال ج 15 ص 139 والعقد الفريد لابن عبدربه ج 4 ص 311 وجامع الأخوة لابن الأثير ج 9 ص 468 ومشكاة المصابيح ج 3 ص 242 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 56.... الخ.

الهداية من بعد النبي

قال النبي (ص): " أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون " [1].

الحجة من بعد النبي

قال النبي (ص): " أنا وهذا – يعني عليا – حجة على أمتي يوم القيامة " [2].

قال: (صلى الله عليه وسلم): " علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به حبه إيمان وبغضه نفاق. وقال: " أنا مدينة العلم وعلي بابها " وسنبينه في باب القيادة السياسية.

وقال لعلي: " أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي " [3].

هذه السنن وأمثالها تؤكد أن النبي قد عين مرجعية للأمة من بعده ترجع إليها في

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 417، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 107 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 90

وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 99 ونور الأبصار ص 71 وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 293 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 233 وإحقاق الحق ج 4 ص 301 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 34 وفرائد السمطين ج 1 ص 148 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 1 ص 66 والدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 45 وزاد المسير لابن الجوزي ج 4 ص 307 وروح المعاني للآلوسي ج 13 ص 97، وتفسير الشوكاني ج 3 ص 70 وتفسير الطبري ج 13 ص 108 وتفسير ابن كثير ج 3 ص 502.....

(2) مناقب علي لابن المغازلي ص 45 ح 67 و ص 97 ترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 273 ح 793 و 794 و 795 وينابيع المودة للقندوزي ص 239 وكنوز الحقائق للمناوي ص 38 والميزان للذهبي ج 4 ص 138 ومنتخب الكنز ج 5 ص 34 من مسند الإمام أحمد.

(3) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 488 ح 1008 و 1009 ومقتل الحسن للخوارزمي ج 1 ص 86 والمناقب للخوارزمي ص 236 وكنوز الحقائق للمناوي ص 182 ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ص 33.

أمور دينها ودنياها وأن هذا المرجع الفرد هو علي بن أبي طالب، وسنقوم بمعالجة الموضوع بتفصيل أدق عند بحث القيادة السياسية في الباب الرابع من هذه الدراسة.

المرجعية الجماعية عند أهل الشيعة

أهل الشيعة يعتبرون النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين قدوة لهم لفضلهم على الإسلام وتفضيل الله لهم، فهم الأبناء والنساء والأنفس التي عنتها آية المباهلة:

* (فقل تعالوا ندع أبناءنا.....) * [1] فقد نزلت هذه الآية في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) [2] وهم حبل الله * (واعتصموا بحبل الله...) * [3].

وهم أهل الذكر الذي قال الله تعالى فيهم: * (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) * [4] وهم المحسودون * (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من

(1) آية 61 من سورة آل عمران.

(2)راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل ج 2 ص 360 و ج 7 ص 120 بشرح النووي وصحيح الترمذي ج 4 ص 293 وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج 1 ص 120 – 129 ،والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج 3 ص 150 وصححه، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ذكر في النوع " 17 " وتلخيص المستدرك للذهبي ومناقب علي للمغازلي الشافعي وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 21 وتفسير الطوسي ج 3 ص 299 – 301 والكشاف للزمخشري ج 1 ص 368 – 370 وتفسير القرطبي ج 4 ص 104 وأسباب النزول للواحدي ص 59 وأحكام القرآن لابن عربي ج 1 ص 275، وفتح القدير للشوكاني ج 1 ص 347 وتفسير الفخر الرازي ج 2 ص 699 ..... وقد ذكر السيد حسين راضي قرابة 90 مرجعا تجدها على الصفحة 45 من ملحق المراجعات للعاصي.

(3) آية 103 من سورة آل عمران،راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ص 130 ح 177 178 و 179 و

180 وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعي ص 189 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 139 و 238 وراجع الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي الشافعي ص 76 وروح المعاني للآلوسي ج 4 ص 16 ونور الأبصار للشبلنجي ص 102.

(4) الأنبياء آية 7 راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 1 ص 334 ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 51 وتفسير القرطبي ج 11 ص 272 وتفسير الطبري ج 14 ص 109

فضله) * [1] وهم ذو القربى * (وآت ذا القربى حقه) * * (... فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) * [2] وهم المطهرون * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) * [3].

وهم الذين فرض الله مودتهم [4]. وهم الذين أوجب الله الصلاة عليهم في أثناء

وتفسير ابن كثير ج 2 ص 570 وروح المعاني للآلوسي ج 14 ص 134 وإحقاق الحق للتستري ج 3 ص 482.

(1) النساء آية 54 ،راجع علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 467 ح 314 وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 1 ص 143 والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 150 ونور الأبصار للشبلنجي ص 102وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي مصنوع بهامش نور الأبصار ص 108 والإتحاف بحب الأشراف للشبراوي الشافعي ص 76 وورد الصادي لأبي بكر الحضرمي ص 37 والغدير للأميني ج 3 ص 61.

(2)راجع الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 177 ومجمع الزوائد ج 7 ص 49 وتفسير الطبري ج 15 ص 72 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 49 ومنتخب بهامش مسند الإمام أحمد ج 1 ص 228 وتفسير الطبري ج 10 ص 5 وشواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 338 وينابيع المودة للقندوزي ص 50.

واتلوا الآيات الإسراء آية 26 والأنفال آية 41 والحشر آية 7.

(3) الأحزاب آية 33 ،راجع صحيح مسلم فضائل أهل البيت ج 2 ص 368 و ج 15 ص 194 بشرح النووي وشواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 33 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 347 وتلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك والدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 198 وفتح القدير للشوكاني ج 4 ص 279 وعلى الصفحات 76 وما فوق من كتابنا النظام السياسي في الإسلام عالجت هذا الموضوع بطريقة علمية ومقنعة ويمكن لمن يشاء الرجوع إلى هذه المعالجة.

(4)راجع شواهد التنزيل للحاكم الحنفي ج 2 ص 130 ومناقب علي لابن المغازلي ص 307 وذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 25 و 138 والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 101 و 135 و 136 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 11 ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج 1 ص 1 و 57 وتفسير الطبري ج 25 ص 25 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 172 والإتحاف للشبراوي ص 5 و 13،وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 110 وتلخيص المستدرك للذهبي ذيل المستدرك ج 3 ص 172 وتفسير الكشاف للزمخشري ج 3 ص 402 وتفسير القرطبي ج 16 ص 22 وفتح القدير للشوكاني

الصلاة [1].

وهم الثقل الأصغر، فالقرآن وأهل البيت حرز من الضلالة [2]. وهم المتقدمون [3] وهم سفينة النجاة من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق [4]، وهم أمان الأمة من الاختلاف ومخالفهم من حزب إبليس [5]، وهم الأمان لهذه

ص 537 وحلية الأولياء ج 3 ص 201.... الخ.

(1) الغدير للأميني ج 2 ص 302 والصواعق المحرقة ص 87 و 139 وتفسير الرازي ج 7 ص 391 وذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 19 والمستدرك للحاكم ج 1 ص 269 ، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 1 ص 208 والأنوار المحمدية للنبهاني ص 422 وراجع قول الإمام الشافعي " كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له " في الصواعق المحرقة 146 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 354 وإسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار ص 118 والإتحاف بحب الأشراف للشبراوي الشافعي ص 29 ونور الأبصار للشبلنجي ص 105 والسيرة النبوية لزين دحلان بهامش السيرة الحلبية ج 3 ص 332... الخ.

(2) صحيح الترمذي ج 5 ص 328 كنز العمال ص 153 وتفسير ابن كثير ج 4 ص 113 وجامع الأصول لابن الأثير ج 1 ص 187 والمعجم الكبير للطبراني ص 137 ومشكاة المصابيح ج 3 ص 258 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 114 والفتح الكبير للنبهاني ج 1 ص 503 ، الصواعق المحرقة ص 147 و 226 والمعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 135 وتفسير الخازن ج 1 ص 154 التاج الجامع للأصول ج 3 ص 308 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 21 وصحيح مسلم ج 2 ص 362.... الخ.

(3) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 148 و 226 ومجمع الزوائد ج 9 ص 163 والدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 60.

(4) تلخيص المستدرك للذهبي، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 235 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 و 370 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 184 و 234 وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص 105 ، فرائد السمطين ج 2 ص 246 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 378 والمعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 22 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 113 والصواعق المحرقة ص 91.... الخ.

(5) الصواعق المحرقة ص 91 و 140 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 114 ، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 93 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 298 وجواهر البحار للنبهاني ج 1 ص 361.

الأمة [1].

قال (صلى الله عليه وآله): " في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من تعزون " [2].

ثمرة اتباع الشيعة للمرجعية الشرعية

لأن الشيعة والوا محمدا وأهل بيت محمد مازالوا يوالونهم،ولأنهم يعتبرون عميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم وقدوتهم فإن الله سبحانه وتعالى اصطفاهم لحفظ دينه على الأصول المستقرة وقد بشرهم النبي أنهم خير البرية.

وعندما نزل قوله تعالى: * (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) * قال الرسول (صلى الله عليه وآله): يا علي هم أنت وشيعتك [3].

---

(1) ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 17، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 234 وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 112 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 161 والفتح الكبير للنبهاني ج 3 ص 267 ومنتخب كنز العمال ج 3 ص 267 ، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 92 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 185 و 233 وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 128... الخ.

(2) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 148 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 226 و 236 و 327 وذخائر العقبى لمحب الدين الطوي الشافعي ص 17.

(3)راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 2 ص 356 - 366 حديث 1125 - 1135 و 1137 و 1139 - 1148 ،وراجع كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 244 و 245 ،والمناقب للخوارزمي ص 62 و 187 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 107 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 92 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 442 ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 62 ونور الأبصار للشبلنجي ص 71 و 102 والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 96 والدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 379 وتفسير الطوي ج 3 ص 146 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص 18 وفتح القدير للشوكاني ج 5 ص 477 وروح المعاني للآلوسي ج 30 ص 207 وإحقاق الحق للتستري ج 3 ص 387 والغدير للأميني ج 2 ص 57 وفضائل الخمسة ج 1 ص 378 وغاية المرام باب 28 من العقد الثاني ص 328 وفرائد السمطين ج 1 ص 156.

الباب الرابع

القيادة والسياسة

الفصل الأول

القيادة السياسية

1 – ضوابط حركة المجتمع

حركة المجتمع – أي مجتمع سياسي على الاطلاق – تسير وفق ضابطين رئيسيين، والمجتمع المسلم كواحد من المجتمعات السياسية الإنسانية لا يشذ عن هذه القاعدة، فحركته أيضا محكومة بضابطين:

1 – الضابط الأول: وهو العقيدة أو المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بمثابة القانون النافذ في المجتمع الإسلامي وهي عبارة عن مخططات عامة وتفصيلية تعطي بالكامل حركة المجتمع الإسلامي في كل مجالات الحياة بالحال والمآل وإن شئت فقل إنها الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء قد أصاب المجتمع الإسلامي أو سيصيبه. وتحتوي هذه المنظومة على التجذير النظري والعملي والتنظير لكل داء ودواء وتقدم ضمانة مؤكدة لفاعلية هذا العلاج ونتائجه. وهذه المنظومة معدة ومصاغة لتغطي حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعالم كله وتنظيم علاقات المجتمع وقيادتهم إلى التعاون والانسجام وإشباع حاجاتهم المادية والروحية أيضا.

2 – الضابط الثاني: وهو القيادة السياسية المنبثقة عن هذه العقيدة فهي الجهة المخولة وفق أحكام هذه المنظومة الإلهية بإبقاء حركة المجتمع الإسلامي دائما وفق أحكام هذه المنظومة الحقوقية الإلهية وتوضيحا هو بمثابة المهندس الذي استوعب المخططات العامة والتفصيلية للعقيدة الإلهية، وهو بمثابة الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصف العلاج ويقدمه لك ويصف كيفية استعماله، ويتابعك وأنت

تتناوله حتى يتم الشفاء.

وهو المنظر للمنظومة الحقوقية الإلهية وهو المشرف العام على تطبيقها والمرجع العام لفهم أحكامها ومراميها، لأنه هو الأعلم بها والأفهم لقواعدها وغاياتها والأفضل من بين أتباعها والأنسب من بين كل الموجودين لقيادة أتباع هذه العقيدة وهو المبين لها من خلال نقلها وتبليغها بالضبط كما تلقاها من ربه، ومن خلال ترجمتها من النص إلى الحركة بعد عملية النقل والتبليغ. وهو الشاهد على عملية البيان بشقيها النظري والعملي، وهو المبشر للمخلصين للعقيدة والمنذر للمعاندين لها وهو الداعية إلى الله وهو السراج المنير الذي ينير درب المجتمع أثناء حركة هذا المجتمع الحياتية.

2 – الترابط والتكامل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية

العقيدة الإلهية الإسلامية بكليتها وأساسها قائمة على ركنين أساسيين، أولهما كتاب الله المنزل وهو القرآن الكريم، وثانيهما نبي الله المرسل وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). محمد هو القيادة السياسية المخولة إلهيا بقيادة الدعوة إلى العقيدة

والمعينة إلهيا لتقود الدولة بعد أن تسفر الدعوة عن الدولة بمعنى أن القيادة السياسية لدعوة العقيدة ودولتها هي جزء لا يتجزأ من هذه العقيدة وهي أصل من أصولها، فالإيمان بقيادة محمد السياسية وولايته هي جزء من الإيمان بالعقيدة الإلهية، كذلك فإن الإيمان بقيادة طالوت السياسية كان جزءا لا يتجزأ من العقيدة الإلهية الناقدة آنذاك، وكذلك الإيمان بقيادة داود، وسليمان (عليهما السلام).

لأنه ليس بالإمكان وفق نواميس الحياة تبليغ العقيدة الإلهية وبيان أحكامها وتطبيق هذه الأحكام دون القيادة السياسية لمحمد بالذات، فهو نفسه المخول بترجمة نصوصها من الكلمات إلى الحركات وهكذا فعل عبر دعوة قادها بنفسه، وعبر دولة ترأسها بنفسه، لأنه هو بالذات محور وأسس القيادة السياسية التي أسندت إليها مهمة قيادة الدعوة والدولة معا.

ويؤكد هذا الترابط العضوي والتكامل المحتوم بالضرورة أن الله سبحانه وتعالى وطوال التاريخ البشري لم يرسل رسالة إلى بني البشر بدون رسول ولم ينزل كتابا إلا

على عبد ليقود المؤمنين وفق أحكام هذا الكتاب بعد أن بين لهم تلك الأحكام، ولو كان مجديا فك الترابط بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية، وبين الرسالة والرسول وبين الكتاب والعبد لكان يسيرا على الله أن يرسل نسخا من كل الكتب السماوية إلى كل إنسان بالغ وأن يكلفه بفهمها والعمل بها، ولما كانت هنالك حاجة لإرسال عشرات الآلاف من الرسل والأنبياء والمهديين.

ففك الارتباط والتكامل بين العقيدة الإلهية وبين القيادة السياسية غير وارد بكل المقاييس العقلية والمنطقية والدينية والفطرية، ويخرج عن دائرة المعقول تماما التمسك بالقرآن وحده وتجاهل القيادة السياسية الإلهية، فمن يقول إنه يؤمن بالقرآن ولا يؤمن بمحمد كقائد له وكولي هو ليس مؤمنا بالإجماع. ومن يقول أنه يوالي محمدا كقيادة سياسية ولا يؤمن بالقرآن هو أيضا ليس مؤمنا بالإجماع لأن من مستلزمات الإيمان الإيمان بالعقيدة الإلهية كقانون نافذ، والإيمان بمحمد كقائد وكولي يقود حياة المؤمنين ضمن هذا القانون النافذ.

فالقيادة السياسية هي بمثابة الهيئة التأسيسية فهي المختصة ببيان العقيدة وبقيادة الأتباع وفق أحكام هذه العقيدة.

وعمليات البيان وعمليات القيادة عمليات فنية تماما كالطب أو علم الذرة أو علم الهندسة، ومن المستحيل أن نترك لأهوائنا واجتهاداتنا.

مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية

أول ولي وقائد سياسي للأمة الإسلامية هو محمد (صلى الله عليه وآله) فهو القدوة وهو المثال الذي يقاس عليه، والذين تولوا الولاية والقيادة والمرجعية من بعده تولوها بوصفهم خلفاء للنبي، فالمؤهلات العلمية للنبي كولي وكقائد سياسي وكمرجع للأمة هي أنه أعلم أهل زمانه بالعقيدة الإلهية وأفهم أهل زمانه بأحكامها وأفضل الموجودين من أتباعها وأنسبهم لقيادة ولايتها ومرجعيتها، بالإجماع. ودليلا على ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي عينه وجمع له الولاية والقيادة والمرجعية، ولا يعارض بذلك أحد من أبناء الملة.

وأي قيادة وولاية ومرجعية تأتي من بعده يجب أن تكون لها نفس المؤهلات

فالولي القائد المرجع بعده يجب بالضرورة أن يكون:

1 – الأعلم بالعقيدة 2 – الأفهم بأحكامها 3 – أفضل الموجودين من أتباعها 4 – أنسب هؤلاء الأتباع لقيادة الأمة.

وهذه معايير موضوعية، وأمنيات مجردة، وغايات محددة لكل من أراد الحق وجانب الهوى. فمن مصلحة كل المؤمنين أن يتولاهم ويقودهم الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ولا مصلحة شرعية لأي واحد منهم بأن يتولى غير من كانت هذه صفاته.

من هو المختص بالتأكد من توافر المؤهلات

لا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك هو: الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب، لأن الأفراد والجماعات والأمم لا يعرفون ذلك على وجه الجزم واليقين، لأن إمكانياتهم وطاقاتهم العقلية والفطرية والعلمية لا تمكنهم من ذلك، ولأنهم لا يعرفون إلا الظاهر، أما البواطن فهم يجهلونها، وإذا اجتهدوا وحاولوا أن يبحثوا عن الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب فإن النتائج التي سيتوصلون إليها قائمة على الفرض والتخمين فقد تكون وقد لا تكون، ولكن المؤكد أن هذه النتائج هي ثمرة مبلغهم من العلم مشبعة بكل نوازع النفس الإنسانية.

والمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخمين إنما الجزم واليقين. إذا، فإن المؤهل والمختص بإعطاء المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا، فهو نفسه الذي قدم لنا محمدا وأكد لنا أنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب وهو نفسه صاحب العقيدة والأحرص على مصلحتها، وهو المعني تماما بأن يقدم لنا من تتوفر فيه هذه الصفات على وجه اليقين وفي كل زمن من الأزمان من بعد وفاة النبي وحتى تقوم الساعة.

فمنذ اليوم الذي شرع فيه محمد بالدعوة شرع بأمر من ربه بإعداد هذا الذي سيتولى الولاية والقيادة والمرجعية من بعده، وبين الطريقة التي ستتم بها عملية استكشاف من كانت هذه صفاته.

والخلاصة أن المختص بالتأكد من توافر هذه الصفات هو الله تبارك وتعالى.

القبول بالتكييف الإلهي

إذا قبلت الأمة بالتكييف الإلهي ووافقت على أن فلانا هو الأعلم وهو الأفضل وهو الأفهم وهو الأنسب، فإنها تعبر عن هذا القبول بالمبايعة فتتفق إرادة الأمة مع إرادة الله، وغاية الأمة مع غاية الله فيكون فلان هذا معين من الله ومقبول من الأمة فيستمد شرعية وجوده كولي وكقائد من مصدرين: الأول الله الذي كيف صفاته وعينه على أساسها، والمصدر الثاني الأمة التي قبلت بالتكييف الإلهي بأن فلانا هذا هو الأعلم والأفهم بالعقيدة وأفضل أتباعها لقيادتها فبايعته على هذا الأساس وقبلت به وليا وقائدا ومرجعا.

وبهذه الحالة تستقيم أمور الأمة وعقيدتها وقيادتها السياسية ويقطف الجميع أحلى الثمرات وأطيبها وتشق الدعوة والدولة طريقهما إلى الله بيسر ورخاء وريح مواتية ويتفيأ الجميع في ظلال النعمة الإلهية.

رفض التكييف الإلهي

إذا لم تقبل الأمة التكييف الإلهي بأن فلانا هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب لقيادتها على وجه الجزم واليقين، واجتهدت الأمة أو هكذا خيل إليها بأن فلانا هو الأنسب لخلافة النبي من فلان. فمعنى ذلك هو رفض التكييف الإلهي القائم على الجزم واليقين واستبداله بتكييف بشري قائم على الفوض والتخمين.

وهذه العملية " الرفض والاستبدال " لا تغير من الحقيقة شيئا،ولا تجعل فلانا أنسب من فلان لكن تحدث عملية انفكاك واقعية فيتولى الولاية والقيادة والمرجعية شخص آخر غير الشخص الذي عينه الله، وبما أن الولاية والقيادة والمرجعية اختصاص، وحيث أن الشخص البديل غير مؤهل لهذا الإختصاص فتحدث تبعا لذلك انهيارات متلاحقة، وما زال تتوالى حتى تعصف بالأمة وتوقفها بعد وحدة وتذلها بعد عزة، وتخرج رويدا رويدا من دائرة المنظومة الحقوقية الإلهية إلى دائرة العقل أو دائرة الفوض، أو دائرة الشهوة أو مزيج من هذه الدوائر مجتمعة، وتتوقف

العقيدة عن العطاء ويحل غضب الله بالأمة ولا يزول إلا بإعادة الأمور إلى نصابها ووضع القيادة التي كيفها الله وعينها. ومن الطبيعي أن الله لا يكره المريض على تناول العلاج،ولا يجبر الضال على سلوك طريق الهدى، فما على الله إلا أن يقدم العلاج ويرغب المريض فيه، ويبين طريق الهدى للضال ويشجعه على السير فيه، فإذا رفض المريض العلاج مع سبق الاصرار فهو المفرط بحق نفسه، وإذا رفض الضال طريق الهدى فجنايته على نفسه وعلى الذين ساروا خلفه. وهذه حال الذين رفضوا العقائد الإلهية ورفضوا موالاة الرسل، أو كانوا على استعداد للنظر في العقائد الإلهية لكنهم غير مستعدين لموالاة الرسل.

أشكال رفض التكييف الإلهي

1 – الشكل الأول: القبول بالعقيدة الإلهية وعدم القبول ولاية القيادة السياسية كالإيمان بنبي بني إسرائيل ورفض موالاة طالوت لأنه ليس الأحق بالقيادة حسب رأيهم، فبين الله سبحانه وتعالى لهم أنه زاده بسطة في العلم والجسم ودعمه بالبينات فقبلوه مكرهين وانتهى الرفض إلى القبول.

2 – الشكل الثاني: الإيمان بالعقيدة الإلهية وعدم القبول ولاية القيادة السياسية من بعد النبي بتأويل مفاده أن الله لم يعين هذه القيادة إنما عينها النبي حسب اجتهاده كبشر، وأنه لا حرج من مخالفة هذا الاجتهاد واختيار شخص آخر بدلا من الذي اختاره النبي، لأن الذي اختاره النبي من بني هاشم، والله قد أعطى الهاشميين النبوة والأفضل لمصلحة الجميع أن يهنأ الهاشميون بالنبوة وأن يتولى الخلافة غيرهم، أضف إلى ذلك أن هذا الذي اختاره النبي به دعابة، وعنده زهو بنفسه، ومازال

فتى، وهنالك من هو أسن منه، وهم مشيخة قريش. لكل هذه الأسباب آمنوا بالعقيدة الإلهية ورفضوا موالاة الرجل الذي كيفه الله وأعده رسوله وعينه خليفة من بعده. وهذا ما حدث لعلي بن أبي طالب.

الصفحة 219

3 – الشكل الثالث: رفض العقيدة الإلهية كقانون نافذ للأمة، ورفض موالاة الذي عينه الله، وهذا الرفض يدخل صاحبه الكفر من أوسع الأبواب والعياذ بالله.

الصفحة 220

الصفحة 221

الفصل الثاني

القيادة السياسية

3 – الإعداد الإلهي لخلافة النبي

قبل أن يلد آدم

شاء الله تعالى أن يكون النبي العربي خاتم الأنبياء، وأن يكون دين الإسلام آخر الديانات السماوية، وأن يتولى هذا النبي بيان هذا الدين عبر دعوة يقودها بنفسه، تتمخض عن دولة الإيمان التي يؤسها بنفسه، ومن خلال مرحلتي الدعوة والدولة ثم بيان الإسلام نظريا، وتحول النظر إلى التطبيق، واتضحت أدق خفاياه وأبرز معالمه حتى لكان البيان المحمدي تصوير فني بطئ مصحوب بالصورة والصوت والحركة.

وقد قضت مشيئة الله أن ينطلق النبي وخليفته ووليه من بعده معا وأن يكونا معا حتى يبين النبي دين الإسلام، ويكون قاعدته، ويؤسس دولته وبعد ذلك يختار ما عند الله ويسلم الراية لولي عهده وخليفته من بعده، فينطلق على نفس البصيرة، ويتابع نفس الطريق، تلك هي الصورة الزاهية التي رسمتها العناية الإلهية وعرضتها على شاشة أذهان الذين أمنوا وتمنت عليهم لو عملوا على تنفيذها طوعا وبدون إكراه، لأن الصلة بين النبي وولي عهده تصلح أن تكون منارا لنمط الأخوة الإيمانية، وأسلوب تبعية الخط الإيماني. وتفسر طبيعة العلاقة بين السلف والخلف وبين التابع والمتبوع في الإسلام.

يقول النبي (صلى الله عليه وآله): " كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله

الصفحة 222

جزئين فجزء أنا وجزء علي " [1] . فالله تعالى هو الذي خلق النورين وسواهما معا ثم وزع الأدوار بينهما. والله تعالى هو الذي اطلع إلى أهل الأرض فاختار منها رجلين أحدهما النبي (ص) والآخر زوج ابنته والولي من بعده، وعملية الاختيار [2]

الإلهي للرجلين من أبرز الثوابت .

قبيل الدعوة

مات والد النبي وهو في بطن أمه، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات جد النبي فكفله عمه عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب، فأبو طالب عم النبي الشقيق ووالد الخليفة والولي من بعده علي. ويشب النبي ويترعرع ويتزوج امرأة فاضلة ميسورة الحال وهي خديجة بنت خويلد، ويكون لنفسه بيتا ويستقل، وأراد أن يساعد عمه صاحب العيال وفقير الحال عبد مناف والد علي، فأخذ أحد أطفال عمه ليغذوه له، وشاءت العناية الإلهية أن يكون هذا الطفل هو علي والخليفة والولي فيما بعد، ونما الصبي، وترعرع في كنف ابن عمه ولم يفارقه حتى اختص الله محمدا بالنبوة، ثم لازمه حتى انتقل الرسول (ص) إلى جوار ربه.

بعد النبوة

نبئ النبي يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء، وتابع الفتى التصاقه بالنبي ولم يفارقه قط، كانا في مكة معا، وكانا في المدينة معا، وسكنا في بيت واحد طوال حياة النبي. فكان محمد (ص) هو الذي جاء بالصدق وعلي هو الذي صدق به وهذا معنى قوله تعالى: * (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) * [3]

---

(1) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وفي كتابه فضائل علي وذكره صاحب الفردوس وزاد فيه " ثم انتقلت حتى صرت في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية " وراجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 3 ص 252 وما فوق.

(2) راجع على سبيل المثال: المستدرك للحاكم ج 3 ص 129 ، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 249 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 4 ص 195 وكنز العمال ج 6 ص 391 و ج 15 ص 95 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 297.... الخ.

(3) راجع شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 2 ص 120 ح 810 - 815 وراجع مناقب علي لابن

فما جادل النبي ولا عانده إنما كان الصديق لكل أقوال النبي وطوال حياته مع النبي.

كان فارسه الأول في كل حروبه، ومن هنا سمي الصديق الأكبر بالنص الشرعي والفارق الأعظم بالنص الشرعي [1].

وقال علي فيما بعد يصف علاقته بالنبي في تلك الفترة: " وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه.... وما وجد لي كذبة في قول أو خطلة بفعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لي كل يوم من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، وكنت في حراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة " [2].

وسئل قثم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله دونكم ؟

فقال: كان أولنا لحوقا به وأشدنا به لصوقا [3].

المغازلي الشافعي ص 369 ح 317 وراجع كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 233 وراجع الدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 328 وراجع تفسير القرطبي ج 15 ص 256 وراجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 418 وإحقاق الحق للتستري ج 3 ص 177.

(1) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 76 ومجمع الزوائد ج 9 ص 102 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 187 والإصابة لابن حجر ج 4 ص 171 والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ج 4 ص 170 والغاية ج 5 ص 287 وميزان الاعتدال ج 2 ص 417 وفرائد السمطين ج 1 ص 39 و 140 وذخائر العقبى للطبري ص 56 والغدير للأميني ج 2 ص 313 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 33 والسيرة الحلبية ج 1 ص 380 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 3 ص 261.

(2) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص 75 – 76.

(3) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة وابن جرير في تهذيب الآثار وهو الحديث 6155 من أحاديث الكنز ج 6 ص 408 وأخرجه النسائي في ص 18 من الخصائص العلوية ونقله ابن أبي الحديد في ص 255، مجلد 3 من شرح النهج وراجع ج 1 ص 159 من مسند الإمام أحمد.

إعلان الخلافة بعد النبوة

لما نزلت آية * (وأنذر عشيرتك الأقربين.....) * قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اجتماعه ببني عبد المطلب: " يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جئتكم به. إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصيي خليفتي فيكم بعدي ؟ " قال علي: فأحجم القوم منها جميعا وقلت وإني " أي عليا " لأحدثهم سنا: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال (أي الرسول صلى

(1)

الله عليه وآله): إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.... الخ .

(1) تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 2 ص 217 دار إحياء التراث، بيروت.

– جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوي مجلد 19 ص 75 في معرض تفسيره لآية * (وأنذر عشيرتك الأقربين) *.

– لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ج 5 ص 127 في معرض تفسير الآية.

– معالم التنزيل تفسير البغوي الوا ج 5 ص 127 على هامش تفسير الخازن.

– تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج 3 ص 774.

– السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ج 1 ص 458 وما فوق نقله عن البيهقي في الدلائل.

– الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 62 و 63.

– شرح النهج لابن أبي الحديد، ج 13 ص 210 و 244 تحقيق محمد أبو الفضل.

– السيرة الحلبية، ج 1 ص 311 منتخب الكنز بها مثل مسند الإمام أحمد، ج 5 ص 41 و 42.

– كنز العمال، ج 15 ص 115 ح 334 ، ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 125. وأخرجه بهذا المعنى الطحاوي والضياء المقدسي في المختارة وسعيد بن منصور في السنن وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه و ص 6 من الخصائص العلوية للنسائي وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفا.

وراجع ص 392 ج 6 من كنز العمال الحديث 6008 والحديث 6045 ص 396 ج 6

هذا نص شرعي بأن عليا بن أبي طالب قد عينه الرسول وصيا وخليفة من بعده. والسنة النبوية القول والفعل والتقرير جزء من العقيدة الإلهية، ولم يرد ما يشير إلى نسخ هذا النص. وهو حديث صحيح وقد صححه ابن جرير وأبو جعفر الإسكافي إذ أرسلا صحته إرسال المسلمات كما يقول الإمام العاملي في مراجعاته، وهو واضح المعاني ولا يمكن تأويله. فكيف تؤول الواضحات.

ومن الطبيعي أن النبي لم يقل ما قاله في اجتماع بني عبد المطلب " الأقربين " من تلقاء نفسه إنما كان بأمر من ربه، لأن النبي يتبع ما يوحى إليه ومن غير المعقول أن يعين النبي ولي عهده والخليفة من بعده دون الرجوع إلى ربه.

الاعلان عن ولاية العهد والتوطيد للولي

1 – المنزلة

(1)

قال النبي لعلي على مسمع من المسلمين: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " .

ففي هذا النص أعطى النبي لعلي كافة المنزل التي كان لهارون ولم يستثن إلا النبوة، واستثناء النبوة دليل على العموم كما يقول الإمام العاملي، ومن أبرز المنزل التي كانت لهارون من موسى وزارته وشد أزره وإشراكه في أمره وخلافته عنه وفرض طاعته على أمته بدليل قوله تعالى: * (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري) *. وقوله تعالى: * (اخلفني في قومي وأصلح) * وقوله تعالى مخاطبا موسى: * (قد أوتيت سؤلك يا موسى) * فعلي بحكم هذا النص خليفة

والحديث 6056 ص 397 ج 6 والحديث 6104 ص 404 والحديث 6155 ص 408، وراجع ص 255 مجلد 3 شرح النهج لعلامة المعتزلة.

(1) راجع على سبيل المثال صحيح البخاري، ج 5 ص 129 وصحيح مسلم ك الفضائل ب على، ج 2 ص 360 وصحيح الترمذي ج 5 ص 304 وصححه ومسند الإمام أحمد ج 3 ص 50 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 109 وتاريخ الطبري ج 3 ص 104 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 30.

النبي وولي عهده. وحديث المنزلة من أصح الآثار وقد بلغ من التواتر والشيوع أن رواه حتى معاوية إمام الفئة الباغية، وقد كرر النبي الاعلان عن هذه المنزلة عشرات المرات.

2 - الأخوة

وحتى يحكم الشرع الحلقة آخى الله بين النبي وبين علي وهذا شرف لم ينله غير علي ومرتبة لم يحصل عليها سواه، وأعلن النبي هذه المؤاخاة [1] قبل الهجرة وبعد الهجرة وقد أكد النبي هذه الأخوة عشرات المرات في عشرات المناسبات حتى لا ينساها المسلمون [2] ، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): " بشرة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج عليا فاطمة " [3] ، ولما زفت فاطمة إلى علي قال الرسول: " يا أم أيمن ادعي لي أخي، فقالت: هو أخوك وتنكحه ؟ قال: نعم.... " [4] .

وانظر إلى قوله (صلى الله عليه وآله) لعلي: أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة [5] .

---

(1) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص 23 وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 107 و 150 وكنز العمال ج 6 ص 290 ح 597 والمناقب للخوارزمي ص 7 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 21 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 109 وصحيح الترمذي ج 5 ص 30 وأسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص 221 و ج 3 ص 137 والاستيعاب بهامش الإجابة ج 3 ص 35 والطبقات لابن سعد ج 3 ص 220.... الخ فالذي يعرفه الجميع أن الرسول وعلي أخوة، وأن أبا بكر وعمر أخوة.

(2) ذكره أصحاب السنن في مسانيدهم وذكره فخر الدين الرازي في تفسير ج 2 ص 189 ، إذ جاء بالحديث القدسي: " إني آخيت بينه وبين محمد... " حديث المبيت على الفراش.

(3) المناقب للخوارزمي ص 246 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 60 وأسد الغابة لابن الأثير ج 1 ص 206

والصواعق المحرقة لابن حجر ص 171 (4)راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 115 وذخائر العقبى للطبري...

(5) ذكره ابن عساكر في تاريخه ج 1 ص 122 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 46.

ومثل قوله لعلي: "وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي ومني وإلي... " [1] وظل النبي يردد ويعلن هذه الأخوة طوال حياته، ولما حضرته الوفاة قال: " ادعو لي أخي " [2].

فدعا عليا فقال له: ادن مني فدنا منه وأسنده إليه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية.

من هنا فقد كان يقول: " أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب " [3].

ومن الأمور التي كان يعرفها العامة والخاصة أن عليا كان أخ النبي قبل الهجرة وبعدها، وأن المؤاخاة بين أبي بكر وعمر تمت قبل الهجرة وبعدها وقد أوصى أبو بكر بالخلافة لأخيه عمر من بعد ونفذت وصيته.

3 – الولاية

أعلن النبي للمسلمين أن الولي من بعده هو علي حيث قال له: " أنت ولي في الدنيا وفي الآخرة " [4] وقال لعلي: " أنت ولي كل مؤمن بعدي " [5]. وقد سمع

(1) ذكره الخوارزمي ص 27.

(2) الطبقات لابن سعد ج 2 ص 263 وقريب منه ما ذكره الخوارزمي في المناقب ص 29.

(3)راجع سنن ابن ماجة ج 1 ص 44 وتاريخ الطبري ج 2 ص 310 والاستيعاب بهامش الإصابة ج 3 ص 39 والكامل لابن الأثير ج 2 ص 57 وتاريخ ابن عساكر ج 1 ص 120.... الخ.

(4) وقد صرح الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك وذكره ابن حجر في صواعقه باب 12 ص 16 وأخرجه مسلم في فضائل علي في صحيحه ج 2 ص 24 وأخرجه الحاكم في مستدركه ص 109 وذكر ابن حجر في صواعقه باب 11 ص 107 وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه وراجع صحيح بخاري ج 2 ص 58 وصحيح مسلم ج 2 ص 323 و ج 2 ص 109 من مسند الإمام أحمد وذكره الطبراني وأخرجه البزار في مسنده والترمذي كما يدل الحديث 2504 ج 6 من كنز العمال وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب.

(5)راجع مسند الإمام أحمد ج 5 ص 25 بسند صحيح وراجع الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج 3 ص 28 وراجع الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 509 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 55 و 182 وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي ص 64

المسلمون بذلك وفي إحدى المرات بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سرية واستعمل على هذه السرية عليا بن أبي

طالب فاصطفى علي لنفسه من الخمس جارية فأنكروا عليه وشكوه للرسول، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): " إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ إنه وليكم بعدي " [1] . وطالما أعلن النبي وكرر " من كنت وليه فهو وليه، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه " وتلك النصوص من الذيوع والانتشار بحيث أنها لا تخفى على أحد. فقول النبي (ص): من كنت مولاه فهذا علي مولاه، قالها أمام أكثر من مائة ألف مسلم كما سوى ولم يكتف النبي (ص) بذلك بل كانت أوامره واضحة بضرورة موالاة علي وأهمية هذه الموالاة وأثرها في الدنيا والآخرة وأن من يتولى عليا هو تماما كمن يتولى النبي ومن يحب عليا هو تماما كمن يحب النبي، ومن يبغض عليا هو تماما كمن يبغض النبي ومن يتولى النبي فكأنما تولى الله.

ومن أحكامه (صلى الله عليه وآله) النصوص الشرعية التالية: " من يريد أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول عليا بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة " [2] .

وراجع المستدرك للحاكم ج 3 ص 34 وراجع تلخيص المستدرك مطبوع بذيل المستدرك للذهبي وراجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 384 ح 490.... الخ.

(1) راجع صحيح الترمذي ج 5 ص 296 ح 3796 وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 97 والمناقب للخوارزمي المنفي ص 92 والإصابة لابن حجر ج 2 ص 509 ونور الأبصار للشبلنجي ص 158 وحلية الأولياء ج 6 ص 294 وأسد الغابة ج 4 ص 27 وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 381 ومصابيح السنة للبغوي ج 2 ص 275 وجامع الأصول ج 2 ص 470 وكنز العمال ج 15 ص 124 وينابيع المودة للقندوزي ص 53 وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص 36 والغدير ج 3 ص 216 ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 48 ، وراجع ص 134 من ملحق المراجعات تحقيق السيد حسين راضي.

(2) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج 4 ص 349 - 350 ، وراجع مجمع الزوائد ج 9 ص 108 وراجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 93 ح 602 وراجع فضائل الخمسة ج 2 ص 213 ، وراجع إحقاق الحق ج 5 ص 108 وراجع فوائد (*)=

قال وهب بن حمزة: سافرت مع علي فرأيت منه جفاء فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " لا تقولن هذا لعلي فإنه وليكم بعدي " [1] .

ولاية علي وحبه ولاية الله وحب له

وخاطب النبي (ص) أصحابه قائلا: " أوصي من آمن بي وصدقني ولاية علي بن أبي طالب فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل " [2] .

وقال لهم يوما: " اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي وولايتي ولاية الله تعالى " [3] .

تتابع الاعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله

ولتوطيد ولاية علي نزلت آية الولاية * (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) * [4].

= السمطين للحموينى ج 1 ص 55.

(1) الإصابة لابن حجر ج 3 ص 641 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 385 ح 491 وينابيع المودة للقندوزي ص 55 والغدير للأميني ج 3 ص 216 وقريب منه في أسد الغابة ج 5 ص 94 ومجمع الزوائد ج 9 ص 109.

(2) راجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 93 ح 594 و 595 وراجع مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص 230 ح 277 و 279 وراجع مجمع الزوائد ج 9 ص 108 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 282 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 32وإحقاق الحق ج 6 ص 434 - 437، وفضائل الخمسة ج 1 ص 202 وفوائد السمطين ج 1 ص 291 وملحق المراجعات ص 29.

(3) راجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 91 ح 591.

(4) سورة المائدة آية 55 - 56.

وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين وهو راكع واستجابة لدعوة الرسول (ص): "واجعل لي وزيرا من أهلي علي أخي..... " [1].

راجع تفسير الطبري ج 6 ص 288 و 289 وراجع الكشاف للزمخشري ج 1 ص 649 وراجع زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي ج 2 ص 383 وراجع تفسير القرطبي ج 6 ص 219 وراجع التفسير المنير للجادي ج 1 ص 210 ، وراجع فتح البيان في مقاصد القرآن ج 3 ص 51 وراجع أسباب النزول للواحدي ص 148 وراجع معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ج 2 ص 55 وراجع شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 161 ح 216 وما فوق، وراجع مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص 311 ح 354 وما فوق وراجع كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 228 و 250 وراجع ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص 88 وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص 187 وراجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 409 وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 108 و 123 والدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 293 وفتح القدير للشوكاني ج 2 ص 53.

وراجع لباب النقول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص 213 وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص 18 و 208 ونور الأبصار للشبلنجي ص 71 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 115 وتفسير الفخر الرازي ج 12 ص 26 وتفسير ابن كثير ج 2 ص 71 وأحكام القرآن للجصاص ج 4 ص 102 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 13 ص 277 تحقيق محمد أبو الفضل والصواعق المحرقة لابن حجر ص 24 وأنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 150 وتفسير النسفي ج 1 ص 289 والحاوي للفتاوي للسيوطي ج 1 ص 139 وكنز العمال ج 15 ص 146 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 38 وجامع الأصول ج 9 ص 478 والرياض النضرة ج 2 ص 173 وراجع ملحق المراجعات ص 137 - 137 تحقيق حسين راضي.

الفصل الثالث

الولي هو السيد والإمام والقائد

قال النبي (ص) لأصحابه: أوحى الله إلي في علي ثلاثا: " أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين " [1]. وقال لهم مرة: " أوحى الله إلي في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين " [2]. وقال له يوما أمام أصحابه: " مرحبا بسيد المسلمين وإمام المتقين " [3]. وفي جلسة من جلساته مع أصحابه قال لهم: " أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين " فدخل علي فنهض

(1) راجع المعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 88 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 65 ح 93 و ص 104 ح 146 و 147 وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص 235 وراجع درر السمطين للزرندي الحنفي ص 114 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 107 ومجمع الزوائد ج 9 ص 121 وأسد الغابة ج 1 ص 69 و ج 3 ص 116 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 257 وفضائل الخمسة ج 2 ص 100 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 81 وإحقاق الحق ج 4 ص 11 وفرائد السمطين ج 1 ص 143 وملحق المراجعات ص 141 - 142.

(2) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 257 ح 772 والرياض النضرة ج 2 ص 234 وذخائر العقبى ص 70 ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج 5 ص 34.

(3) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 66 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 440 ح 949 وكنز العمال ج 15 ص 157 ح 443 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص 170 تحقيق محمد أبو الفضل ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 115 ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 46 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 181 و 313 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 55 وفرائد السمطين ج 1 ص 141.

النبي وعانقه.... [1].

وبين يوما لأصحابه قائلا: " إن الله عهد إلي في علي عهدا فقلت: يا رب بينه لي، قال: اسمع: إن علياراية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني " [2].

وخاطب النبي الأنصار في يوم من الأيام قائلا:

" يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل " [3].

وفي يوم من الأيام قال النبي لمن حوله: " ادعو لي سيد العرب عليا، فقالت عائشة: ألست سيد العرب ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، فلما جاء علي أرسل إلى الأنصار وقال لهم: يا معشر الأنصار ألا

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص 169 تحقيق أبي الفضل وحلية الأولياء ج 1 ص 63 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 42 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 487 ح 1005 ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 60 والميزان الذهبي ج 1 ص 64 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 212 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 313 وفضائل الخمسة ج 2 ص 253 وفرائد السمطين ج 1 ص 145.

(2) حلية الأولياء ج 1 ص 67 وشوح النهج تحقيق أبي الفضل ج 9 ص 67 والمناقب للخوارزمي ص 215 و 220 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 114 ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 189 ح 672 ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص 46 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 73 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 312 ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 46وإحقاق الحق ج 4 ص 168 وفوائد السمطين ج 1 ص 144 و 151.

(3)راجع شوح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص 170 تحقيق أبي الفضل وحلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 63 ومجمع الزوائد ج 9 ص 132 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 210 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 313 وكنز العمال ج 15 ص 126 والرياض النضوة ج 2 ص 233 وفضائل الخمسة ج 2 ص 98 ومطالب السؤول لابن طلحة ج 1 ص 60، وفوائد السمطين ج 1 ص 197 ح 154.

أدلكم... الحديث السابق [1].

وقال النبي لعلي في جمع من أصحابه: " النظر إلى وجهك يا علي عبادة.

أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة. من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك " [2].

أبرز المؤهلات العلمية للولي من بعد النبي

قال النبي (ص) لأصحابه موضحا علم علي: " أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد العلم فليأت الباب " [3]، وقال لهم مرة: " أنا دار الحكمة وعلي بابها " [4]، وقال لهم ثالثة: " أنا مدينة الحكمة وعلي بابها " [5]، وقال لهم مرة رابعة: " علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به، حبه إيمان

(1) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 2 ص 251.

(2) رواه أحمد في مسنده وكان ابن عباس يفسر هذا الحديث ويقول: إن من ينظر إليه يقول:

سبحان الله ما أعلم هذا الفتى، سبحان الله ما أشجع هذا الفتى، سبحان الله ما أفصح هذا الفتى، ونقله ابن أبي الحديد في شوح النهج ج 3 ص 253.

(3) مصادر هذا النص الشرعي لا تحصى نذكر منها على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 464 ح 984 – 997 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 170 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 43 والاستيعاب بهامش الإصابة ج 3 ص 38 والميزان للذهبي ج 1 ص 415 والفتح الكبير للنبهاني ج 1 ص 176 والجامع الصغير للسيوطي ج 1

ص 93 ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج 5 ص 30 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 7 ص 219 تحقيق أبي الفضل..... الخ.

(4) كذلك فقد ورد هذا النص بعشرات المراجع منها: صحيح الترمذي ج 1 ص 301 ح 3807 وحلية الأولياء ج 1 ص 63 ومناقب علي لابن المغازلي ص 87 ح 129 وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 140 وذخائر العقبى للطبري ص 77 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 120 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 459 وفضائل الخمسة ج 2 ص 248 ومصابيح السنة للبغوي ج 2 ص 275 والجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 93 ومنتخب الكنز ج 5 ص 30..... الخ.

(5) مناقب علي لابن المغازلي ص 86 وفتح الملك لعلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص 26.

وبغضه نفاق "[1].

وقال لعلي أمام أصحابه: " أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي "[2]. وقال لأصحابه يوما عن علي: " علي مني بمنزلتي من ربي "[3].

وكان النبي (ص) يقول: " كفي وكف علي في العدل سواء "[4]. وكان علي يقول: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت. إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا ناطقا "[5]. وكان يقول: " سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، وفي سهل أم جبل "[6]، وقال الإمام أحمد: " ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي "[7]. وقال ابن عباس: " ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي ". وقال مرة أخرى: " نزل في علي 300 آية "، وقال مرة ثالثة: " ما أنزل الله * (يا أيها الذين آمنوا) * إلا وعلي أميرها وشريفها "، " كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة "[8]. وننهي هذا المقطع بقوله (صلى الله عليه وآله): " علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض "[9].

---

(1) فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص 18 والغدير للأميني ج 3 ص 96.

(2) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 488 ح 1008 و 1009 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 86 والمناقب للخوارزمي ص 236 وينابيع المودة للقندوزي ص 182 ومنتخب الكنز ج 5 ص 33 وملحق المراجعات ص 146.

(3) ذخائر العقبى للطبري ص 64 والرياض النضرة ج 2 ص 215 والصواعق المحرقة ص 106 وإحقاق الحق ج 7 ص 217.

(4) راجع الحديث 2539 ص 153 ج 6 من أحاديث الكنز.

(5) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 185.

(6) أخوجه ابن سعدراجع تاريخ الخلفاء ص 185.

(7) أخوجه الحاكم ص 107 من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي.

(8) أخوجه ابن عساكرراجع ص 76 من الصواعق المحرقة لابن حجر وراجع تاريخ الخلفاء وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول.

(9) أخوجه الطواني في الأوسطوالصغيرراجع تاريخ الخلفاء ص 173 للسيوطي.

ولاية علي وخلافته للنبي قضية دينية وإيمانية من كل الوجوه ها هو النبي (ص) يقول لأصحابه: " علي بن أبي طالب باب حطة، من دخل منه كان مؤمنا ومن خوج منه كان كافوا " [1]، وانظروا إلى النص الشوعي القاطع:

" علي مني وأنا من علي،ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " [2]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي أمام الصحابة: " يا علي من فلقني فقد فلق الله، ومن فلقك يا علي فلقني " [3]، وقوله (صلى الله عليه وآله): " أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي " [4] وقول النبي لأصحابه: " أنا وهذا – يعني عليا – حجة على أمتي يوم القيامة " [5]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمدرسول الله علي أخو

(1) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 185 و 247 و 284 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 56 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 30 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 75.

(2)راجع سنن ابن ماجة ج 1 ص 44 ح 119 وصحيح الترمذي ج 5 ص 300 ح 3803 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 20 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 378 ح 875 – 880 والمناقب للخوارزمي الحنفي والصواعق المحرقة لابن حجر ص 120 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 56 ومصابيح السنة للبغوي ج 2 ص 275 والأصول لابن الأثير ج 9 ص 471 والمشكاة للعمري ج 3 ص 243..... الخ.

(3) المستدرك للحاكم ج 3 ص 146 وذخائر العقبى للطبري ص 66 ومجمع الزوائد ج 9 ص 135 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 268 والميزان للذهبي ج 2 ص 18... الخ.

(4) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 417 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 107 ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج 5 ص 34 وتفسير الطبري ج 13 ص 108 وتفسير ابن كثير ج 2 ص 502 وتفسير الشوكاني ج 3 ص 70 وتفسير الفخر الرازي ج 5 ص 271 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 129 – 130 والدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 45 وزاد المسير لابن الجوزي ج 4 ص 307 وروح المعاني للآلوسي ج 13 ص 97 الخ وراجع ص 51 من ملحق المراجعات.

(5) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 273 ح 793 – 795 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 94 ومناقب علي لابن المغازلي والميزان للذهبي ج 4 ص 128.

رسوله " [1] ، وقوله: " مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي " [2]، ثم انظر إلى قوله (صلى الله عليه وآله) وهو يخاطب الأنصار: "... فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل " [3].

ولي الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام

أثناء حروب الكفر مع الإيمان تألق نجم علي وأصبح فارس الإسلام الأوحد، فلا مثيل له بالأولين والآخرين. كلم علي طلحة والزبير قبل وقعة الجمل ليقيم الحجة البالغة عليهما فقال لهما: أستحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها.

هل تعلم من قريش أولى مني برسول الله وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي..... [4].

وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبد المطلب وفي كل معارك الإسلام في زمن النبي كان اللواء إما بيد علي أو بيد حمزة [5] وأول من برز للقتال في معركة بدر هو حمزة وعلي وعبيد الله، وفي كل المعارك كان علي هو الفارس الأول بعد رسول الله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " غدا سأعطي الراية لرجل

---

(1) حلية الأولياء ج 7 ص 256 ومناقب علي لابن المغازلي ص 91 ح 134 والمناقب للخوارزمي ص 88 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 38 وتذكرة الخواص للسبط الجوزي ص 22، وذخائر العقبى للطبري ص 66 والميزان للذهبي ج 2 ص 76 و ج 3 ص 399 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 119 ومنتخب الكنز ج 5 ص 35 من مسند الإمام أحمد الهامش وكنز العمال 15 ص 121..... الخ.

(2) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 353 ومجمع الزوائد ج 9 ص 121 وحلية الأولياء ج 3 ص 36 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 35 الهامش والرياض النضرة للطوي ج 2 ص 227 فوائد السمطين ج 1 ص 236.

(3) حلية الأولياء ج 1 ص 63 وشرح النهج ج 9 ص 170 وكفاية الطالب ص 210 وكنز العمال ج 15 ص 26.... الخ.

(4) الإمامة والسياسة ص 70 – 72 لابن قتيبة.

(5) الطبقات لابن سعد ج 2 ص 8 و 9 و 29 و 31 و 49 و 58 و 59 و 74 و 106 و 15.

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه " فلما أصبح الناس غدوا كلهم على رسول الله، كل يرجو أن يعطاها، فقال الرسول: أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل له: هو يشتكي من عينيه، ودعا له رسول الله فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية وفتح الله على يديه خيبرا " [1].

وتناول علي بابا عند حصن خيبر فترس به عن نفسه، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيبرا ثم ألقاه وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب [2].

وفي غزوة الخندق، من أجاب عمرو بن ود وهو يقول: ولقد بححت من النداء لجمعهم هل من مبارز ؟ لم يجبه غير علي ولم يذقه الردى غير علي [3].

سل بدرا، وأحدا، وخيبرا. وحنينا، سل كل المواقع متى هرب علي أو تقاعس رجل من العترة الطاهرة عن نصرة الإسلام، من يدعي بأنه برز عليا أو ضحى أكثر منه أو قاتل بصورة أفضل من قتاله فهو كاذب.

فبطولاته خلال الإسلام جعلته نجما متألقا وفارس الإسلام الأوحد يشار إليه بالبنان.

من قتل العاص بن سعد بن العاص، وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن هشام بن مغيرة وخال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! من قتلهم غير علي [4] ؟.

من الذي تصدى لعتبة وشيبة والوليد بن عتبه سادات بني أمية وقتلهم، هنالك إجماع على أنهم علي وحمزة وعبيد الله وكلهم من العترة الطاهرة ومقتل هؤلاء الثلاثة أجج نار الحقد والكراهية على علي وأهل البيت.

وكمثال على تقييم الله لعمل هذا الفارس الفريد من نوعه، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(1) رواه مسلم والبخاري والطبراني وأكثر المؤرخين وأصحاب السنن.

(2) رواه مسلم والبخاري، وراجع ص 167 من تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(3) راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 68.

(4) راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 17 – 18.

" لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة " [1].

---

(1) فرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 259 ح 198 وراجع مقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 45 والمناقب للخوارزمي ص 58 وشواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 8 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 27.

الفصل الرابع

تزويج الله لوليه وخليفة نبيه

فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين [1] وأحب عقب النبي إليه، رضاه من رضاها وسخطه من سخطها، كما يجمع على ذلك أهل الملة [2]، يتمناها كل وجيه، جمعت كل ما يحتاجه الرجل من المرأة المثلى. تقدم إليها الخطاب، ورفض النبي تزويجها، خطبها أبو بكر الصديق فرفض النبي تزويجها له وخطبها عمر فرفض النبي تزويجها له [3]، وقال إنه ينتظر أمر ربه.

---

(1) الإستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة ج 4 ص 377 و 284 و 285 والإصابة لابن حجر ج 4 ص 378 فأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج 5 ص 437 وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص 44 وينابيع المودة للقندوزي..... الخ.

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 5 وما فوق نجد محاورتها مع أبي بكر وعمر واستشهادها بذلك.

(3) كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 302 و 304 ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج 9 ص 205 و 206 زي وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 114 والصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص 139 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 148 وذخائر العقبى لمحب الذين الطوي ص 27 ومناقب علي لابن المغازلي ص 346 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 306 وأسد الغابة لابن الأثير ج 1 ص 38 والإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 347 وجامع الأصول لابن الأثير ج 9 ص 474 ، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 3 ص 261 والسيرة النبوية لزين دحلان بهامش السيرة الحلبية ج 2 ص 7 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 1 ص 363 والطبقات لابن سعد ج 2 ص 240... الخ.

البشارة

وفي يوم من الأيام جاءت البشارة وزفها النبي لأصحابه فقال لهم: " بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج عليا من فاطمة.... " [1].

ولطالما ذكر النبي فاطمة بهذه النعمة الإلهية، ولطالما حدث أصحابه بنعمة ربه هذه كقوله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة: " أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك " [2]، وقالت له مرة: يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير ولا مال له. فيجيبها النبي: " يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك " [3].

وعاد النبي (ص) فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها: كيف تجدينك ؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي. فقال لها: أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما [4].

الذرية المباركة

أعلن النبي (ص) للمسلمين: " إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل

(1) المناقب للخوارزمي ص 246 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 60 وينابيع المودة للقندوزي ص 304 وأسد الغابة لابن الأثير ج 1 ص 206 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 171.

(2) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 249 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 308 وكنز العمال ج 15 ص 95 والرياض النضرة للطوي ج 2 ص 240... الخ.

(3) راجع المستدرك للحاكم ج 3 ص 129 وتاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة علي ج 1 ص 249 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 309 وينابيع المودة للقندوزي ص 421 وكفاية الطالب للكنجي ص 297 وكنز العمال ج 6 ص 391

و ج 5 ص 95وإحقاق الحق ج 5 ص 266 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 4 ص 195 و 196.

(4)راجع نظم السمطين ص 188 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 3 ص 261 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 31 والرياض النضرة للطبري ج 2 ص 55.

ذريتي في صلب علي " [1] .وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وآله): " كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم " [2] ،وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وآله) أيضا: "وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي... " [3] وقوله مشيرا لعلي: " هذا أخي وابن أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي.... [4] ،وليس صدفة أن تنحصر ذرية النبي بولد فاطمة، وقد أحيطت الأمة علما بذلك وعلمت علم اليقين أنه ليس للنبي ولد إلا ولد فاطمة، وطالما ردد بنشوة علمة أمام جموع الصحابة: " هذا ابني الحسن، وهذا ابني الحسين، وإن الله سماهما باسميهما فهما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة وريحانتاي من هذه الأمة ".

وبالرغم من المحاولات المستميتة لإبادة نسل النبي (ص) في ما بعد وبالرغم من سم الحسن وقتل الحسين، إلا أنه قد تحدر من هذه السلالة المباركة اثنا عشر إماما وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

سكن النبي وخليفته من بعده

نظمت العناية الإلهية حتى سكن النبي وخليفته من بعده واستقطبت حوله الأسماع والأذهان ليبقى هذا التمييز واضحا.

وقف الرسول خطيبا فقال: " إن رجالا يجدون في أنفسهم شيئا أن أسكنت عليا في المسجد وأخرجتهم، والله ما أخرجتهم وأسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه. إن الله عز وجل قد أوحى إلى موسى أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وإن عليا مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ولا يحل لأحد منكم أن ينكح فيه النساء إلا هو " [5] .

(1) راجع كنز العمال ج 6 ص 152 الحديث 5210.

(2) أخرجه الطبراني وهو الحديث 22 من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في الفصل 2 من الصواعق المحرقة ص 112 وراجع ج 3 ص 164 من المستدرك للحاكم وقال إنه صحيح.

(3)راجع المناقب للخوارزمي ص 27.

(4)راجع الغدير للأميني ج 3 ص 119.

(5)راجع المراجعات ص 161 – 175 وينابيع المودة للقندوزي من كتاب فضائل أهل البيت باب 18

وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس: تخرجنا وتسكن عليا ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): " ما أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه " [1] .

وكان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارعة على المسجد، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم وسلم): سدوا هذه الأبواب إلا باب علي، فتكلم الناس في ذلك، فقام (صلى الله عليه وآله) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي، فقال فيه قائلكم. وإني ما سددت شيئا ولا فتحته ولكن أمرت بشئ فاتبعته " [2]، وقال: " ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت، إن أتبع إلا ما يوحى إلي " [3].

وقال أيضا: " إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنت وهارون وإن الله أوحى إلي أن ابن لي مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنا وأخي علي " [4].

علي وصي النبي

فقد أكد النبي (ص) أن الوصي من بعده هو علي، فقال: " هذا أخي ووصيي وخليفتي " وحديث الدار من أصح الآثار [5].

ولقد كرر النبي (ص) النص بالوصاية

---

(1) أخرجه ابن ماجة ج 1 ص 92 من سننه وأخرجه الترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث 2531 من الكنز ج 6 ص 153 وأخرجه أحمد في مسنده ج 4 ص 164 و ج 1 ص 151.

(2) راجع مسند الإمام أحمد ج 4 ص 369 وأخرجه الضياء المقدسي والطواني وراجع منتخب الكنز ج 5 ص 39 من مسند الإمام أحمد على الهامش.

(3) أخرجه الطواني كما ذكره صاحب منتخب الكنز ج 5 ص 29 من مسند الإمام أحمد.

(4) راجع الصواعق المحرقة ص 106 لابن حجر المقصد الخامس من مقاصد الآية 4.

(5) راجع على سبيل المثال: تاريخ الطوي ج 2 ص 319 - 321 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 62 و 63 والسيرة الحلبية ج 1 ص 311 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 41 و 42 الهامش وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 85.... الخ.

حيث قال: " لكل نبي وصي ووارث وإن عليا وصيي ووارثي " [1] وكقوله (صلى الله عليه وآله): " لكل نبي وصي ووارث وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب " [2] وكقوله (صلى الله عليه وآله): " إن وصيي وموضع سري وخير من أتوك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب " [3]. وكقوله لأنس بن مالك: " يا أنس أول ما يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين فدخل علي.... "راجع تتمة الحديث [4]، وكقوله لفاطمة: " يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل اطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيا ثم اطلع ثانية فاختار بعلك فأوحي إلي فأنكحته واتخذته وصيا " [5]. وبعد وفاة النبي (ص) احتج الحسن بن علي بالوصية، فقال في خطبته: "... أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي " [6]. وقد شاعت الوصية في الأدب شعره ونثره [7]. وانظر إلى قول جابر: " حدثني وصي

---

(1) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 5 ومناقب علي لابن المغازلي ص 200 والمناقب للخوارزمي ص 42 وذخائر العقبى للطبري والميزان للذهبي ج 2 ص 273 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 232 و 248.

(2) تاريخ ابن عساكر ج 3 ص 5 والمناقب للخوارزمي ص 42 والمناقب لابن المغازلي ص 200 والميزان للذهبي ج 2 ص 273..... الخ.

(3) مجمع الزوائد ج 9 ص 113 وكنز العمال ج 6 ص 154 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 32 الهامش.

(4)راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 63 وشرح النهج ج 9 ص 169 تحقيق أبي الفضل،والمناقب للخوارزمي ص 42 وكفاية الطالب للكنجي ص 212 وميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 64 وفضائل الخمسة ج 2 ص 254 ومطالب السؤول لابن طلحة ص 21.

(5) كفاية الطالب ص 296 ومجمع الزوائد ج 8 ص 253 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 281 ومناقب علي لابن المغازلي ص 101 وينابيع المودة ص 92 والغدير ج 3 ص 23 وملحق المراجعات ص 244.

(6) ذخائر العقبى ص 138.

(7)راجع وقعة صفين نصر بن مزاحم ص 227 و 382 و 436 والمناقب للخوارزمي ص 38 و 65 و 134 و 288 ومروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 238 والعقد الفريد لابن عبدربه ج 4 ص 411 والفصول لابن الصباغ المالكي ص 8. وملحق المراجعات يوضح ذلك.

الأوصياء يعني عليا " [1].

إنكار الوصية

وقد أنكر بخاري ومسلم أن الرسول (ص) قد أوصى، وقد استندا إلى الحديث المنسوب لأم المؤمنين عائشة ومفاده أن النبي مات بين سحوها ونحوها وعلى فخذها ولم يوص لأن الثابت أن حادثة موت النبي لم تتم بهذه الصورةولا ينبغي أن تتم عقلا بها، بل الثابت أن النبي مات على صدر علي وأن جهودا جبارة بذلت حتى لا يلخص النبي الموقف لأصحابه، وأسفرت هذه الجهود عن الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد. والبخاري نفسه روى عن ابن عباس أن الرسول قد أوصاهم حيث قال:

" أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها " [2].

ومن جهة ثانية فإن الرسول لم يمت على الصورة التي نسبت لأم المؤمنين إنما مات على صدر علي، وتلك حقيقة أقرها الخليفة عمر بن الخطاب. ففي زمان عمر كان الصحابة يجلسون، فسأل كعب: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ؟ فقال عمر: سل عليا، فروى علي كيف مات رسول الله وماذا قال... " ولما حضرته الوفاة قال: ادعو لي أخي فدعوا عليا، فقال ادن مني فدنا منه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية فأصابه بعض ريقه " [3]. والخلاصة أن النبي لم يمت

(1) ميزان الاعتدال ج 1 ص 83، والملحق 284.

(2) راجع صحيح بخاري كتاب النبي إلى كسرى وقيصر باب مرض النبي ووفاته ج 5 ص 137 دار الفكر.

(3) راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 262 – 264 وراجع الحديث 1107 ص 155 ج 4 من كنز العمال والحديث 1009 ص 392 ج 6 والحديث 1106 ص 55 ج 4 والحديث 1108 ج 4 ص 55 من الكنز وراجع 2 ص 51 من الطبقات لابن سعد و ص 196 ج 2 من شرح النهج و ص 561 مجلد 2 و ص 207 و 509 ومجلد 2 من شرح النهج وقد روى هذا الحديث علي، وابن عباس وأم سلمة و عبد الله بن عمر وعلي بن الحسين وسائر أئمة أهل البيت الكرام.

بالصورة التي نسبوها لأم المؤمنين واستندوا عليها لإنكار الوصية.

اختصاص الولي وخليفة النبي بمزايا خاصة

قال النبي (ص) لعلي في محضر من أصحابه: " يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش:

أنت أولهم إيمانا بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية " [1].

(2)

وقال النبي (ص) لأصحابه يوما: " علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " وقال (صلى الله عليه وآله) يوما لأصحابه:

" علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة " [3].

---

(1) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 65 - 66 وراجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 117 ح 160، وراجع الرياض النضرة للطبري ج 2 ص 262 وراجع مطالب السؤول ج 1 ص 95 وراجع شرح النهج ج 9 ص 173 تحقيق أبي الفضل وراجع المناقب للخوارزمي ص 71 وراجع الميزان للذهبي ج 1 ص 313 ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 270 والغدير للأميني ج 3 ص 96 وينابيع المودة للقندوزي ص 315 ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 34 وفرائد السمطين ج 1 ص 223 ح 174.

(2)راجع المناقب للخوارزمي ص 110 والمعجم الصغير للطواني ج 1 ص 55 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 399 والمعجم الصغير للطواني ج 1 ص 55 وكفاية ابن حجر ص 122 و 124 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 173وإسعاف الراغبين المطوع بهامش نور الأبصار ص 157 ونور الأبصار ص 73 والغدير للأميني ج 3 ص 180 وينابيع المودة للقندوزي ص 40 و 90 و 185 .... الخ.وغاية المرام ص 540 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 56.... الخ (3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 14 ص 321 وترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 119 ح 1162 وغاية المرام ص 539 والإمامة والسياسة ج 1 ص 73 ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج 5 ص 30

تحصين الولي والخليفة من بعد النبي (ص)

قال النبي (ص) لعلي في محضر من صحابته: " يا علي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فارقني " [1].

وقال (صلى الله عليه وآله): " من سب عليا فقد سبني " [2]، وقال لأصحابه: " من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار " [3]. وقال (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: " من آذى عليا فقد آذاني " [4]، وقال لهم أيضا: " من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني " [5].

---

(1) راجع المستدرك للحاكم ج 3 ص 146 وذخائر العقبى للطبري ص 66 ومجمع الزوائد ج 9 ص 135 ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 268 ح 789 ومناقب علي لابن المغازلي ص 241 والرياض النضرة للطبري ج 2 ص 220 وينابيع المودة للقندوزي ص 91 والميزان للذهبي ج 2 ص 18... الخ.

(2) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 24 والمناقب للخوارزمي ص 82 ومجمع الزوائد العقبى للطوي ص 66 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 184 ومجمع الزوائد ج 9 ص 130 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 73 ومشكاة المصابيح ج 3 ص 245 والفتح الكبير للنبهاني ج 3 ص 196 ومنتخب الكبير بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 30.

(3)راجع ذخائر العقبى للطوي ص 66 والمناقب للخوارزمي ص 81 و 82 ومناقب علي لابن المغازلي ص 83 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 111 والرياض النضرة للطوي ج 2 ص 219.... الخ.

(4) المستدرك للحاكم ج 3 ص 122 وتلخيص المستدرك للذهبي مطوع بذيل المستدرك ج 3 ص 483 من مسند أحمد وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 389 ترجمة علي وشواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 98 ومناقب علي لابن المغازلي

ص 52 والاستيعاب بهامش الإصابة ج 3 ص 37 وذخائر العقبى للطوي ص 65 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 73 و 74 وأنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 146 وتاريخ الخلفاء للسيوطي.... وراجع ص 151 - 152 من ملحق المراجعات.... الخ.

(5) راجع الاستيعاب بهامش ج 3 ص 37 والميزان للذهبي ج 2 ص 128 ومناقب علي لابن المغازلي ص 109 والرياض النضرة للطوي ج 2 ص 165، ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 30

الفصل الخامس

تتويج الولي خليفة للنبي

1 - المناسبة حجة الوداع

لمح النبي لأصحابه وللوفود التي تقاطرت عليه أن حجته ذلك العام ستكون آخر حجة فتأهب المسلمون من كل حدب وصوب لينالوا ثواب الحجة وشرف الصحبة والوداع، فتجمع 000، 90 ألف وقيل 000، 114 وقيل 000، 120 مسلم وقيل أكثر. ومن المؤكد أن هذا العدد كان مع النبي في غدير خم [1].

2 - مكان التتويج

قال حذيفة بن أسيد الغفاري: لما صدر رسول الله (ص) من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا، ثم بعث إليهن فقم ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى ثم قام خطيبا.... [2] وبرواية زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم.... وبرواية البراء بن عازب: كنا مع رسول الله فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جماعة، وكسح رسول الله تحت شجرتين.... وبرواية سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله يوم الجمعة فأخذ بيد علي وخطب فحمد الله.... وبرواية سعد أيضا كنا مع رسول الله ولما بلغ غدير

الهامش... الخ، وراجع ملحق المراجعات ص 153.

(1) راجع تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص 30 وراجع السيرة الحلبية ج 3 ص 257. والسيرة النبوية لزين دحلان بهامش الحلبية ج 3 ص 3 والغدير للأميني ج 1 ص 9.

(2) برواية الطبراني في المعجم الكبير.

خم، وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف، فلما اجتمع الناس إليه قال النبي (ص).... فمن المؤكد أن مكان التتويج

أمام الجميع غدير خم.

الأمر الإلهي بتنصيب الولي والخليفة من بعد النبي

أهل المدينة ومن حولها على علم بأن الولي والخليفة من بعد النبي هو علي، ولقد حصلوا هذا العلم من خلال التصويحات المتلاحقة التي صدرت أمامهم من النبي (ص)، وقد تمت بمحضرهم أفرادا وجماعات، جماعات.

والمدينة هي عاصمة دولة الإسلام، وأهل المدينة ومن حولها هم أصحاب الشأن شرعيا وواقعيا بتنصيب الولي والخليفة من بعد النبي.

فأراد ربك أن يعلموا مجتمعين أن الولي والخليفة من بعد النبي هو علي، فأمر الله نبيه أن يعلمهم بذلك في حجة الوداع فلا حجة بعدها حتى لا تنسى، وقرب غدير ماء والماء عصب الحياة وسرها في الجزيرة، وفي مكان يقال له خم، فلا يوجد في الجزيرة مكان متميز مثله، ولا يوجد مكان اسمه خم غيره. ولكن إعلان هذا الحدث الكبير أمام هذا العدد الهائل بالنسبة لسكان العالم آنذاك يثير آلاف التساؤلات والاحتمالات والتعديلات، لأن الذين تكون منهم هذا العدد تفاوتوا بإيمانهم وعلمهم وتقديرهم للأمور، هذه أمور كانت بذهن النبي (ص) وهو يتأهب ويعد لإبلاغ من معه بالأمر الإلهي فأراد ربك أن يثبت فؤاد نبيه وأن يجعل له مبررا وسلطانا لتبليغ الأمر الإلهي، القاضي بتنصيب الولي والخليفة من بعد النبي فأنزل آية التبليغ.

آية التبليغ

فنزل جبريل سريعا ومعه آية التبليغ * (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس والله لا يهدي القوم الكافرين) * [1].

فكان مستقبل الرسالة الإسلامية يتوقف على هذا التبليغ. وقد نزلت هذه الآية

---

(1) سورة المائدة آية 67.

يوم 18 من ذي الحجة في غدير خم، وهو اليوم الذي نصب فيه الرسول (ص) عليا علما للناس، ووليا وخليفة من بعده، وصادف يوم خميس [1].

نص قرار تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي

1 – النص برواية حذيفة بن أسيد الغفاري وكما أخرجها الطبراني في الكبير

يقول حذيفة: ثم قال النبي: " يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لا أظن أني يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون ؟ "، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت

ونصحت فجزاك الله خيرا.

(1) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 86 وفتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة السيد صديق حسن خان ج 3 ص 63 وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكاني ج 1 ص 187 الأحاديث 243 - 250 وراجع أسباب النزول للواحدي ص 115 وراجع الدر المنثور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي الشافعي ج 2 ص 298، وراجع فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 60 وراجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 44 وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 25 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 120 و 249 وراجع الملل والنحل للشهرستاني الشافعي ج 1 ص 163 وبهامش الفصل لابن حزم ج 1 ص 220 وراجع فرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 158 وراجع الغدير للعلامة الأميني ج 1 ص 214 عن كتاب الولاية في طريق حديث الغدير لابن جرير الطبري صاحب التاريخ المشهور، وراجع الإمام للمحاملي ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين لأبي بكر الشيرازي وراجع الكشف والبيان للثعالبي مخطوط.

وراجع تفسير النيسابوري ج 6 ص 160 وراجع تفسير القرآن لعبد الوهاب البخاري عند تفسير قوله تعالى * (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) * وراجع الأربعين لجمال الدين الشيرازي، وراجع مفتاح النجا للبدخشي ص 41 وروح المعاني للآلوسي ج 2 ص 248 وراجع تفسير المنار لمحمد عبده ج 6 ص 463 ، وراجع أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي ص 66 و 67 و 68 و 566 و 567 و 570 وأما الشيعة فإنها مجمعة على أن هذه الآية نزلت يوم 18 ذي الحجة في غدير خم وفيها أمر الله نبيه أن يجعل عليا خليفة من بعده وإماما راجع ملحق المراجعات ص 717.

فقال: " أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق ونارة حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا: بلى نشهد بذلك ". قال النبي: " اللهم اشهد ".

ثم قال: " يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا – يعني عليا – مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ".

ثم قال: " يا أيها الناس إني فرطكم، وإنكم واردون علي الحوض حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا – لن يفترقا – حتى يردا علي الحوض " انتهى النص (1).

2 – نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم

قال زيد: لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال (صلى الله عليه وآله): " كأني دعيت فأجبت، وإني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي

(1) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي، ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج 9 ص 164 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 45 ح 545 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 1 ص 168 ح 959 والغدير للأميني ج 1 ص 26 - 27 وعبقات الأنوار مجلد حديث الثقلين ج 1 مجلد 12 ص 312 و ج 1 ص 156 وراجع نوادر الأصول للحكيم الترفدي ص 289 وقد حذفت يد الطبع الأئمة هذا الحديث ولم تبق إلا الإشارة إليه وقد نقل عنه هذا الحديث تاما الرخشي في كتابه نزول أبرار ص 18 وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 37 ويوجد بلفظ آخر في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 29 ومناقب علي لابن المغازلي ص 16 ح 23 وكنز العمال ج 1 ص 168 ح 958 برواية زيد.

أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " [1]. انتهى النص.

3 – نص قوار التنصيب برواية البراء بن عازب

قال البراء: كنا مع رسول الله فقلنا بغدير خم فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال: " ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى. قال: وأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ". قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. انتهى النص [2].

4 – نص قوار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الجمعة، فأخذ بيد علي وخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أيها الناس إني وليكم. قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم رفع يد علي فقال: هذا وليي ويؤدي عني ديني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه " [3].

---

(1) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 93 و ص 21 والمناقب للخوارزمي ص 93 وينابيع المودة للقندوزي ص 32 والغدير للأميني ج 1 ص 30 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 15 ص 91 ح 255 وعبقات الأنوار حديث الثقلين ج 1 ص 117 و 121 و 144 و 152 و 161.

(2)راجع ذخائر العقبى للطوي الشافعي ص 67 وفضائل الخمسة ج 1 ص 350 والرياض النضرة للطوي الشافعي ج 2 ص 23 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 24 وراجع الحلوي للفتلوي لجلال الدين السيوطي ج 1 ص 122 وكنز العمال ج 15 ص 117 وملحق المراجعات 176 وقريب منه ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 47 ح 546 – 549 و 550 وأنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 215 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 والغدير للأميني ج 1 ص 18 – 20 وفرائد السمطين ج 1 ص 64 و 65 و 71 وملحق المراجعات 176.

(3) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 101 وفضائل الخمسة ج 1 ص 365 والبداية والنهاية ج 5

5 – نص قوار التنصيب برواية ثانية لسعد

كنا مع رسول الله فلما بلغ غدير خم وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف، فلما اجتمع الناس إليه قال: " أيها الناس من وليكم ؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثا، ثم أخذ بيد علي فأقامه، ثم قال: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " [1] انتهى النص.

فهم مضمون القوار وتقبل التهاني

فهم الحاضرون في غدير خم مضمون القوار وأقبلوا على الولي وخليفة النبي يقدمون له التهاني بتلك النعمة الإلهية، وكان

من أبرز المهنئين عمر بن الخطاب حيث قال لعلي بالحرف: " بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم " [2] ، وقال ثانية وبالحرف: " هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة " [3] .

ص 212 والغدير ج 1 ص 38 و 41 وملحق المراجعات ص 176.

(1) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 101 وفضائل الخمسة ج 1 ص 365 وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 149 والرياض النضرة للطوي الشافعي ج 2 ص 282 وملحق المراجعات.

(2)راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 75 ح 575 و 577 و 578 ومناقب علي لابن المغازلي ص 18 ص 24 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 290 وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 158 ح 213 سر العالمين لأبي حامد الغزالي ص 21 وإحقاق الحق ج 6 ص 256 والغدير للأميني ج 1 ص 132 وفوائد السمطين ج 1 ص 77.

(3) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 50 ح 548 و 549 و 550 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 281 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 24 والحلي للفتلي للسيوطي ج 1 ص 122 وذخائر العقبى ص 67 وفضائل الخمسة ج 1 ص 350 وفضائل الصحابة للسمعاني، وتاريخ الإسلام للذهني ج 2 ص 197 وعلم الكتاب لخواجه الحنفي ص 161 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 109 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 و 31 و 249 وتفسير الفخر الرازي ج 3

وطوال حياة عمر لم ينسى هذا اليوم: قيل له وهو خليفة: إنك تصنع لعلي شيئا لا تصنعه ب أحد من أصحاب النبي. فقال عمر: " إنه مولاي " [1] .واختصم أعرابيان إلى عمر، فالتمس من علي القضاء بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا ؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ما تدري من هذا ؟ هذا مولاك ومولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن [2]

نصوص مبتسرة لقوار التنصيب الخالد

يجمع أهل السنة على أن الرسول (ص) قد قال لعلي يوم غدير خم:

النص الأول

" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من

ص 63 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 29 وراجع مشكاة المصابيح ج 3 ص 246 وعقبات الأنوار قسم حديث الثقلين ج 1 ص 285 وفرائد السمطين للحموييني والغدير ج 1 ص 272 عن المصنف لابن أبي شيبة والمسند الكبير لابن العباس الشيباني والمسند لأبي يعلى الموصلي وتفسير ابن مردويه والكشف والبيان للثعلبي، وراجع الرياض النضرة للطبري ج 2 ص 169 وكفاية الطالب في حياة علي بن أبي طالب للشنقيطي ص 28 والمناقب لابن الجوزي الحنبلي والخصائص العلوية للنطنزي ووسيلة المتعبدين لعمر بن الملا والبداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 212 والخطط للمقريزي ص 223 وبديع المعاني للأذرعي الشافعي ص 75 وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي ص 406 وكنز

العمال ج 6 ص 397 ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهوري الشافعي ج 2 ص 173 والصراط السوي في مناقب آل النبي لمحمود الشيخاني المدني.... الخ.

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص 26 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 82 ح 581 والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج 2 ص 224 والملحق ص 212.

(2) الصواعق المحرقة ص 107 وذخائر العقبى للطبري ص 68 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 98 والرياض النضرة للطبري ج 2 ص 224 والغدير ج 1 ص 382 والملحق للمراجعات ص 212

نصره واخذل من خذله " [1] .

النص الثاني

" من كنت مولاه فهذا علي مولاه. "

النص الثالث

" من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " [2] .

وأنت تلاحظ أن هذه النصوص فككت قوار التنصيب فاعترفت بمكان وقوعه غدير خم وتناسب حجم الجمع الذي سمع القوار وأنه بآخر حجة للنبي، وكان قوار التنصيب من القوة بحيث أنه فرض خلافته فرضا، فبالرغم من أن مسبة علي كانت واجبا رسميا على رعايا الدولة الأموية، وبالرغم من أن هذه الدولة كانت تملك سيطرة فعلية على موارد الدولة وإمكانياتها ووسائل إعلامها إلا أنها عجزت تماما عن طمس هذا القوار بل بقيت خلافته خالدة مع الأيام وشاهدة على غدر الأمة بولي عهد النبي وخليفته من بعده. ولله عاقبة الأمور.

(1) على سبيل المثال:

تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 13 ح 508 و 513 - 515 .... وكنز العمال ج 6 ص 403 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 96 والفصل في الملل والنحل لابن حزم ج 1 ص 260 ، والهامش ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 32 الهامش وأنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 112 والمناقب للخوارزمي ص 249 والملحق ص 183.... الخ.

(2) صحيح الترمذي ج 5 ص 297 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 213 ومجمع الزوائد ج 9 ص 103 والخصائص للنسائي ص 94 والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج 3 ص 110 وصححه وجامع الأصول لابن الأثير ج 9 ص 468 والمناقب للخوارزمي ص 79 وتلخيص المستدرك للذهبي ج 3 ص 110 الهامش وحلية الأولياء ج 5 ص 26 والدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 182 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 196 وتاريخ بغداد للبغدادي ج 8 ص 290..... الخ.

حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين

فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل من 40 طريقا ورواه ابن جرير من 72 طريقا والجزري المقري من 80 طريقا وابن عقده من 105 طرق وأبو سعيد، السجستاني من 120 طريقا وأبو بكر الحصابي من 125 طريقا ومحمد اليمني قال إن له 150 طريقا ورواه أبو العلاء العطار الهمداني من 250 طريقا [1].

وأهل الشيعة قاطبة يؤمنون أن حديث الغدير يقين لاريب فيه، وأن عملية تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي في غدير خم لاريب فيها.

وأهل السنة قاطبة يعترفون بحديث الغدير ويفسرونه يقينا بصدوره عن النبي، ولكنهم تبنوا تأويل الحكام للحديث وواقعة التنصيب إذ اعتبر الحكام أن الحديث إن صح مجرد فضيلة من فضائل علي لا تقدم ولا تؤخر وورثوا هذه المقولة وهذا التأويل كما يورث المتاع واعتبروا هذا الرأي تقليدا سنه السلف ولا يجوز الخروج عليه لأنهم لو قالوا غير ذلك لسحبوا بساط الشرعية من تحت أقدام بني أمية وبني العباس وبني عثمان وقد تمتد عملية سحب بساط الشرعية إلى غير هؤلاء ولكان في ذلك إثبات بأن الشيعة على حق وكيف تكون الشيعة على حق وقد ورثوا من الحكام أن الشيعة أعداء الدين.

عيد يوم الغدير

لقد اتخذ المسلمون يوم الغدير عيدا في الأزمنة المتقدمة، وكانوا يحتفلون به في كل عام، ولما آلت الأمور لأعداء أهل البيت أحجم المسلمون عن الاحتفال بهذا اليوم وتناسته الأجيال اللاحقة تحت ضغط الحكام رغبة أو رهبة، ومازال هذا اليوم عيدا من أعظم أعياد شيعة علي وللآن [2].

---

(1) راجع الغدير للأميني ج 1 ص 14 - 213 وعبقات الأنوار في حديث الغدير وغاية المرام وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 5 - 90 وملحق المراجعات ص 182.

(2) راجع الغدير للعلامة الأميني ج 1 ص 267 نقله عن الآثار الباقية في القرون الخالية للبيروني ص 334 وراجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 44، ووفيات الأعيان لابن

صوم يوم الغدير

أبو هريرة قال: " من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (ص) بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم " [1].

خلكان ج 1 ص 90 ترجمة المستعلى بن المنتصر ج 1 ص 223 في ترجمة المنتصر بالله العبيدي وراجع ملحق المراجعات ص 92.

(1)راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 75 ح 575 – 577 وشواهد التنزيل للحسكاني ج 1 ص 157 ح 210 و 213 والغدير للأميني ج 1 ص 402 وتاريخ بغداد ج 8 ص 290 وفرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 77 ب 13 وملحق المراجعات ص 192 – 193.

الفصل السادس

بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة

بعد أن نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا بن أبي طالب أمام هذا الجمع الحاشد إماما وخليفة على أمته كمل الدين وتمت النعمة الإلهية، فالمنظومة الحقوقية الإلهية مكتملة، والولي من بعد النبي (ص) قد نصب، فيمكن للنبي أن يترك الدنيا وهو مطمئن على دينه وعلى أمته، فما على الولي المنصب علي إلا أن يتابع المشوار وفق المنهج الذي علمه النبي إياه طوال ثلاث وعشرين عاما.

وبعد أن نصب النبي خليفة من بعده نزلت آية الاكمال [1]:

(1) ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 75 ح 575 - 578 و 585 وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 157 ح 211 - 215 ومناقب علي لابن المغازلي ص 19 ح 24 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 290 والدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 259 والإتقان للسيوطي ج 1 ص 21 والمناقب للخوارزمي ص 80 وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 30 وتفسير ابن كثير ج 2 ص 14 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 115 وفرائد السمطين للحموييني ج 1 ص 72 و 74 و 315، وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 35 والغدير للأميني ج 1 ص 230 وكتاب الولاية لابن جرير الطبري وصاحب التاريخ، ومفتاح النجا للبرخشي، وما نزل من القرآن في علي لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب الولاية لأبي سعيد السجستاني والخصائص العلوية لأبي الفتح النطنزي وتوضيح الدلائل على ترجيح الفضائل لشهاب الدين أحمد وتاريخ بن كثير الدمشقي ج 5 ص 210 والمناقب لعبيد الله الشافعي ص 106 مخطوط والكشف والبيان للثعلبي مخطوط وروح المعاني للآلوسي ج 6 ص 55 والبداية والنهاية لابن الأثير ج 5 ص 213 و ج 7 ص 349 وأما الشيعة فهم مجمعون على ذلك راجع ملحق المراجعات ص 188 - 189.

* (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) * [1].

فلو أن النبي فارق الدنيا ولم ينصب الإمام والخليفة من بعده ولم يبين كيفية انتقال منصب الإمام لنا في ذلك كمال الدين وتمام النعمة، لأن الإمام هو القائم مقام النبي، والنبي هو أساس نظام الدين ونظام الدنيا وهو محور كل تحرك.

وقد اكتشف الحكام ذلك، فلم يصدف على الاطلاق أن مات حاكم دون أن يعين عمليا الحاكم " الخليفة الذي يليه "، وقالوا: إن هذا حق مطلق لهم، أنظر إلى قول ابن خلدون عن الخليفة:

" فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم، ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك، كما وثقوا به في ما قبل... " [2].

فإذا لم يعين الخليفة القائم من يخلفه من بعده لكان موضع لوم، أنظر معي إلى قول عبد الله بن عمر لأبيه: " يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له: كيف

تركت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد " .

ثم انظر قول عائشة أم المؤمنين لعبد الله بن عمر: " يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلاراع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الغشة. فأتى عبد الله فأعلمه فقال: ومن تأمرني أن أستخلف ؟.. الخ " [4] .

كل الخلفاء طوال التاريخ أتركوا بأن تترك الخليفة القائم للأمة دون أن يعين من يخلفه عمل ينافي الحكمة ويفتح باب الفتنة ويعوض من يفعل ذلك اللوم، كما

---

(1) سورة المائدة آية 3.

(2)راجع مقدمة ابن خلدون فصل 30 ص 120.

(3)راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353.

(4)راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 23.

يتعوض الراعي عندما يترك غنمه أو إبله. وعائشة أم المؤمنين امرأة أتركت ذلك وقد بينت ذلك في باب المرجعية ووثقته.

لهف نفسي على الإسلام فكيف يترك كل هؤلاء الناس هذه الناحية ولا يتركها رسول الله ؟!

كيف يؤتمن كل حاكم على تعيين من يليه ولا يؤتمن رسول الله ؟!

كان أمام الذين أعماهم التقليد واحد من طريقين: إما دين محمد كما بينه للناس، وإما الدين كما فهمه الحكام، فاختاروا دين الحكام لأنهم مع من غلب:

" نحن مع من غلب ". تلك مقولة عبد الله بن عمر التي تحولت إلى نص شرعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فمن يعينه الحاكم من بعده سيحكم ومن يغلب كائنا من كان يحكم أمة محمد!! ولله عاقبة الأمور.

الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي

الله أنزل القرآن كرسالة وعقيدة إلهية إلى بني البشر، وكضرورة من ضرورات بيان وتوضيح هذه العقيدة أنزل هذا القرآن على محمد (ص) بالذات لأنه المعد من قبل الله ليكون الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها، تلك العقيدة التي هي بمثابة المجموعة القانونية النافذة. ولأنه هو الأفضل من بين أتباع هذه العقيدة ولأنه من جهة ثالثة هو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع في الحال والمال. ومن هنا فقد كان النبي هو مرشد الدعوة وعندما تمخضت الدعوة عن دولة ترأس محمد الدعوة بنفسه. وسنة محمد جزء من العقيدة سواء قوله أو فعله أو تقريره ولا أحد في الدنيا كلها ينوب عن محمد بهذه المهمة ولا أحد يغني عنه أو يسد مسده أثناء حياته المباركة. محمد كمرشد للدعوة، وكقائد للدولة هو مركز الدائرة وقائد الأمة ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدنيوية.

من هو صاحب الإختصاص بتعيين النبي الإمام ؟

إن صاحب الإختصاص بتعيين الإمام هو الله سبحانه وتعالى لأن أول ولي وإمام ورئيس للدولة الإسلامية هو محمد (صلى الله عليه وآله) وقد عينه الله في هذا المنصب، لأنه هو الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها، والأفضل بين أتباعها،

والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم، ولأنه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين المتصف بهذه الصفات إلا الله لذلك حصر بنفسه حق اختيار هذا الإمام أو المرجع أو الولي وتقديمه للناس، وخول هذا الإمام صلاحية بيان العقيدة في كل زمان وصلاحية المرجعية وصلاحية الجمع بين الولاية على الأتباع والمرجعية في الدين والدنيا والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين عليه.

من هو هذا الإمام ؟

إمام الأمة في كل زمان هو عميد أهل بيت النبوة، لماذا عمادة أهل البيت بالذات ؟ لأن القرآن ثقل وأهل البيت ثقل آخر، وإن الهداية لا تترك إلا بالتمسك بالثقلين، والضلالة على المدى البعيد وبالنتيجة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين وهذا ليس اجتهادا إنما هو نص شرعي ثابت في القرآن والسنة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير [1]، ولأن الله يبين لنا أنهم للمسلمين بمثابة سفينة نوح من ركبها في كل زمان نجا ومن تخلف عنها غرق [2]، ولأنهم من جهة ثالثة الأمان من الاختلاف وقد أعدهم الله لذلك [3]، ولأنهم ذرية محمد فكل نبي من الأنبياء جعل الله ذريته في

---

(1) راجع على سبيل المثال:

راجع صحيح الترمذي ج 5 ص 328 ، وصحيح مسلم باب فضائل علي ج 2 ص 362 و 15 ص 181 بشرح النووي وتفسير ابن كثير ج 4 ص 113 ومصابيح السنة للبغوي ص 206 وجامع الأصول لابن الأثير ج 1 ص 187وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص 114 والفتح الكبير للنبهاني ج 1 ص 503 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 147 و 226 والدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 6 و 306 وذخائر العقبى للطبري ص 16 والمعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 135 وكنز العمال ج 1 ص 154 والطبقات لابن سعد ج 2 ص 194 والسيرة الحلبية ج 3 ص 321 الهامش لزين وحلاق وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 21..... الخ.

(2) رجع على سبيل المثال: تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك والصواعق المحرقة لابن حجر ص 184 و 234 وتاريخ الخلفاء للسيوطي وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص 109 ومجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 168 والمعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 22 وحلية الأولياء لأبي نعيم ج 4 ص 306 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 132 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 92 الهامش.

(3) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص 140وإحياء الميت للسيوطي بهامش وذخائر العقبى

صلبه وجعل ذرية محمد في صلب علي ومن بطن فاطمة [1].

من هو صاحب الإختصاص بتعيين الخليفة من بعد النبي الإمام ؟

الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة لا أحد يعرفه على وجه الجزم واليقين إلا الله سبحانه وتعالى، لذلك فهو المختص بتعيين الخليفة من بعد النبي ومن هنا فإن الله قد اختار عليا بن أبي طالب خليفة وإماما ومرجعا للأمة بعد نبيها وأمر الله رسوله أن يعد خليفته وأن يوطد له، حتى أصبح الأعلم بعد النبي، والأفهم بعد النبي والأفضل بعد النبي والأنسب بعد النبي، وهو المؤهل والمخول بممارسة كافة الوظائف الدينية والدنيوية التي كان يمارسها رسول باستثناء النبوة فلا نبي بعده، وقد بين الله لنا من خلال رسوله أن عليا مع الحق والحق مع علي يدور حيث دار لذلك هو موضع ثقة على حد تفسير ابن خلدون في الفصل 30 من مقدمته.

من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي

طالما أن الخليفة بعد النبي مباشرة " علي بن أبي طالب " على الحق ومع الحق، وأن الحق معه يدور حيث دار، وطالما أنه مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا الحوض على النبي (ص)، وطالما أنه الأفضل والأنسب بين الأتباع والأعلم والأفهم بشهادة الله ورسوله فهو المخول بتعيين الخليفة الذي يليه، وكل إمام يعين بنص من سبقه فهم أبناء النبي بنص القرآن الكريم وآية المباهلة تصفع كل مكابر على وجهه وتلوي أنفه، فعندما نزل قوله تعالى: * (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) * [2]، وقد

للطبري ص 17 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 161 والفتح الكبير للنبهاني ج 3 ص 367 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 92 وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار ص 128..... الخ.

(1) راجع الصواعق المحرقة ص 112 و ج 3 ص 164 من الحاكم وقال إنه جمع وراجع كنز العمال ج 6 ص 152 والمناقب للخوارزمي ص 27.

(2) آية 61 من سورة آل عمران.

أجمعت الأمة على أن هذه الآية نزلت على النبي (ص) في فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) [1]، فالحسن والحسين بحكم هذه الآية وحدهما أولاده فبأي حديث بعده تؤمنون ؟! وأي لغة يمكن أن تحملنا على ترك التقليد واتباع الحق وإعمال العقل!!.

ولأنهم على الأقل من قريش، وقريش عشيرة النبي (ص) والخلافة في قريش [2]، وناصية قريش بالنص الشرعي هم بنو هاشم، وناصية هاشم هم بنو عبد المطلب، وناصية عبد المطلب هم محمد وأهل بيته [3]، لأن الله قد طهرهم، وآية التطهير لا تخفى على أحد، فإن قالوا إنها في النساء فكيف تكون أزواج الرجل طاهرات وأولاده غير ذلك!! أو على الأقل من باب رد

الاحسان لأنهم حوصروا ثلاث سنين في شعاب أبي طالب.

(1) راجع صحيح مسلم ب فضائل علي ج 2 ص 360 و ج 15 ص 176 بشرح النووي وصحيح الترمذي ج 4 ص 293 والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج 3 ص 150 وصححه ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 185 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 21 وتفسير الطبري ج 3 ص 299 و 300 والكشاف للزمخشري ج 1 ص 368 - 370 وتفسير ابن كثير ج 1 ص 370 - - 371 وتفسير القرطبي ج 4 ص 104 وأحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 295 - 296 وأسباب النزول للواحدي ص 59 وأحكام القرآن لابن عربي ج 1 ص 275 والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج 1 ص 109 وزاد المسير لابن الجوزي ج 1 ص 399 وفتح القدير للشوكاني ج 1 ص 347 وتفسير الفخر الرازي ج 2 ص 699 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 196 والدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 38 - 39 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 72 والمناقب للخوارزمي ص 60 و 96 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 110 وأسد الغابة لابن الأثير ج 4 ص 26 والإصابة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 509 ومشكاة المصابيح للعمري.... الخ.

(2)راجع كنز العمال ج 12 ص 25 نقله عن أحمد في مسنده وعن الطواني في الكبير والبيهقي في السنن وعن الحاكم في المستدرك وقد روى قرابة مائة حديث تفيد أن الأمر في قريش وقد روى هذه الأحاديث كل أصحاب السنن راجع الأحاديث 33789 – 33890 ج 12 من الكنز.

(3) كنز العمال ج 2 ص 43 نقله عن الحاكم في مستدركه وعن البيهقي في سننه وعن الطواني في الكبير وعن ابن عساكر فراجع ج 12 ص 43 و 58 من الكنز للمتقي الهندي.

وهؤلاء الأئمة اثنا عشر [1] وهؤلاء هم الأئمة الأطهار وليسوا الحكام، لأن الحكام من قريش بالمئات وليسوا اثني عشر فقط [2].

الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد

لأن الله طهرهم وأعدهم لذلك فلا خطر على الأمة منهم، ولقطع دابر التنافس والخلاف على منصب الإمامة إذ بغيرهم يتحول الملك لمن غلب، فيحكم أمة محمد الغالب بغض النظر عن دينه وعلمه وأمانته، فإذا كان منصب الإمام محصور بعمادة أهل البيت تطيب نفوس الجميع لأن حاكمهم هو ابن النبي (ص)، فيعم الاستقرار وتهنأ النفوس وتهدأ الأطماع.

دور الأمة بتعيين الإمام

الأمة المؤمنة الجادة الصادقة الواعية تبحث عن الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها، لأن هذه العقيدة هي المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بمثابة القانون النافذ والمسؤول الأول عن تطبيق هذا القانون هو الإمام، فإذا لم يكن الإمام هو الأعلم والأفهم فيقع المحظور.

والأمة من جهة ثانية تبحث عن أفضل أفرادها لأن من مصلحة الجميع ومن بواعث فخر الجميع أن يحكم الأفضل، والأمة العاقلة المؤمنة الواعية تبحث عن الأنسب ليقودها على درب الله ولا يستطيع أي فرد من أفرادها، ولا أي جماعة من جماعاتها ولا هي مجتمعة أن تعرف على سبيل الجزم واليقين من هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب.

إن يعرف ذلك على وجه الجزم واليقين هو الله سبحانه وتعالى، لذلك رحمة بعباده المؤمنين يتلطف فيخبرهم على وجه

الجزم واليقين أن هذا هو صاحبكم الذي تبحثون عنه وهو المؤهل لقيادتكم وقيادة مسيرة الإيمان في العالم.

(1) راجع كنز العمال ج 12 ص 24 وقد نقله عن البخاري ومسلم.

(2) ويمكن لمن أراد معرفة أسماء حكام قريش وعددهم أن يراجع مروج الذهب للمسعودي.

وكأمة مؤمنة عاقلة واعية تقبل التكييف الإلهي بأن هذا هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب، وتوج لأنها عثرت على بغيتها فتقبل عليه وتبايعه بالرضى لا بالإكراه ليكون إماما لها وقائدا لمسيرتها، وبمجرد تمام البيعة يصبح الإمام الذي رشحه الله هو القائد الشرعي والفعلي للأمة، ويتعاون مع الأمة لوضع المنظومة الحقوقية الإلهية موضع التطبيق.

الانفكاك بين الواقع والشرعية

أما إذا لم تقبل الأمة بالتكييف الإلهي بأن هذا الذي قدمه الله هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب لقيادتها، وفتشت لنفسها وبقواتها عن شخص آخر اعتقدت أنه الأفضل والأنسب لقيادتها، عندئذ تحدث عملية انفكاك بين الشرعية والواقع فيكون الحاكم القابض على مقاليد الأمور فعليا شخص والإمام المعين من قبل الله شخص آخر لا سلطة بيديه، ويتعذر عليه أن يتأمر على أناس لا يقبلون به، ودينه يمنعه من اللجوء إلى أساليب غير شرعية للوصول إلى السلطة ومع الأيام يستحوذ الحاكم على السلطة والمرجعية، فيزعم بأنه خليفة النبي والقائم مقامه ومن يعارض ذلك يهز الحاكم بوجهه عصا السلطة.

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص، وولي بالنص، ومرجع بالنص، وهو القوة في زمانه بالنص. ولكن الأمة رغبة أو رهبة بايعت يزيد بن معاوية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي (الخليفة). أما الحسين فهو الإمام الشرعي ولكنه غير قادر على ممارسة صلاحياته لأن يزيد استولى عليها بالقوة والغصب، وسكتت الأمة عليه وبايعته طوعا أو كرها وأدارت ظهرها لإمامها الشرعي، وعلى الحسين أن يقبل بالأمر الواقع أو يواجه قوة السلطة التي تتوج بالضغط عليه بكل وسائل الدولة وإمكانياتها التي قد تصل إلى إزال عقوبة الموت بالإمام. فالسلطة بمثابة زوجة شرعية للإمام الحسين ولكل إمام معين وفق الشرع، وهذه الزوجة الفاتنة تحب زوجها وتخلص له لأنه أهل لها.

فجاء الحاكم وبالقوة والغلبة والقهر، واغتصب الزوجة من زوجها وأجبرها على معاشرته بالقوة، لأن الحاكم يدرك أن جسد الزوجة له وقلبها معلق بزوجها

الشرعي، فإن هذا الحاكم لن يهنأ قبل أن يموت هذا الزوج الشرعي، حتى يستحوذ على قلب زوجته وجسدها معا وحتى لا تعود الزوجة لزوجها الشرعي خلسة.

الأئمة الشرعيون

1 – علي بن أبي طالب	2 – الحسن بن علي
3 – الحسين بن علي	4 – زين العابدين بن الحسين
5 – ابنه محمد الباقر	6 – ابنه جعفر الصادق
7 – ابنه موسى الكاظم	8 – ابنه علي الرضا
9 – ابنه محمد الجواد	10 – ابنه علي الهادي
11 – ابنه الحسن العسكري	12 – ابنه محمد بن الحسن المهدي

إستكشاف المستقبل أمام الولي وخليفة النبي

أدى رسول الله الأمانة، وبلغ الرسالة، وبين كل شئ، ونصب ولي عهده وخليفته من بعده، كما أمره الله، وبلغ أفواد الأمة وجماعاتها بذلك، ثم أعلن القرار الإلهي أمام مائة ألف مسلم، وهنأ الجميع عليا بذلك وعلى رأس المهنئين عمر بن الخطاب، ولاح أن كل شئ في مكانه الصحيح، وأن الأمور ستجري رخاء وبريح ملائمة. ولم يكتف النبي بذلك، إنما نقل أصحابه ذهنيا معه وكشف أمامهم بعض مضايق المستقبل، فقال أمام كبار أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر.

قال أبو بكر: أنا هو ؟ قال النبي: لا، قال عمر: أنا هو ؟ قال النبي: لا ولكنه خاصف النعل يعني عليا. قال أبو سعيد الخدري: فبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) " [1].

(1) راجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 64 والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 183 ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 115 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 137 وقريب منه في خصائص النسائي ص 131 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 37 الهامش وحلية الأولياء ج 1 ص 67 وأسد الغابة ج 3 ص 282 والرياض النضرة للطبري ج 2 ص 252 و 253 وذخائر العقبى ص 67 ومناقب علي لابن المغازلي ص 298 وشرح النهج لابن أبي

وها هو النبي يكشف لخليفته الأمور فيقول له: أما أنت ستلقى بعدي جهدا.

فقال علي: في سلامة ديني ؟ قال النبي: نعم في سلامة دينك [1].

ولم يكتف النبي بذلك، إنما أخبر وليه وخليفته من بعده أن الأمة ستغدر به بعد وفاته [2].

[3]

والأهم أنه سيقاتل، إذ قال له النبي: " يا علي ستقاتلك الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني " .

ويحاول النبي بكل جهوده لتنبيه الأمة فيقول مرة لأحد أصحابه: " يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون عليا، حق على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه " [4].

نسف الصيغة السياسية الجاهلية

التوتيبات الإلهية المتعلقة بمنصب رئاسة الدولة نسفت تماما الصيغة السياسية الجاهلية، فالقيادة في نظر الإسلام اختصاص وعمل فني تماما يتصدى له الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب للقيادة من بين أتباعه بغض النظر عن بطنه أو قبيلته.

الحديد بتحقيق أبي الفضل ج 2 ص 277 ومجمع الزوائد ج 9 ص 33 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 173 والصواعق المحرقة لابن حجر ص 74 والإصابة للعسقلاني ج 2 ص 392 وكنز العمال ج 15 ص 94.... الخ وراجع ملحق المراجعات ص 161 - 162.

(1) راجع المستدرك للحاكم ج 3 ص 140 وتلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك ونظم السمطين للزرندي الحنفي ص 118 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج 5 ص 34 وفضائل الخمسة ج 3 ص 53 والملحق ص 161.

(2) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص 45 بتحقيق أبي الفضل والبداية والنهاية لابن كثير ج 6 ص 218 وفضائل الخمسة ج 3 ص 51 وتلخيص الشافعي للطوسي ج 3 ص 51.

(3) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 171 والغدير للأميني ج 3 ص 193 ومنتخب الكنز ج 5 ص 32 من مسند الإمام أحمد الهامش.

(4) راجع مجمع الزوائد ج 3 ص 134 وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 123 وذكره عنهم في إحقاق الحق ج 7 ص 343 راجع ملحق المراجعات ص 164.

بينما الصيغة السياسية الجاهلية قائمة على اعتبار القيادة بمثابة شركة لكل بطن هذه البطون سهم في هذه الشركة فقد توصلت هذه البطون إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف " المناصب السياسية " في ما بينها من قيادة ورفادة وسقاية ولواء وسفارة.... الخ ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب، فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون وفق هذه الصيغة ولا مصلحة لأي بطن في تغيير هذه الصيغة، مما جعلها عنوان عقيدة سياسية وأثرا مأثورا مما تركه الأولون، ومن غير الجائز الخروج عليه، وحاولت القبائل المكية أن تمنع ظهور نبي من بني هاشم، وقاومت بكل قواها ولكنها فشلت، فكأن نبوة بني هاشم قدر لا مفر منه، فإذا أخذ الهاشميون النبوة فهذا قدر لا محيد عنه، فهل تكون الخلافة أو الملك قدر أيضا، فمن غير المعقول أن يعطي الله الهاشميين النبوة والخلافة معا ؟، ومن هنا فإن التوتيبات الإلهية المتعلقة بالخلافة من بعد النبي أثارت حفيظة قريش وحدها وتمخض هذا الحسد عن شعار: " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة " ولكن هذا الشعار كان ملجوما بوجود النبي (ص) ولكن الفرصة مهيأة لظهوره. وربطا منهجيا للموضوع فإنني أسوق معالجتي التاريخية لهذا الموضوع مرة ثانية في هذا الباب لتكتمل الصورة وليتم استيعاب الموضوع.

الانقلاب

الفصل السابع

المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الانقلاب وتقويض الشورية

أ – بطون قريش

تتكون قريش من خمسة وعشرين بطنا [1]، وأشرف هذه البطون على الاطلاق وأفضلها بالنص الشرعي " بنو هاشم بن عبد مناف " [2]، ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف، وبنو الحارث بن عبد مناف. وبنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبنو نوفل بن عبد مناف.... وهم سادة قريش، فقد ساروا بعد أبيهم ويقال لهم المجبرون وهم أول من أخذ العصم لقريش فانتشروا من الحرم، فقد أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام، وأخذ عبد شمس حبلا من النجاشي، وأخذ نوفل حبلا من الأكاسرة، وأخذ المطلب حبلا من حمير، فاختلفت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم وكان يقال لهم: أقداح النضار لفخرهم وسيادتهم على العرب [3].

---

(1) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 291.

(2) راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 3 – 4 لعلي برهان الدين الحلبي وراجع الجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصيف مجلد 3 ص 419 وما فوق وراجع السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ج 1 ص 4 – 11 وراجع الطبقات لابن سعد، وراجع الخطبة 185 ص 156 ج 2 من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(3) راجع الطبقات ج 1 ص 75 وتاريخ الطبري ج 2 ص 180 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 93.

ب – الصيغة السياسية

وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب شرف في ما بينها " المناصب السياسية " من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة لأسهم السياسة المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تتوقعه، ولاح لهذه

البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الاطلاق، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب، فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن بتغيير هذه الصيغة، لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته فقد يفقد حقه، ثم إن الأمور قد استقامت ونظمت أمور ولاية البيت الحرام، فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثرا مأثورا مما تركه الأولون ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان.

ت – محاولات لزعزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم، يطعم الناس ويساعدهم وقيل له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف [1]، فخشي أمية بن عبد شمس وحسده فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم فعجز عن ذلك، فعيرته قريش، فدعا هاشما للمنافرة فأبى ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين، فقضى الحكم بأن هاشما أشرف من أمية، فنحرت النوق وجلى أمية إلى الشام، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي ولعل الذي دفع أمية هو الحسد لهاشم والخشية من أن يشكل هاشم خطرا على هذه الصيغة لأن القيادة بيد بني عبد شمس وبروز نجم مثل هاشم قد يزعزع الصيغة كلها ويستخف الناس [2].

ث – إشاعة النبوة

أشيع في مكة أن نبيا سيبعث، وأنه سيكون من سلالة عبد مناف. وممن

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 180 والسيرة الحلبية ج 1 ص 5 والطبقات لابن سعد ج 1 ص 76، و ج 2 ص 179 من تاريخ الطبري.

(2) راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 15 وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 170 – 172.

استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت، وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية، وسيأخذ منه القيادة، وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار، ولكنه اطمأن بعد عذاب ومعاناة، فالشائعة تقول: إن النبي من بني عبد مناف ولا يوجد حسب رأيه من هو جدير بالنبوة سواه [1]، فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب.

ج – إعلان النبوة

أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والجنس البشري عامة وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله، واتبعه نفر قليل ممن عرفوا بالحصافة وبعد النظر أو من أولئك الذين مستهم البشرية مسا أليما.

ح – احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمدا بكل قوة، وهددت زعامة قريش بفشل محمد، وأشيع أنه قد قتل، فجمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة وسار مع الهاشميين والمطلبيين ونادى: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به ؟

قالوا: لا، فأخبر الخبر وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفانى وإياكم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكسارا " أبو جهل " [2].

خ – حفاظا على الصيغة السياسية وحسدا لا حبا بالأصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمدا وبكل أساليب المقاومة، ولم ينثن وأمام إصرار ورفض بني هاشم لفكرة تسليمه، اتفقت بطون قريش بدون استثناء وعلى ما يلي: –

1 – مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، فقاطعتهم قريش كلها بما فيهم بني عدي وبني تيم وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين واضطروهم أن يأكلوا ورق

(1) السيرة الحلبية ج 1 ص 80.

(2) راجع الطبقات لابن سعد ج 1 ص 202 – 203.

الشجر من الجوع واضطر أطفالهم أن يمصوا الرمال من العطش. تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد، ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتهم وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنين.

2 – عندما سمعت قريش أن محمدا سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكن من إيجاد قاعدة له، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمدا، فاختاروا من كل قبيلة رجلا حتى يضربه هؤلاء الرجال دفعة واحدة، فيضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف، وباللحظة التي أجمعوا أمرهم دخلوا فوجدوا عليا ابن أبي طالب نائما في فراشه، وجن جنون القيادة المكية وخصصت الجوائز لمن يقبض على محمد حيا أو ميتا.

وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل [1].

د – حروب من أجل الصيغة السياسية وحسدا لا حبا بالأصنام

لم تيأس بطون قريش وقيادتها من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم، ولم ييأس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته، وانقسم العرب أثلاثا، قسم مع قريش وقيادتها المشركة، وقسم قليل مع محمد، والقسم الثالث تربص يتبع الغالب، واشتعلت الحروب في بدر وأحد، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب وزحفت إلى المدينة المنورة فاعتصم النبي (ص) بالمدينة وفشلت الأحزاب وفوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك

وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام، وبركوعها ركع كل العرب، ودانت الجزيرة لدولة النبي، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجا.

ز – النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش زعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي

(1) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية ج 1 ص 80 والطبقات لابن سعد ج 1 ص 208 - 209 والسيرة الحلبية ج 1 ص 332.

بكل أصناف الرفض وألوانه، وقاومت بكل فنون المقاومة، لا وفاء للأصنام ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي وتكره أن تكون للهاشميين القيادة، وأن تهز الصيغة السياسية، وأخيرا فوجئ أبو سفيان بجند الله قرب مكة، ويوقفه العباس فيرى جند الله، فيدخل الرعب في قلبه، وينتزع منه فتيل المقاومة ويفصح قائد الحزب عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول: ما رأيت ملكا مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر [1]، ويوجه العباس إلى محمد فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم): " ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله "، فيقول أبو سفيان: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلها غيره لما أغنى عني شيئا، قال (صلى الله عليه وآله): يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أني رسول الله ؟

قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شئ. صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه، ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: ليت شعري بأي شئ غلبني، فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان فقال له الرسول " غلبتك بالله ".

وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه، ولا علاقة لها باختيارها، ولو كان لها أي دور بهذا الاختيار لما قبلت أبدا أن يكون النبي من بني هاشم، والنبوة الطاهرة لن تتكرر، وأنه لن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم، فقد سبقوا تماما وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهترت ونسفت تماما، وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفا هاشميا للجمع بين النبوة والملك وحيازة الشرف كله.

أكثر البطون اندفاعا لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجمعة على أن النبوة الهاشمية قد هزت هزا عنيفا الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية. وكل البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناء بني المطلب بن عبد مناف حيث وقفوا مع

(1) السيرة الحلبية ج 3 ص 79 وما فوق، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

الهاشميين لكن أكثر البطون رفضا واندفاعا لوقف الزحف الهاشمي والحيلولة بين جمع الهاشميين الملك والنبوة هم بنو أمية وذلك لعدة أسباب منها:

1 – ماض طويل من الشحناء والعداوة والحسد لبني هاشم حتى قبل الإسلام.

2 – بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة.

3 – الهاشميون قتلوا سادات بني أمية فهم لا يكرهونهم فحسب بل يحقدون عليهم وهند أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد، فهي لم تكتف بقتل حمزة إنما مثلت بجثمانه الطاهر، ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام وتأخر الأمويين عن دخوله وذكريات مساعيهم الطويلة في محاربته يتعذر عليهم الجهر والمنادات علنا بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك.

ز – التيار الغلاب

لقد تحولت مقولة لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك إلى تيار غلاب ولكنه ساكن ومستقر في النفوس وملجوم بوجوده (صلى الله عليه وآله) وبالشرعية وبوحدة الصحابة الصادقين تحت قيادته، فلو فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فستهتز الشرعية، وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود على حد تعبير معاوية وسيأخذ الأمر من يغلب.

س – القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بني ساعدة احتجوا بما يلي: فقال أبو بكر: " نحن عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله، (صلى الله عليه وآله)... ".

قال عمر: " لا يجتمع سيفان في غمد واحد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه نحن أوليائه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو

متورط في هلكة " [1] ، قالت الأنصار كلها: " لا نبايع إلا عليا، وعلي غائب. قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا " [2] .

وسريعا أيرم الأمر للصديق رضي الله عنه ودعي علي لمبايعة أبي بكر، فقال علي: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأخذونه منا غصبا أهل البيت. ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الأمرة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا... الخ.

وعمر على فواش الموت يتفكر بمستقبل أمة محمد ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة قال: لو أدركت أبا عبيدة باقيا استخلفته ووليته، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته.... ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته، ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة وليته.... الخ.

وسالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب، ومعاذ من الأنصار ويوم السقيفة لم يكن جائزا تولية الأنصار، وخالد من بني مخزوم ومن الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة حيث هاجر في الفترة الواقعة بين صلح الحديبية وفتح مكة.

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، قال:

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت، قال:

تكلم، قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها

---

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 6 - 8.

(2) تاريخ الطبري ج 3 ص 198 وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص 266.

فأصابت ووفقت فلو أن قريش اختارت لأنفسها من حيث اختيار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهية فقال: * (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) *. فقال عمر: هيهات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقول عليها فتزول منزلتك مني. فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقا فما ينبغي أن تزول منزلتي منك، وإن كان باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما. قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدا فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لا يزول. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين مهلا لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا..... "

(1)

.

والواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق (رضي الله عنهما) تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وانفلات التيار المغلوب الذي كان ساكنا في النفوس وملجوما أثناء حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل أن تتأسس دولة الخلافة الراشدة، وسأورد النص الحرفي لهذه الواقعة.

النص الحرفي للقصة

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا ابن عباس، إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شئ وأعياني ذلك فما رأيك في العمل ؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: ما تريد إلى ذلك ؟ قال ابن عباس: أريده، فإن كان شئ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن

(1) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 3 ص 107 أخرجه الإمام أحمد أبو الفضل بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد، راجع مجلد 2 ص 97 من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

كنت بريئا من مثله علمت أني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيتك طلبت شيئا إلا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول: هلم إليها، ولا هلم إليكم دون غيركم إني رأيت رسول الله استعمل الناس وتركك.

قال: والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك ؟

قال عمر: والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أم خشي أن تبايعوا بمقولتكم منه فيصبح العتاب ولا بد من عتاب، وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك.

قال ابن عباس: قلت: أرى ألا أعمل لك. قال: ولم ؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أرح قذى في عينك ؟ قال: فأشر علي ؟ قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا عليك [1].

من فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس، ولن يحكموا أمة محمد!!.

وبالإجمال تحولت هذه المقولة إلى تيار غلاب أفصح عن ذاته وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة وآمنت بها الأكثرية الساحقة على اعتبار أن هذه المقولة هي الوسيلة المثلى لمنع الاجحاف الهاشمي وإنصاف البطون القريشية لتتداول الخلافة في ما بينها كرد على النبوة الهاشمية أو كتعويض لها عن الإختصاص الهاشمي بالنبوة وأخرا على اعتبار أن هذه المقولة مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها على حد تفسير الفاروق.

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة، وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها، وتولية ابنه يزيد قائدا على جيش الشام وتعيين ابنه الثاني قائدا من قواد يزيد ثم خلافته لأخيه يزيد كوال على الشام بعد وفاته، كل هذا كون حلفا حقيقيا بين

(1) راجع المجلد الثاني ص 253 - 254 من مروج الذهب للمسعودي.

السلطة وبين الطلقاء لهم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة، وبهذا التحالف قطع دابر المعارضة وحجمت. وتم تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معا.

وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيبها من امتيازات الشرف التي كانت مخصصة بموجب الصيغة السياسية التي سادت قبل الإسلام وعزلت تماما وحجمت أنظر إلى قول الفاروق مخاطبا العباس وبني هاشم: " إي والله وأخرى أنا لم نأتكم حاجة منا إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبها " [1]. وبلغت الاستهانة بها حدا أنه حتى عبد الله بن الزبير هم بأن يحرق بيوت الهاشميين على من فيها لولا أن تدخل أهل الخير.

ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشميين في شعاب أبي طالب ثلاث سنين وأرسلت مندوبها للاشتراك بقتل النبي هي أسعد حظا من الهاشميين، والفرد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي، فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس وحرام على أي هاشمي من الناحية العملية، كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين النبوة والخلافة، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟

ض – التكييف الشرعي لمقولة لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة

هذه مقولة جاهلية من كل الوجود، وتتعارض معارضة تامة مع النصوص الشرعية، ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية، فداود نبي وورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معا، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب، ولم يعترض عليهم أحد لأن الفضل بيد الله والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى ودنيوي والخليفة قائم مقام النبي، ومن مهام النبوة البيان والحكم وعملية البيان والحكم عملية فنية تماما واختصاص.

ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية للنظام السياسي الإسلامي تبين له بأقل

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 15.

جهد ممكن أن هذه المقولة نسفت نسفا تاما النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي، وفرغته تماما من مضمونه وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعي لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل " سياسيا "، بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعمة يأكلها الغالب والغالب وحده، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي " أو حصيرته " ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة، فإن غلب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط به فأسلم رغبة أو رهبة فإنه يتأمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه، ويصبح ولي الله المخصص شرعا لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه، يتكلم الجاهل، ويسكت العالم، يتقدم المحاصر " بالكسر " ويتأخر المحاصر " بالفتح ". كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة، أو بتعبير أدق من أجل العودة عمليا إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ولكن بثوبها الجديد، فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها من هذه المناصب، وبتطبيق المقولة أصبحت القبائل تتداول رئاسة الدولة وبنفس الوقت تتشارك بالشرف والمناصب أثناء عملية التداول، أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر، فهي لا تستجيب

للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة.

الصفحة 282

الصفحة 283

النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة

1 – النتيجة الأولى

زوال الفوارق نهائيا بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان، فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا وذاك، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة، فالهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماما مثل أي شخص كان على الشرك واشترك بالحصار، ألم يسلم ذلك الشخص ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله ؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماما كوحشي من الناحية العملية السياسية، فالقاتل كالمقتول تماما، والمهاجر كالطليق، والجاهل كالعالم، ولو غلب الجاهل لكان لزاما على العالم أن يطيعه سياسيا وأن يتبعه وينقاد إليه، بل على العكس، فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلي بن أبي طالب وكان هنالك أنصاري برجته أو أقل علما منه، فالأنصاري العالم مقدم على الهاشمي.

أنظر إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول: لو أدركت معاذ بن جبل لوليته، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته. خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة وعلي قاتل مع الإسلام في كل مواقعه، ومع هذا فالأولى هو خالد حتى أن الفاروق لو أدرك سالم مولى أبي حذيفة وهو من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب مع أن علي بن أبي طالب هو ولي سالم وعمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة " باعتراف الفاروق وبإقراره "....

الصفحة 284

النتيجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها

طالما أن لا فرق بين المهاجر والطليق ولا بين القاتل والمقتول ولا بين المحاصر " بالفتح "والمحاصر " بالكسر " ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ووجود مفاهيم متعددة وقناعات متعددة وكل فريق يزعم أنه على الحق، فريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال زاوية كذا.... الخ،ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع، بهذا الجو زرعت بذرة الخلاف ونمت بأرض خصبة، فلو قال علي (عليه السلام) كلاما وقال واحد من الطلقاء كلاما آخر فالذي يزن القولين هو السامع، لأنه عمليا لا فرق بين علي وأي طليق، فكلاهما في الجنة وكلاهما مسلم فهم صحابة أي لا يقرون عمليا بأي ترجيح شرعي لقول علي، فكيف يرجح بين المتساويين وكيف يفرق بين المتعادلين تماما ؟ فهذه قطعة ذهبية تتساوى حجما وشكلا

ومقدرا وقيمة مع قطعة أخرى، فخذ ما شئت وإياك والتمييز، فالوفاق الحاصل وفاق ظاهري وتحت هذا الظاهر ينمو الخلاف ويشب ثم يتحول إلى سوطان عاجلا أم آجلا، يمزق وحدة الأمة ويخوجها من إطار الشوعية إلى الغامض والمجهول.

النتيجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي

بمعنى أنه لا شئ على الاطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية شويطة أن يتمكن من الوصول إليها والاستحواذ عليها، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان شويطة أن لا يكون من بني هاشم لأنهم اختصوا بالنبوة والنبوة تكفيهم.

هذا الحق حول الطمع برئاسة الدولة إلى كابوس بغيض وإلى آلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها، وحولتها إلى حقل تجارب لكل الطامعين بالرئاسة، وعطلت نظامها السياسي والشوعي.

أما من أي قبيلة هذا الرئيس ؟ ما هو علمه ؟ ما هو دينه ؟ ما هي سابقته ؟ من

الذين سيحكمهم ؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ولا يعول عليها لأن الغالب غالب والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته.

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية وهو المشهور بعهره وفجوره من أن يكون رئيسا للدولة الإسلامية لأنه ابن معاوية الرئيس، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنة بالنص وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص، والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص، فما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد وأحد الذين يتأمر عليهم، فكلاهما مسلم، وكلاهما في الجنة، يزيد القاتل المجرم في الجنة والحسين الإمام المقتول في الجنة، فكلاهما صحابي!!! ومن ينقد هذا الرأي فهو زنديق لا يواكل ولا يشارب ولا يصلى عليه.

النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل والخير بالشر والعلقم بالشهد، وأصبح المتأخر كالمتقدم واللاحق كالسابق، والمجاهد كالقاعد، والقاتل كالمقتول والمحاصر كالمحاصر " بالفتح والكسر " ومن وقف مع الإسلام تماما مثل من وقف ضده، ومن قاتل الإسلام تماما كمن قاتل معه. لقد دخل الجميع بدين الله وشاهد النبي أو شاهدوه، فكلهم صحابة وكلهم في الجنة.

وضاع الصادقون، وتفوقوا في الأمصار وأصبحوا على حد تفسير معاوية كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود وانهار النظام السياسي الإسلامي وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرون، ولله عاقبة الأمور.

الفصل الثامن

مقدمات الانقلاب

1 – مع النبي على فواش الموت

النبي في بيته، يجلس على فواش الموت، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته. النبي على علم بمستقبل هذه الأمة، وقد أدى دوره كاملا وبلغ رسالات ربه، وبين للمسلمين كل شئ على الاطلاق، وهو على علم تام بما يجري حوله، ومدرك أنه السكون الذي يسبق العاصفة والصمت الذي يسبق الانفجار، فإذا ثارت العاصفة، وحدث الانفجار ستنسف الشرعية السياسية ونسفها سيجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

لكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة، ولا يسكت حتى يحدث الانفجار ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة، بما فيه كيف يتبول المسلم وكيف يتغوط.

إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي بعده وحتى لا تضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها تنتظر موت النبي لتفتح أشداقها، فتعكر صفو الإسلام، وتعيق حركته وتغير مساره.

بيت النبي (ص) يغص بعواده من أكابر الصحابة فاغتنم النبي الفرصة وأراد أن يلخص الموقف لأمته ويذكر بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

" قوموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ". ما هو الخطأ بهذا العرض

النبوي ؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة ؟ ولماذا ولمصلحة من ؟ ثم إن من حق كل مسلم أن يوصي، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبيل موته والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إهماله، هذا إذا افترضنا أن محمدا مجرد مسلم عادي وليس نبيا وقائدا للأمة. فتصدى عمر بن الخطاب له ووجه كلامه للحضور وقال: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: " قوموا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده أبدا ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني " [1].

وفي رواية ثانية أن الرسول (ص) عندما قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله. قال النبي: " دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه " [2].

وفي رواية ثالثة: قال النبي (صلى الله عليه وآله): " ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " فقالوا: إن رسول الله يتهجر " [3].

وفي رواية ثالثة للبخاري أن النبي قال: " ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده " قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وأكثروا اللغط، قال النبي: " قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.... " [4].

(1) صحيح بخاري كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني ج 7 ص 9 وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج 5 ص 75 وصحيح مسلم بشرح النووي ج 11 ص 95 ومسند الإمام أحمد ج 4 ص 356 ح 2992 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص 51.

(2)راجع صحيح بخاري ج 4 ص 31 وصحيح مسلم ج 2 ص 16 ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 2 و ج 3 ص 286.

(3)راجع صحيح مسلم ج 2 ص 16 و ج 11 ص 94 – 95 بشوح النووي ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 355 وتلريخ الطوي ج 2 ص 193 والكامل لابن الأثير ج 2 ص 320.

(4)راجع صحيح بخاري ج 1 ص 37.

رواية بلفظرابع للبخاري:

قال النبي (صلى الله عليه وآله): " ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعواولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه أهجر ؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: " ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.... " [1].

رواية بلفظ خامس للبخاري:

قال النبي (ص): " ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا "، فتنازعواولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر ؟ استفهموه فقال النبي:

" ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.... " [2].

رواية بلفظ سادس للبخاري:

قال النبي (ص): " هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده "، قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي قال: " قوموا عني " [3].

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر.... [4]، وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي [5].

(1) راجع صحيح بخاري ج 5 ص 137 وتاريخ الطبري ج 3 ص 192 - 193.

(2)راجع صحيح بخاري ج 2 ص 132 و ج 4 ص 65 – 66.

(3) صحيح بخاري ج 8 ص 161.

(4)راجع تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص 62 وراجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص 21 (5)راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 3 ص 114 سطر 27 الطبعة الأولى مصر وبيروت و ج 12 ص 79 سطر 3، بتحقيق محمد أبو الفضل و ج 3 ص 803 دار مكتبة الحياة و ج 3 ص 167 دار الفكر.

تحليل المواجهة

1 – أطراف المواجهة

الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمام الدولة الإسلامية "رئيسها ".

الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ووزير من أبرز وزراء دولة النبي (ص) والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.

مكان المواجهة: بيت النبي.

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة

1 – الانقسام

إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: يؤيد الفاروق في ما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد، وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي (ص) ومشفق على الإسلام، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي فهو التأمين ضد الضلالة ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي.

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلا بين التابع والمتبوع، وبين نبي ومسلم وبين رسول يتلقى تعليماته من الله وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وبين واحد من وزرائه، ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ولكتابة ما يريد لأنه نبي ومازال نبيا حتى يتوفاه الله، ولأنه رئيس الدولة ومازال رئيسا للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله. ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته فهو صاحب البيت ومن

حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

2 – بروز قوة هائلة جديدة

برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عددا كبيرا من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه [1] واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة، ولحد الآن لا أحد يدري على وجه اليقين من الذي أوحى للأنصار بفكرة الاجتماع بسقيفة بني ساعدة ولا كيف التم شمل هذا

الاجتماع ولا من الذي دعا إليه ؟ولا أحد يدري كيف علم به عمر من دون كل المهاجرين، فالثابت أن الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة والثابت أيضا أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي والثابت أيضا أن عمر (رضي الله عنه) هو الذي دعى أبا بكر وأخوه بحادث اجتماع السقيفة والثابت أيضا أن أبا بكر وعمر وجدا وهما في طريقهما إلى السقيفة أبا عبيدة بالصدفة ؟.

فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتابعها متابعة دقيقة دقيقة بدقيقة، وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم فلو أراد لكان هو الخليفة، وبعد الخروج من السقيفة ومبايعة الأكثرية الحاضرة لأبي بكر الصديق، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة وهو الذي صاح بالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبايعه الأنصار وأن عليهم أن يقوموا فيبايعوا، فنهض عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا الصديق. وعثمان والأمويون بأغلبيتهم هم أول من بايع الصديق، وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة وجهز منهم سرية أخرجت عليا ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق [2]، وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهم بإحراق بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به [3]، وهو نفسه الذي هدد عليا بالقتل إن لم

---

(1) راجع مراجع يوم الرزية وكيف أجمعت على أن الفاروق هو الذي قال حسبنا كتاب الله.

(2) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 5 وما فوق.

(3) راجع مراجع التحريق التي ذكرناها أكثر من مرة.

يبايع [1]، وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه [2]، وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائدا لجيش الشام. وهو القوة الهائلة التي وضعت الاستقرار لدولة أبي بكر ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلا، فانتقل إلى جوار ربه وورث عمر دولة آمنة مستقرة، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة، وكان الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة، وعاجلا أم آجلا سيكتشف الباحثون أن للفاروق قوة هائلة على التخطيط والتنظير ما توفرت لأحد قط من أقرانه فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنبوة أبدا، وستكون الخلافة تداولا في غيرهم، وحقا خالصا لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة.

3 – بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع

نبتت بهذا المواجهة فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع أو المساواة بين التابع والمتبوع، وخلق حالة من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب، هل هو مع التابع أو مع المتبوع ؟.

فحجة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجع، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطرا، وشايع الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة، وهذا شك، وحجة الطرف الآخر أن محمدا مازال نبيا وسيبقى نبيا حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين، فترك اليقين إلى الشك غير معقول!! والمرض ليس مانعا من القول.

حادثتان مشابهتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع

(1) الإمامة والسياسة ص 13.

(2) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 1 ص 306 – 307 تحقيق حسن تميمي مكتبة الحياة.

الملة: " فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خاليا – أي وحده – وقاله له: أكتب أما بعد، ثم أغمي عليه من شدة الوجع فكتب عثمان " فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ". فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: اقرأ علي، فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر: أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتتلت نفسي في غشيتي ؟ قال عثمان: نعم. قال أبو بكر: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر " [1]، تلك حقيقة بالإجماع.

الثانية: مرض عمر نفسه. قال طبيبه: لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله: ناولني الكتف فمحاها، وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع، وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال لابنه: ضع خدي بالأرض، فلم يفعل، فلحظه وقال: ضع خدي بالأرض لا أم لك الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله [2]

لعمر .

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد، ورتب أمر الشورى، واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة، واطمأن أنه لا يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة، ونفذت بدقة وصية الاثنين، وسمح لهما بقولها، وسمح لهما بالتوصية، وبالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهما، فعندما كتب كل واحد منهما وصيته كان مازال رسميا على رأس عمله خليفة للمسلمين ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حيا أو لم يعزل.

تلك حقيقة مسلم بها بالإجماع وقول واحد لا خلاف عليه، فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما أراد، مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهما أكثر من اشتداده برسول الله (ص) ويحال بين الرسول وبين كتابة ما أراد!!.

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 429 و ص 176 من نظام الحكم للقاسمي و ص 37 من سيرة عمر لابن الجوزي و ج 2 ص 85 من تاريخ ابن خلدون و ص 120 من كتابنا النظام السياسي في الإسلام على سبيل المثال فقط.

(2)راجع الإمامة والسياسة ص 21 – 31 والطبقات لابن سعد و ص 120 – 121 من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال.

ألا يحق لمحمد (صلى الله عليه وآله) ما يحق لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما). هذا مع الافتراض أن محمدا على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر!!

وهذا افتراض مرفوض شكلا وموضوعا، لأن محمدا نبي مرسل من الله وإمام، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع، ومحمد يوحى إليه، وقد أكد وقال أكثر من مرة: " إن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان يأتيه وهو مريض " [1].

والله يقول: * (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) * ويقول:

* (وما صاحبكم بمجنون) * * (ما ضل صاحبكم وما غوى) * * (إن هو إلا وحي يوحى) * فكيف يتحول بطرفة عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشا له يهجر!! ؟ولا يؤمن على كتابة وصية!!.

ومع أن هذه حقائق دامغة لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها، ومع أن هذه الواقعة نسفت مستقبل الإسلام كله، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلت بالمسلمين، إلا أن أهل السنة يتجاهلونها تماما ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة.

وهكذا، وعمليا رجح قول التابع على قول المتبوع، فأصبح التابع مرجعا والمتبوع متبوعا، وتم للتابع ما أراد وغلبت مشيئته واستقطب الناس لها ووجدت واقعيا فكرة الغلبة وأثمرت، واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأ شرعيا وأجيز للأمة أن تتورط على الصراع بين متغالبين ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاته ومهما كان دينه ؟ [2].

فطمع المتبوع بالتابع وتقدم المفضول على الأفضل، ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة

الخلافة وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم، وينازع بالخلافة أول من أسلم وولي الله بالنص، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه،ولا ينبغي أن نندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول: هذا مجتهد وهذا

(1) راجع الطبقات لابن سعد ج 2 ص 193.

(2)راجع نظام الحكم للقاسمي ص 244 – 245 وكتابنا النظام السياسي ص 153

مجتهد وكلاهما في الجنة.

وما ينبغي أن ندهش عندما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظورا عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر، حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معززا مكرما واتخذ ابنه مروان رئيسا لوزرائه وزوجا لابنته.

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام، فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي والوليد يعظ وعلى الحسين أن يسمع وعظ هذا الواعظ، والوليد يصلي بالناس صلاة الصبح أربعا وهو سكران ويسأل المأمومين إن كانوا يرغبون بالزيادة، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماما للحسين بن علي بن أبي طالب وأمرا عليه ومرجعا يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه!!!.

4 – ظفر الغالب ونجاحه

أصبح الغالب – أي غالب وأيا كان – هو الظافر، وهو سيد الموقف وهو إمام المسلمين ورئيس دولتهم وهو مرجعهم في كل الأمور الدينية والدنيوية وهو الحائز لكل وسائل القوة، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة يعطي لمن يشاء ويمنع العطاء عمن يشاء، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه، وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمنين الخارجي والداخلي ولتطويع الرعية رغبة ورهبة، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام، فلو شاء جعل الأبيض أسود ولو شاء جعل الأسود أبيض، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القوم عملاقا وأن يحول العملاق إلى قزم، وتحول مؤيدوه إلى واجهة له بيدهم الحل والعقد، ومع الأيام أصبحوا مراجع، فهم يتبنون وجهة نظر الغالب ويستعملون وسائله المرجعية، فهم سادات المجتمع وهم الفواقد المتألقة، وإذا سار معهم أي واحد قادوه إلى نقطة الارتكاز ومحور الهداية – أي عين ما يراه الغالب – وعزف العامة على ذات الوتر، واتحدت الأمة على هذه الشاكلة، وكلما مضت سنة ترسخت هذه السنة وتوطدت، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض وأصبحت رأيا عاما وقناعة وعقيدة سياسية.

عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادت العترة الطاهرة بالشورية، وقالت إن لها حقا وتطالب به، ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي، كانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جدا بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: " لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان " [1].

ولكن تبقى السلطة سلطة، وتبقى المعارضة معارضة،ولا يمكن بالفطرة للقائمين على السلطة بأي مقياس أن تثق سياسيا بالمعارضةولا أن تسلم للمعارضة مكتسباتها، ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي، فقد رؤي عدم قتله، بالرغم من أنه هدد بالقتل إن لم يبايع ورؤي عدم إكراهه على البيعة تقديرا لفاطمة.

ولم تتخذ أية إجراءات فعالة ضد الإمام وزوجته الزهراء عندما كانا يطوفان ليلا في مجالس الأنصار ويسألان النصرة فكان الأنصار يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أؤمنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟

فتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي ولقد صنعوا ما الله حسبهم عليه وطالبهم [2].

ومع هذا فالنتيجة المنطقية كانت عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته، وتجلت الرغبة بعزل الإمام عن بني هاشم خاصة محاولة السلطة اجتذاب العباس إليها بإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه، ولكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعا وردردا حاسما على السلطة [3].

وبالمعيار الموضوعي فإنه إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب الأقوى خاصة وأن معارضات

---

(1) الإمامة والسياسة ص 12 على سبيل المثال.

(2) الإمامة والسياسة ص 12 على سبيل المثال.

(3) الإمامة والسياسة ص 15 – 16.

أهل البيت تتابعت وكاد حبل الود أن ينقطع نهائيا بينهم وبين السلطة عندما هم عمر بإحراق بيت فاطمة على من فيه ولكن الله سلم [1].

ولقد بلغ من حجم القناعة لدى السلطة أنها اقتنعت بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة كوسيلة لمنع الاجحاف الهاشمي، وآمنت السلطة أن قريش قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ [2].

والأهم من ذلك أنه قد وضع شرطا بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم.

فعزل علي وعزل شيعته، وتعايش الإمام مع الشيخين وتعايشت شيعته، وقدم أهل البيت في زمنهما على الجميع في العطايا،

فكانوا يبدأون بآل محمد ثم ببقية الناس، وأمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم، وكانا يستشيران الإمام ويرجعان إليه في كثير من الأمور، واستقرت الأحوال وساعد على استقرارها فتوح البلدان وعدم تدنس الشيخين بشهوة.

وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة بدأ الصحابة يتراجعون من حوله، وبدأ الأمويون يتولون في بلاطه، فانفض الصحابة جميعا من حوله، والتف الأمويون عليه وغص بهم بلاطه.

ولم يأت الأمويون بجديد، فآل البيت وشيعتهم حرموا الأعمال في زمن الشيخين، وغير ولد أن يتولوها في زمن عثمان، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكتوا على أخطاء بني أمية وهم حاشية عثمان وعماله، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيهم عن المنكر معارضة للأمويين لأنهم أمويون، فلذلك ضاقوا ذرعا

---

(1) راجع مراجع التحريق.

(2) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 آخر سيرة عمر من حوادث سنة 23 ، وراجع علامة المعتزلة ابن أبي الحديد وشرح النهج مجلد 3 ص 97 و 107 وقد نقلها عن الإمام أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد، وراجع كتابنا النظام السياسي ص 149 وما فوق ص 6 ، مروج الذهب ج 2 ص 353 للمسعودي.

بعلي وبشيعته وتراكمت هذه المعارضة مع تركات الماضي بين الهاشميين والأمويين، ومازالت تكبر وتكبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكا حقيقيا على الأمة، وسمي العام بعام الجماعة.

وبدأ عهد جديد لمطاردة آل محمد ملئ بالدمع والدم، فأبيحوا إلا من كتبت له الحياة، وفوضت مسبتهم وشتمهم في الأمصار، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام. وطوردت شيعة آل محمد، ولم يجيزوا لأحد من أهل البيت أو لأحد من شيعتهم شهادة، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي ولأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم " [1] .

الاستيلاء على السلطة

1 - استذكار وربط الأحداث

قال النبي (ص) كما أسلفنا: " هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " ولما أتم النبي هذه الجملة قال الفاروق موجها كلامه لمن حضر: " إن النبي قد اشتد به الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله "وعلى الفور انقسم الحاضرون إلى قسمين:

القسم الأول يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول ما قاله عمر، فأكثروا اللغو والاختلاف عند النبي، حتى بلغ الأمر بالقسم الذي أيد عمر أن قالوا:

" حاشا للرسول، هجر رسول الله " إن "رسول الله يهجر "ورسول الله يسمع ويرى، عندئذ قال رسول الله: " دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه " [2] .

(1) راجع تاريخ ابن عساكر ج 3 ص 407 وراجع معاوية في الميزان للعقاد ص 16، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص 180.

(2) نحن أهل السنة نعتبر صحيحي البخاري ومسلم من أصح كتب الحديث على الاطلاق وقد روى البخاري تلك الحادثة الأليمة بست روايات ولها كلها نفس المضمون ورواها مسلم أيضا، وراجع إن شئت صحيح البخاري ج 7 ص 9، وصحيح مسلم ج 5 ص 75 و ج 11 ص 95 بشرح النووي و ج 4 ص 85 صحيح البخاري وصحيح مسلم ج 5 ص 75 و ج 11 ص 89 – 94 بشرح النووي.

2 – النجاح الساحق

نجح الفاروق بشق الحاضرين إلى قسمين: 1 – جماعة تؤيده وهو التابع، وجماعة تؤيد النبي وهو المتبوع، فأزال الفارق بين التابع والمتبوع. ونجح الفاروق ومؤيدوه بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما يريد.

الخيار ان

فإذا أصر النبي على كتابة الكتاب الذي يريد، ففريق الفاروق يرى أن النبي حاشا له: هجر، يهجر وفي ذلك كارثة على الدين كله، وإذا عدل النبي عن كتابة الكتاب الذي أراد ففريق الفاروق عندئذ يرى أن الرسول قد اشتد به الوجع وحسبنا كتاب الله، فاختار النبي العدول عن كتابة الكتاب، وصدم خاطره الشريف هذا القول الموجع " هجر يهجر " فقال: " دعوني..... ".

ثوب الشرعية

الفاروق لم يخرج عن إطار الشرعية من حيث الشكل، فهو لا يدعو إلى باطل، فهو يقول مخاطبا من حضر: " عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اشتد به الوجع "، فهو حريص على أن لا يكتب النبي هذا الكتاب، وحريص على تقديم واجبات الاحترام الرسمية للنبي حيث قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اشتد به الوجع ".... وحريص على التمسك بالقرآن، وهو وحده يكفي ولا حاجة لكتاب النبي، فكامل هذه التصرفات ترتدي ثوب الشرعية.

وهذا عين موقف فريق أمير المؤمنين عمر.

الفصل التاسع

مقاصد الفاروق وأهدافه

لقد قاومت بطون قريش النبوة الهاشمية بكل فنون المقاومة وحاربتها بكل وسائل الحرب، لا حبا بالأصنام ولا كراهية

للإسلام، فليس في الإسلام ما تعافه الفطرة فيكره، لكن قريش لا تريد أن تغير صيغتها السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف،ولا تريد أن يتميز البطن الهاشمي عن بقية البطون،ولا أن يتفوق هذا البطن عليها، وقد تصورت بطون قريش أن التفاف الهاشميين حول النبوة، ودفاعهم المستميت عن النبي هو إصرار هاشمي على التميز ورغبة هاشمية بالتفوق على الجميع، فحاصرت بطون قريش مجتمعة الهاشميين، وتآمرت بطون قريش مجتمعة على قتل النبي، وتعاونت بطون قريش مجتمعة على حرب النبي، ففشل الحصار، وفشلت المؤامرة، وهزمت البطون في حروبها وأحيط بها فأسلمت وأدركت أن النبوة الهاشمية قدر محتوم لا مفر منه،ولا محيد، وطالما أن النبوة قدر محتوم،ولا طاقة للبطون بمواجهة هذا القدر ومنعه، فلتكن النبوة للهاشميين خالصة لهم لا يشاركهم بالنبوة أحد من البطون، وليتوقف الزحف الهاشمي على حقوق البطون الأخرى، فالنبي قد أعد العدة لتكون الخلافة لعلي الهاشمي ولذرية النبي من بعد علي، لأنهم بعلم الله الأعلم بالإسلام، والأفهم بأحكامه، والأفضل من أتباعه، والأنسب لقيادة الأمة، والأطيب لنفوس الجميع.

الحل المثالي

لقد دخلت كل البطون في الإسلام، والإسلام يجب ما قبله، وتوحيد قريش في ظلال الإسلام مصلحة شرعية وضرورة من ضرورات انتصاره وشيوعه وانتشاره في البلدان ولا يحقق ذلك إلا:

1 – أن تكون النبوة خالصة لبني هاشم لا يشاركهم بها أحد غيرهم كائنا من كان.

2 – أن تكون الخلافة لبطون قريش تتداولها فيما بينها لا يشاركها في الخلافة أي هاشمي على الاطلاق،ولا حرج لو تداولها مع البطون من غيرهم كالأنصار، وكالموالي، لأن اشتراك هذا الغير بتداول الخلافة لا يخدم التميز والتفوق الهاشمي، واستقرت بأذهانهم نهائيا مقولة " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة " وتحولت هذه المقولة إلى تيار غلاب مستقر في النفوس.

استكشاف الحل

قريش وبالإجماع قبلت النبوة الهاشمية باعتبار أنها قدر لا مفر منه وهي تتمنى لو تحقق حلمها بالحل المثالي، فلا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ولكن، هذه الأماني ملجومة بوجود النبي، وإمكانية تحقيقها بعد وفاته واردة ومتاحة.

اقتناع الفاروق بالمقولة وتطويرها على يديه

لسوء الحظ أن الفاروق قد اقتنع بالمقولة القريشية: " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، وهو يلتقي هنا مع التيار الغلاب الساكن في نفوس قريش والمتأهب للظهور بعد وفاة النبي. وأضفى عليها الفاروق ثوب الشرعية فوصفها بأنها الصواب والتوفيق وأن الغاية منها منع الاجحاف الهاشمي على بطون قريش، وهكذا طور الفاروق هذه النظرية وألبسها ثوب

الشرعية فشقت طريقها بيسر وسهولة وبلا حرج تختال بثوبها الشرعي مخفية أحاسيسها الجاهلية، لأن شعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة " شعار جاهلي من كل الوجوه، تجد جذوره مستقرة وواضحة في الصيغة الجاهلية التي سادت مكة قبل ظهور الإسلام والقائمة أصلا على اقتسام البطون القريشية لمناصب الشرف، ومن جهة أخرى فإن الخليفة المقترح من النبي (ص) وهو علي بالذات نكل ببطون قريش فليس فيها بطن إلا وله دم عند علي، فهو قاتل سادات بني أمية في بدر، وقاتل حنظلة بن أبي سفيان، وقاتل العاص بن هشام بن المغيرة، وهشام هذا هو خال أمير المؤمنين " [1] "،

(1) الطبقات: ج 2 ص 17 - 18.

ثم إن عليا هو الذي كفى رسول الله كفار العرب بسيفه ورمحه، فكيف يرضى أبو سفيان عن قاتل ابنه وأولاد عمومته ؟ وكيف تتقبل هند وابنها معاوية رئاسة الذين قتلوا الأهل والأحبة ؟ عمر قد يقبل قاتل خاله، لأن الإيمان تمكن من قلبه، ولكن غيره لا يتقبل ولا يقبل، ثم إن الرسول (ص) لا لوم عليه فهو لم يقتل بيديه، إنما كان القاتل علي، فعصبت قريش دماءها بعلي ووجهت لومها وكراهيتها له مع الاحتفاظ بهويتها الإسلامية وولائها للنبي بالذات، فلو أخذت قريش بما تسميه " بالفضائل " التي أضفاها النبي (ص) على علي وسلمت له الخلافة فإن قريش لن تتحد في ظل حكمه بل ستفترق وتختلف، وسينعكس هذا الافتراق وهذا الاختلاف على مستقبل الإسلام ومستقبل الولاء للنبي بالذات، وقد تقع الفتنة مع ما تجره من عواقب وخيمة على الإسلام والمسلمين. بهذا وحده يمكن أن نفسر الاندفاع الهائل لأمير المؤمنين في هذا التوجه، ونفسر سر الائتلاف بينه وبين بطون قريش على شعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة "، حتى تحول أمير المؤمنين عمر إلى مخطط ومنظر حقيقي وأوحد لهذا التيار.

قريش تتحد ضد الولي كما اتحدت ضد النبي

وحدة الرؤى الرئيسية وحدت قريش كلها خلف شعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة "، فقد وقفت كل بطون قريش بلا استثناء [1] ضد النبوة الهاشمية واشتركت كل بطون قريش في مقاطعة بني هاشم ثلاث سنين بهدف القضاء على هذه النبوة وفشل الحصار، وتآمرت كل بطون قريش على قتل النبي وعبرت عن وحدتها بهذا التآمر بإرسال أحد رجالها للاشتراك في قتله، وفشلت المؤامرة ونجا النبي ثم جهزت كل بطون قريش الجيوش وحاربت النبي وفشلت، وأحيط بها فاستسلمت وأدركت أن النبوة قدر لا مفر منه وسلمت بها لبني هاشم.

لكنها عزمت وجزمت على أن لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، فوقفت وقفة رجل واحد ضد علي كما وقفت كل بطونها وقفة رجل واحد ضد النبي وغايتها محددة وهي أن لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة وبنفس الوقت الاحتفاظ بالهوية

(1) الإمامة والسياسة ص 70 - 72.

الإسلامية والولاء للنبوة الهاشمية بالقدر الذي لا يتعارض مع نجاح المقولة.

قريش تخطط والهاشميون يبرزحون في مصابهم

قريش مدركة أن النبي ميت لا محالة في مرضه هذا، وقد أخبرهم النبي (ص) بذلك وهم يصدقون النبي، وهي مدركة أيضا أن ترك الأمور على طبيعتها يؤدي حتما لفوز علي بالخلافة عندئذ يقع المحظور، فيجمع الهاشميون مع الخلافة النبوة لذلك فلا غنى لها عن التحرك بالخفاء لمنع وقوع المحظور.

والهاشميون كذلك وعلي بالذات مشغولون بمصابهم، فالنبي ميت لا محالة في مرضه هذا، وهو يعاني الألم، وألمه ألمهم لأنه النبي والسيد، وهم الأتباع المخلصون، ولأنه الأخ والقريب وابن العم والحبيب فلا أخ مثله، ولا قريب يغني عنه، ولا ابن عم يتحلى بمزاياه ولا حبيب نظروا له على الاطلاق، لذلك انصرفوا له بكليتهم وانشغلوا به عمن سواه مفترضين أن الآخرين مثلهم.

التخطيط المحكم

كيف علم عمر بأن النبي سيوصي ذلك اليوم بالذات فحضر ؟ ومن الذي أخبره ؟

وكيف تجمع هذا الفريق الذي ما إن سمع النبي يقول: " هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده " حتى سمعوا الفاروق يرد فورا على النبي موجها الكلام لمن حضر:

" إن النبي قد اشتد به الوجع وحسبنا كتاب الله "، فردد هذا الفريق فورا: القول ما قاله عمر، وزادوا: رسول الله هجر!! استفهموه إنه يهجر كما أسلفنا وأثبتنا، فقول النبي لا يمكن أن يخلق هذا النفور الفوري. والرد العمري الفوري بجملته الشهيرة " إن الوجع قد اشتد برسول الله حسبنا كتاب الله " لا يمكن أن يخلق الاقناع الفوري.

مثل هذا الاقتناع الذي حمل أصحابه على اللفظ والخلاف والتنازع في حضرة رسول الله، والأقرب إلى الذهن والمنطق والعقل أن هنالك معرفة يقينية مسبقة لدى هذا الفريق بمضمون الكتاب الذي أراد الرسول أن يكتبه، وأن هنالك نوع من الاتفاق المسبق للحيلولة بين النبي وبين كتابة هذا الكتاب، ولو أدى ذلك إلى مواجهة مع النبي نفسه، والقول بأنه يهجر أو هجر حاشا الله، والأقرب إلى التفكير أيضا بأن هنالك رابط أو اتفاق يضمن تماسك هذا الفريق ووحدته حتى بمواجهة مع النبي

نفسه، أما هل هذا الاتفاق عفوي أم ثمرة تخطيط، الله وحده يعلم، لكن المؤكد أن ظهر الشرعية قد قصم تماما في هذه المواجهة.

الثمرة الأولى لهذا التخطيط

تمكن هذا الفريق من أن يحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، وبرز عمر بن الخطاب كأقوى رجل في هذا الفريق على الاطلاق فهو الذي خاطب الحاضرين:

" إن النبي قد اشتد به الوجع حسبنا كتاب الله "، بمعنى أنه لا حاجة لنا بكتاب النبي " هذا معنا حسبنا يكفينا " ومازاد عن الكفاية فهو لغو ولا ضرورة له. مما شجع مؤيدي هذا الرأي على القول: رسول الله هجر استفهموه إنه يهجر. حاشا لك يا رسول الله. والخلاصة أن الثورة الأولى للتخطيط كانت الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد، ولنفترض جدلا أن النبي قد أصر على رأيه ولخص الموقف وقال:

" لا تنسوا بأن الخليفة من بعدي عليا "، فإن هذا القول سيعقد مهمة الفريق وسيضطره في ما بعد لإثبات الهجر مع ما يجره ذلك على الدين نفسه من ويلات وكوارث، فلو رفعوا شعار الهجر فيما بعد لكان الدين نفسه في خطر ولما أمكن التفريق بين ما قاله النبي في هجرة المزعوم وصحوه المؤكد، ففضل النبي (ص) أن يعدل عن كتابة الكتاب ليصون الأهم وهو الدين بدلا من صيانة المهم وهو خلافة علي، فقال لهم:

" قوموا عني ما أنا فيه خيرا مما تدعوني إليه "، وخرج هذا الفريق وهو يتصور أنه المنتصر، وأنه قطف الثمرة، وأن العقبة الكؤود في طريق تحقيق الهدف قد زالت.

التخطيط لهزيمة الهاشميين

بمواجهة متكافئة وعادلة وشريفة بين قريش والهاشميين، فإن الفائز المؤكد هم بنو هاشم وقد أثبتت وقائع التاريخ ذلك، فقد حاصرت كل بطون قريش مجتمعة بني هاشم ثلاث سنين، وفشل الحصار وانتصر الهاشميون، وقد تآمرت كل بطون قريش على قتل محمد واختارت من كل بطن منها رجلا ليشتركوا بقتل النبي مجتمعين، فيضيع دمه بين القبائل، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وفشلت المؤامرة ونجا النبي وانتصر الهاشميون.

وجيشت بطون قريش الجيوش وحاربت محمدا وبني هاشم، وانتصر محمد

وانتصر الهاشميون بانتصاره، وهزمت كل بطون قريش وأحيط بها، وأسلمت واعترفت بالنبوة، وأدركت أنها قدر لا مفر ولا محيد عنه. فانصب هدف بطون قريش على مسامحة الهاشميين بالنبوة والإقرار بتفوق الهاشميين بها وحدهم دون أن يشاركهم بها أحد، مقابل أن تأخذ بطون قريش الخلافة وتتداولها في ما بينها، ولا مانع من خروج الرئاسة منهم إلى غير قريش مؤقتا على أن لا تؤول إلى هاشمي، لأنه إذا آلت لبني هاشم فلن تخرج منهم، ويقع المحظور بجمع الهاشميين للخلافة مع النبوة، لكن وقائع التاريخ أثبتت أن الهاشميين هم الفائزون بأي مواجهة.

التوجيه بموجح لتحقيق الهدف

أدركت قريش أن سر الانتصارات المتوالية للهاشميين على بطون قريش، وسر التميز والتفوق الهاشمي يكمن في وجود

المرجح الذي ساهم بترجيح الكفة الهاشمية على كفة بطون قريش، فالمرجع للهاشميين في صراعهم ضد بطون قريش هو الله الناصر أولا وأسبابه بالترجيح ثانيا، فإجماع قريش على مقاطعة الهاشميين ظلم صارخ أخل بالتوازن، وتزويد الله للهاشميين بالصبر والأخذ بيدهم وتزويدهم بمن يؤيدهم من صفوف بطون قريش ويطلب فك هذا الحصار مرجح أدى لفشل الحصار.

ومؤامرة قريش لقتل النبي إفساد في الأرض وقتل دون سبب يوجب ذلك، ونوم علي بن أبي طالب في فراش النبي ونجاة النبي واستتاره في يثرب سبب مرجح أدى لفشل مؤامرة القتل.

وتجييش بطون قريش الجيوش ومحاربة النبي وملاحقته بلا كلل ولا ملل تماد بالباطل وإصرار عليه، والتفاف الأنصار حول النبي واحتضانه ومحاربتهم إلى جانبه وجانب الهاشميين سبب مرجح أدى لفشل كل الحروب التي شنتها بطون قريش وأسفر عن هزيمة ساحقة أدت في النهاية لانهيار الزعامة المشركة واستسلامها بالكامل.

التكافؤ والفرصة والموضوعية

إذا كان هنالك تكافؤ بالفرص بين رأي قريش وبين رأي بني هاشم، فإن الرأي الهاشمي سيسمو على رأي قريش ويثبت أنه الأصوب والأجدر، وإذا كان هنالك فرصة موضوعية لتقرع الحجة بالحجة، فإن الولي من بعد النبي سيفرغ بحجته الباهرة

حجة غيره، لأن الولي مع القرآن معه بالنص، والحق مع الولي والولي مع الحق بالنص كما أثبتنا، وإذا كانت هنالك مبارزة شريفة بين الولي وبين أي كان، فإن الولي سيفوز، لأنه المنصور بإذن الله، ولكن الولي لا يستطيع أن يخطط في الظلام ولا يمكنه التآمر، ولا يمكنه معصية الله.

المرجع الذي سيهزم الولي والخطة المثلى

اهتدت قريش إلى مفصل الأمور وفيصلها اهتدت إلى الأنصار. إذا استطاعت قريش أن تضمن ولاء الأنصار لموقفها فقد حققت النصر الساحق وتحقيق هدفها، الأعظم بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع الخلافة النبوة، ومنع الولي من أن يكون هو الخليفة، لأنه إذا تولى علي الخلافة فسوف يقترح الحسن ليخلفه من بعده، فالإمام الحسن إمام مسمى من قبل الله وقبل رسوله، ومن له مكانة ابن بنت رسول الله حتى يعترض يوم تسميته، وبالتالي سيكون الخليفة من بعد أبيه، فإذا تولى الحسن الإمامة فسيقترح الحسين إماما من بعده، وليس بإمكان أحد أن يعترض عليه... الخ وهكذا تبقى الأمور بيد أبناء النبي الهاشميين ويجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، فيكون فوزهم على البطون ساحقا.

ووسيلة منع ذلك كله تكمن في المرجع وفي انعدام تكافؤ الفرص، وفي السرعة والحزم:

1 – المرجع الأعظم واقعيا هم الأنصار، فإذا وقفت الأنصار مع علي فقد هزمت قريش وفق موازينها ووقع المحظور، فجمع الهاشميون الخلافة والنبوة، وإذا وقفت الأنصار مع قريش ومع هدفها هذا فإن هزيمة الهاشميين وهزيمة الولي مؤكدة وفق هذه الموازين.

وإذا أمكن تحييد الأنصار فلا يقفوا مع الولي فإن هذا إنجاز، وإمكانية تحقيق هدف قريش واردة بكل الموازين الموضوعية.

2 – النقطة الثانية انعدام تكافؤ الفرص، فإذا وقف الولي على قدم المساواة مع قريش ومع أي زعيم من زعمائها، في فرصة متكافئة، فإن الولي سيغلب وسيقيم الحجة الشرعية على قريش مجتمعة وعلى أي زعيم من زعمائها والمهم بهذه الحالة أن

لا يتكلم معه الزعيم القرشي بصفته الشخصية، ولكن يتكلم معه باسم جمع، باسم المهاجرين، باسم أكثرية الأمة، فإذا فعل الزعيم القرشي ذلك فإمكانية هزيمة الولي وفق موازينهم واردة.

3 – السرعة القصوى بحيث يتم البت بموضوع الخلافة خلال فترة انشغال العترة الطاهرة بتجهيز النبي ودفنه، فلا يحضر منهم أحد على الاطلاق ويتم تنصيب الخليفة بغيابهم كلهم، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر ولا مبرر للاعتراض إلا الفتنة ومواجهة دولة حقيقية لها رئيسها ونائبها وجيشها، وهم أتباع الخليفة الجديد ومبايعوه.

اجتماع السقيفة

مات النبي (ص)، غاب القمر المنير الذي أضاء الوجود بنوره، وشاع الخبر، وهرع سكان العاصمة وتجمعوا في بيت النبي وأحاطوا به يبكون نبيهم ووليهم وإمامهم الأعظم، والآل الكرام وعلى رأسهم الولي والخليفة بعد النبي منصرفون كلهم وبكليتهم إلى مصابهم الذي لا مصاب مثله، ومشغولون بتجهيز النبي لمواراته في ضريحه الأقدس.

في هذا الوقت بالذات انعقد الاجتماع في سقيفة بني ساعدة.

أسئلة بدون أجوبة

لماذا انعقد هذا الاجتماع بهذا الوقت بالذات ؟ ومن الذي دعا إليه ؟ وكيف أمكن عقده بهذا الوقت بالذات ؟ ومتى بدأ التحضير له ؟ ومن حضره على وجه اليقين من الأنصار ؟ فالسقيفة لا تتسع لكل الأنصار، وقسم كبير منهم كان بحكم المنطق في بيت النبي أو متحلقا حوله ؟ لأن من المستحيل أن يغيبوا كلهم عن النبي دفعة واحدة ؟

ومن الذي بدأ بالتحضير لهذا الاجتماع ؟ وكم استغرق التحضير له ؟ ولماذا لم يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين إلا عمر بالذات ؟ ومن الذي أخبره ؟ لأن عمر لم يكن في بيت النبي ولا مع المتحلقين حوله، إنما كان في مكان ما وهو يعلم أن أبا بكر في منزل النبي بالضرورة، فأتى عمر فأرسل إلى أبي بكر: أن أخرج إلي فأرسل إليه: إني منشغل، فأرسل إليه: أنه حدث أمر لا بد من حضورك، فخرج أبو بكر إليه فقال:

أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر

سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير، فمضيا مسرعين، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا

إليهم ثلاثتهم [1].

من الذي أتى بالخبر

يقول الطوي: إن أول من سمع خبر " اجتماع الأنصار هو عمر " [2]، وفي رواية أخرى: " أبا بكر بلغه الخبر " [3]، وفي رواية ابن هشام " فأتى آت إلى أبي بكر وعمر ". أما من هو هذا الذي أتى بالخبر ؟ فلا أحد يعرفه على الاطلاق لأن اسم هذا المخبر ضاع [4].

اثنان من الأنصار

عندما سار الثلاثة باتجاه السقيفة وجدا عويم بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي [5] وهما من صفوة الأنصار، وفي رواية ثانية للطوي: فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة، وهما صحابيان قد شهدا بدرا.

وفي رواية أنهما قالا للثلاثة: إرجعوا واقضوا أمركم بينكم، وفي رواية ثانية:

إرجعوا فإنه لن يكون ما تريدون.

الملفت للانتباه: أنهما من الأنصار وشهدا بدرا، ومع هذا لم يحضرا اجتماع السقيفة، ولا كانا متوجهين إليه مع علمهم بالاجتماع، إنما كان اتجاه مسيرهما معاكس لاتجاه مسير الثلاثة، فقد تبادل الاثنان الحديث مع الثلاثة المهاجرين ومضى كل نفر في دربه. لأن لم يشر أحد أن الخمسة ساروا معا باتجاه اجتماع السقيفة. ثم مضمون الحوار فمرة قالوا للثلاثة: إرجعوا واقضوا أمركم بينكم، بمعنى أنه لا علاقة للأنصار بهذا الأمر، ومرة أخرى قالا: إنه لن يكون الذي تريدون بمعنى أن الأنصار

---

(1) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 219 (2) تاريخ الطبري ج 3 ص 219.

(3) تاريخ الطوي.

(4) نظام الحكم للقاسمي ص 126.

(5) تاريخ الطوي ج 3 ص 206.

لن توليكم. فأي الروايتين أولى بالتصديق ؟.

الفصل العاشر

تحليل موضوعي ونفي الصدفة

[1]

هنالك إجماع بين مؤرخي أهل السنة بأن أول من سمع بخبر الاجتماع هو عمر ، وفي رواية أخرى له أن أبا بكر بلغه الخبر [2] . وبلوغ الخبر لأبي بكر لا ينفي كون عمر هو أول من سمع الخبر وفي رواية ابن هشام: " فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال... " [3] ثم إنه لا أحد يعرف اسم الذي أتى بالخبر لحد الآن!! إنه ليس صدفة إن يضيع اسم المخبر، مع أن هذا المخبر شخص بارز في المجتمع لأنه يعلم ما يدور في الخفاء،ولأنه أخبر عمر وأبا بكر، ومما يدل على بروز هذا الشخص أن عمر وأبا بكر أصغيا إليه وصدقاه وكلماه، فمخبر بهذا الوزن لأمر بهذه الأهمية لا يمكن أن يضيع اسمه إن وجد، مما يلقي ظلالا من الشك على وجود حقيقي لمثل هذا المخبر.

ثم إنه ليس صدفة أن تجتمع الأنصار وهم الأغلبية الساحقة من سكان العاصمة " المدينة "ولا يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين كلهم إلا عمر وحده! ثم لماذا ينادي عمر أبا بكر وحده ولا ينادي غيره من المهاجرين مع أن المهاجرين كلهم يلقون نظرة الوداع على نبيهم وإمامهم ويشاركون الآل الكرام مصابهم الفادح ؟وهذا ليس صدفة أيضا، ثم أين كان الفاروق الذي لم تتحمله رجلاه عندما سمع بخبر وفاة النبي وتوعد بالموت وتقطيع أطراف من زعم موت النبي [4] ؟ ولما تأكد له الموت من

(1) تاريخ الطبري ج 3 ص 219.

(2) تاريخ الطوي ج 3 ص 201.

(3) ابن هشام ج 2 ص 656.

(4) تاريخ الطوي ج 3 ص 197.

المفترض أنه ذهب إلى بيت نبيه وإمامه ليلقي عليه نظرة وليشارك الأمة مصابها. فإذا ذهب إلى بيت نبيه ورئيسه فكيف جاءه الخبر من دون الناس ؟ ومن الذي أتاه بهذا الخبر وكيف اهتدى إليه من بين الألوف المتواجدين في البيت المبارك أو حوله ؟ فمن المؤكد أن هذا ليس صدفة.

وحول الأنصار أنفسهم، من المؤكد قطعا أن الأنصار لم يجتمعوا جميعا فالذين اشتركوا في بدر هم الخيار، كما ورد بنص الشرع ومن غير الممكن أن يتم اجتماع الأنصار ولا يحضره البدريون وهم الخيار، فاللذان صادقا المهاجرين الثلاثة هما من أهل بدر ولو كانت غاية الاجتماع اختيار خليفة لحضره هذان البدريان أو على الأقل لما كانا خارج الاجتماع بتلك اللحظة. ثم إن النبي قد فارق الحياة وهو مسجى في بيته الطاهر، فهل يعقل أن يتركه الأنصار ولا يذهب منهم أحد لإلقاء نظرة الوداع عليه بالوقت الذي تتأهب فيه العترة الطاهرة لمواراته في ضريحه المقدس ؟ هذا أمر لا يمكن تصديقه إلا بحكم التقليد الأعمى، ثم إن الأنصار على فرض اجتماعهم كلهم من أجل انتخاب خليفة عرفوا أحكام الشرع وعرفوا أن محمدا من قريش، وأن الأئمة من قريش، وعرفوا الأحكام الواردة في أهل بيت النبوة، وشهدوا تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي في غدير خم وأوصاهم النبي بعلي وبأهل بيته وخاطبهم مجتمعين ذات مرة قائلا لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز

وجل [1] . فكيف ينسون هذا النص أو يتناسونه جميعا ؟ كيف ينسون قضية التنصيب، وما هي علاقتهم بشعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة "، فهم ليسوا من قريش ولا مصلحة لهم بإبعاد آل محمد، كيف ينسون قوله (ص) عن علي: إنه وليكم بعدي، وإنه مولى

(1) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص 170 تحقيق أبي الفضل وحلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص 63 ومجمع الزوائد ج 9 ص 132 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 210 وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 313 وكنز العمال ج 15 ص 126 والرياض النضرة للطبري ج 2 ص 233 وفضائل الخمسة ج 2 ص 98 ومطالب السؤول لابن طلحة ج 1 ص 60 وفرائد السمطين ج 1 ص 197 ح 154.

كل مؤمن ومؤمنة بعده... الخ، ما هي مصلحتهم بتجاهل هذه النصوص الواضحة القاطعة وأمثالها ؟ فالأنصار لم تجتمع لاختيار خليفة منها، وهذا أمر عسير تصديقه بكل الموازين لأن الأنصار يعرفون الولي ويعرفون الخليفة، بدليل أنهم وفي غياب علي وعندما أدركوا أن الأمر سيفلت من أيديهم قالوا: " لا نبايع إلا عليا "، وفي رواية قال بعض الأنصار: " لا نبايع إلا عليا " [1] ، مما يدل على أن بعض الموجودين أرادوا مبايعة غيره إن صدقت الرواية الثانية، لكن من المؤكد أن إحدى الروايتين صادقة، وعندما غلب الأنصار على أمرهم وراجعتهم فاطمة الزهراء عليها السلام طالبة النصرة فكانوا يقولون لها: يا بنت رسول الله – قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانة ؟

فتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم ومطالبهم [2] .

وبشير بن سعد – الذي خرج عن إجماع الأنصار وكان أول من بايع أبا بكر – لما سمع حجة الإمام واحتجاجه قال مخاطبا عليا: " لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان " [3] .

من كان هذا تفكيرهم لا يعقل أن يعقدوا اجتماعا بقصد انتخاب خليفة للنبي في غياب الولي الذي نصبه النبي وليا لهم من بعده أمام أعينهم في غدير خم وقدموا بأنفسهم له التهاني، وسمعوا النبي مرات ومرات وهو يقول لهم: إنه وليكم من بعدي، وإنه مولى كل مؤمن ومؤمنة بعدي.

ثم إن سعد بن عبادة الصحابي الجليل وسيد الخزرج وصاحب المواقف التي لا تعرف المهادنة أكبر من أن يقبل الخلافة من بعده في وجود الولي وأهل بيته وشيوخ

(1) راجع على سبيل المثال ج 3 ص 198 والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 8 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص 266.

(2) راجع الإمامة والسياسة ص 12.

(3) الإمامة والسياسة ص 12 و ص 8.

المهاجرين، ثم إنه كان مريضا بالإجماع ولا يقوى على النهوض، ولو كان قادرا على النهوض لما ترك وليه ونبيه دون أن

يلقي عليه نظرة الوداع. ومن المؤكد أن منزل سعد ملتصق بهذا المكان حيث حملوه فأدخلوه داره كما يروي ابن قتيبة، ومن الممكن أن هذه المجموعة من الأنصار كانوا من عواده وأخبروه بموت النبي، وليس من المستبعد أن يكون قد جرى حوار هادئ بين المجتمعين، ومن الممكن جدا أن يكون هذا الحوار قد تناول عصر ما بعد النبي (ص).

دخول المهاجرين الثلاثة

أخذ الاجتماع طابعا خاصا بدخول المهاجرين الثلاثة ومن الطبيعي أن الحديث سينقطع بعد دخول هؤلاء المهاجرين، من الذي بدأ الحديث ؟ من الذي فتح المناقشة بعد دخولهم ؟ لا أحد في الدنيا من أهل الملة يعرفه على وجه التحديد، لكن الفاروق يتصور أن هؤلاء يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغتصبونا الأمر [1]، وأن الفاروق نفسه كان يتوقع قدوم جدد وانضمامهم إلى هذا الاجتماع. وأقبلت أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول: " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر " [2] بمعنى أنه يعلم اسم مؤيده سلفا.

وأسلم بطن كبير من بطون الأنصار كثير العدد كما يبدو، ومع هذا لم يكونوا في الاجتماع هذا، مما يؤكد أن اجتماع الأنصار لم يكن له طابع سياسي أبدا، ثم قول الفاروق: " فأيقنت بالنصر " النصر على من ؟ والنصر بماذا ؟ وكل هذا يؤكد المهمة التوجيهية التي فوضت على الأنصار بالمعنى الذي نوهنا عنه آنفا.

الغاية من قدوم المهاجرين الثلاثة

كان الهدف من ذهاب المهاجرين الثلاثة إلى الأنصار هو بالتحديد تنصيب خليفة للنبي وذلك بغياب قريش كلها، فرأي قريش هو عينه رأي الثلاثة، وهو ينصب بالدرجة الأولى والأخيرة على عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين الخلافة والنبوة،

---

(1) تاريخ الطبري ج 3 ص 201 - 218.

(2) الطوي ج 3 ص 222.

وبهذه الحالة فلا داعي لوجود قريش لأنها ممثلة بهؤلاء الثالثة أو على الأقل ممثلة بعمر المؤمن إيمانا تاما بهذه المقولة، والغاية أيضا أن يجري تنصيب الخليفة في غياب العترة الطاهرة كلها وخاصة عميدها علي بن أبي طالب، لأنه إن حضرت العترة الطاهرة أو حضر العميد تتغير حتما النتائج ويقيم الحجة عليهم ويقنع الأنصار. فإذا غابت العترة الطاهرة وغاب عميدها، فمن المؤكد أن الجو سيصفو لهم ويتمكنوا من تعيين أحدهم خليفة، فيبايعه مؤيدوهم من الأنصار، وإذا بايع أناس من الأوس فبالضرورة ستبايع الخزرج حتى تتقاسم المجموعتان هذا الشرف. وعندما يتم ذلك تواجه العترة الطاهرة ويواجه عميدها بمرجع وهو بيعة الأنصار، وإذا بايعت الأنصار فلن ترجع عن بيعتها. وأي مواجهة من العميد أو من العترة لن تكون بين علي وأبي بكر أو بين علي وعمر، أو بين علي وأبي عبيدة كأشخاص، إنما تكون مواجهة بين خليفة حاكم وأحد رعاياه أو بين أحد نائبي الخليفة وأحد الرعايا المحكومين للدولة، وهي مواجهة معروفة النتائج. فبمواجهة منطقية متكافئة لا قوة للفاروق على الولي، لأن الولي باب الحكمة اللدنية، وبمواجهة متكافئة بين الفاروق والولي فإن الولي سيحسمها على مستوى القوة، لأن أفعال الفاروق بالقتال ليست كأفعال الولي، ففي معركة الخندق مثلا نادى عمرو بن ود حتى بح صوته والصحابة ومنهم الفاروق يسمعون ولم يقوى على التصدي إلا الولي. لكن عندما يكون الفاروق نائبا للخليفة فلا داعي ليواجه الولي بنفسه إنما يرسل له سرية مجتمعة وتجر الولي إلى الفاروق جرا كما حدث فعلا.

والوقت الذي اختاره الثلاثة لتنصيب الخليفة ملائم جدا لهدفهم، وهو وقت تجهيز النبي والإعداد لمواراته في ضريحه، وهذا هو الوقت المثالي لتنصيب الخليفة في غياب العترة الطاهرة وغياب عميدها، فهم منصرفون بكليتهم إلى مصابهم وذاهلون حتى عن أنفسهم بهذه الفاجعة الأليمة، بل إن المسلمين أنفسهم في حالة ذهول وبالتالي هذا هو الوقت المناسب لتنصيب خليفة بالصورة التي تتمناها بطون قريش.

ثم إن اختيار الأنصار بالذات للترجيح اختيار موفق ودقيق، فغاية بطون قريش أن لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، وهذه البطون لا تحفظ لها على أي شخص

إذا لم يكن هاشميا، فمعارضة قريش غير واردة، فأول من بايع الخليفة هو عثمان الأموي ومن معه من بني أمية، ثم سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة [1]. ولفهم دقة الاختيار لو أن قريش كلها بايعت أبا بكر ولم يبايعه الأنصار لما كان لبيعة قريش أدنى قيمة واقعية ولأمكن الإمام في ما بعد أن يقيم الحجة على قريش وأن يرجح كفته بالأنصار. ومن هنا فلا معنى لتحضير قريش لأنها فريق والثلاثة يقومون مقامها ويحققون أهدافها.

وهكذا ولأول مرة في التاريخ بقيت العترة الطاهرة خاصة والهاشميون عامة بدون مرجح واقعي يضمن لهم الفوز على بطون قريش، بعد أن تمكن الثلاثة من الانفراد بالأنصار والتعبير عن ضمير البطون القرشية، واستبعاد الهاشميين بالكامل عن الخلافة والولاية والأعمال فيما بعد.

ومن هنا نفهم سر أسلوب عمر بأخذ بيعة المهاجرين والعترة الطاهرة وعميدها بعد خروج الثلاثة من السقيفة: كان الناس

في المسجد الشريف مجتمعين، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الأنصار أبا بكر، قال لهم عمر:

ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار. فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا وقام سعد و عبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا. وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهم من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام، فذهب إليهم عمر في عصابة، فقالوا: انطلقوا فبايعوا أبا بكر، فأبوا.....

أنظر إلى لهجة الفاروق وأسلوبه بأخذ البيعة.....

في السقيفة

الجالسون في السقيفة مجرد جماعة من جماعات الأنصار وليسوا كل الأنصار ولا نصفهم ولا ثلثهم ولا ربعهم ولا حتى عشرهم، لأن الأكثرية الساحقة من سكان المدينة من الأنصار، والقسم الأكبر منهم كان في بيت النبي أو حوله بالعقل

(1) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 11

والضرورة وحتى الذين شاهدوا سعد بن عبادة ومن حوله لم ينضموا إليهم " الرجلان الصالحان " اللذان شهدا بدرا وهما عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة برواية للطوي، وبرواية أخرى عويم بن ساعدة ومعن بن عدي [1] ، فلو كان اجتماعا للأنصار لما تركاه، ثم إن أسلم " التي أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السلك " لم تكن موجودة ويبدو أن عمر كان يتوقع قدومها وموقن من تأييدها بدليل قوله: " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت النصر "، هؤلاء جاءوا بعد المبايعة مما يدل على أن موضوع اختيار الخليفة من بعد النبي ولد بقدوم المهاجرين الثلاثة وفوضه المهاجرون الثلاثة.

لأن الذي جاء بخبر اجتماع الأنصار مازال مجهولا للآن ولا يعلم به أحد، ولأن الذي فتح المناظرة بعد قدوم المهاجرين الثلاثة مازال مجهولا، فعندما يدخل هؤلاء المهاجرون لا بد أن يطرحوا السلام ولا بد من تكلم بعد طرح السلام. فمن هو هذا المتكلم الذي فتح المناظرة ؟ إنه تماما كالذي جاء بخبر اجتماع الأنصار ومازال مجهولا، مع أن الذين لهم أدوار أقل من دور ناقل خبر الاجتماع ومن دور فتح باب المناظرة عرفوا. كل هذا يؤكد أن هنالك مقاطع من الحقيقة مقصوصة، وجوانب من الروايات مبتورة بالرغم من تعدد الروايات وتعدد الرواة. والحقيقة أن قصة اجتماع السقيفة صيغت وأرخت تحت إشراف مؤيدي الفاروق والصديق، وتم تناول القصة وطرحها بالطريقة التي لا تثير حفيظة الحكام ولا تستفز المؤيدين والتي تصور هؤلاء الثلاثة كرواد وكأبطال لقصة تاريخية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تعدد الروايات ومضامين هذه الروايات وتناقضها مع بعضها أحيانا فما قاله " الصالحان البدريان " ورد مضمونه بروايتين متناقضتين مثلا [2] ، وسعد بن عبادة يصور في رواية كطالب للخلافة ومنافس عنيد للثلاثة يثير غضب الجموع وتوشك أن تقتله بل ويقال:

اقتلوه قتله الله [3] ، ويصور في رواية ثانية كرجل أقام الفاروق عليه الحجة فسكن واقتنع وبايع [4] ، ولا نرى تمردا من الحباب أو من غيره، لأن الأمور استقرت في

(1) تاريخ الطبري ج 3 ص 205 - 206.

(2) تاريخ الطوي ج 3 ص 205.

(3) الإمامة والسياسة ص 10.

(4) تاريخ الطوي ج 3 ص 203.

مكانها الصحيح..... الخ.

أعظم ثورة فكرية إنسانية

لو أن المهاجرين الثلاثة شركوا العترة الطاهرة والمسلمين في تجهيز النبي لمواراته في ضريحه المقدس وبعد مواراته اتجهت جموع المشيعين إلى المسجد فأدت الصلاة المفروضة بإمامة مولى الثلاثة ومولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الثلاثة، وبعد أن فرغت من صلاتها قام كل واحد من هؤلاء الثلاثة فتكلم بما يحلو له، ويبين تصوره وطرح فكره، وأتيحت الفرصة ليقول كل ذي رأي رأيه. وبعد ذلك قام الولي ببيان رأيه وحكم الشرع في كل الآراء المطروحة باعتباره هو الهادي بنص الشرع، وهو المبين للأمة بعد النبي كل أمر تختلف عليه بنص الشرع، والأنصار وجموع المسلمين يسمعون كل ذلك ويعونه ويقومون بدور الموجح ثم يبايعون الإمام الذي أرادهم الله بالنص أن يبايعوه، لو حدث ذلك لكانت ثمرة هذه المناظرة أعظم ثورة فكرية إنسانية على الاطلاق ولتغير مجرى التاريخ تماما، ولأمكن تطبيق النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده، ولأمكن من خلاله انتشال الجنس البشري كله وتكوين الدولة العالمية التي تحكم الكرة الأرضية وفق أحكام الشرع.

تلك أمنية، ما تحققت لأننا تركنا النص واجتهدنا، وأمة تترك النصوص الشرعية وتعمل باجتهادها أمة هالكة لا محالة وذائقة وبال أمرها خزاء وفاقا لتبديلها نعمة الله وهدايته وتأويلها للواضحات من أوامر الله لا لشئ إلا ليتوافق هذا التأويل مع ما تهوى الأنفس.

الحجج الشرعية لأطراف السقيفة

عاجلا أم آجلا سيكتشف الباحثون أن لقاء جماعة من الأنصار مع سعد بن عبادة هو لقاء عادي من كل الوجوه، وليس له أي طابع سياسي، وإن جرى فيه حديث سياسي فما هو إلا مجرد تبادل بوجهات النظر بين أناس اجتمعوا عند مريض.

لكن الذي أعطى لقاء هذه الجماعة هذا الطابع السياسي والتأسيسي هو قدوم المهاجرين الثلاثة، لقد حوله هؤلاء المهاجرون إلى لقاء سياسي وتأسيسي اتخذوه أساسا لتنصيب الخليفة من بعد النبي بالصورة التي أرادوها. وطالما أن هذا اللقاء

أصبح سياسيا وتأسيسيا فما هي الحجج الشرعية التي طرحت فيه، حتى فاز بموجبها من فاز ؟.

حجة المتواجدين من الأنصار

لم تكن غاية المتواجدين من الأنصار أن ينصبوا خليفة منهم كما يحلو للرواة التركيز على ذلك، لأن كل الأنصار تعلم أن الخلافة ليست فيهم ومن غير الوارد أن يبدلوا جميعا عهد الله وعهد رسوله والنبي لم يدفن بعد. وهم يعلمون أيضا أن النبي قد نصب الولي من بعده، وأن التهاني قد قدمت لهذا الولي حال حياة النبي (ص) وكل مسلم على الاطلاق بما فيه الثلاثة يعلمون أن عليا مولى المؤمنين ووليهم مجتمعين من بعد النبي ومولى وولي كل مؤمن ومؤمنة على انفراد بما فيهم الثلاثة المهاجرين. وبالتالي وحيث أن المتواجدين لا غاية لهم ولا مطمع بتنصيب خليفة منهم ولم يطرح ذلك أصلا قبل حضور الثلاثة فمن الطبيعي أن لا تكون لهم حجة بذلك، والحجج المنسوبة إليهم لا تخلو من روح المواءمة والتسوية ومن مستلزمات إخراج القصة وتتويج أبطالها، وتبرير ما فعلوه، ثم تداولت الأمة هذه القصة تحت إشراف الأبطال وبالكيفية التي أقروها وتداولتها وسائل الإعلام الرسمية، وأهملت الروايات المتناقضة معها ثم أخذتها الأجيال اللاحقة كحقيقة مكرسة رسميا وشعبيا ونقرت واستنكرت من كل ما يعيبها باعتباره خارجا على إجماع الأمة.

غاية المهاجرين الثلاثة

المقاصد الحقيقية للثلاثة هي:

أن ينصبوا خليفة من بعد النبي، وبهذا الوقت بالذات وفي غياب العترة الطاهرة، وأثناء انشغال الجميع بتجهيز النبي ودفنه، وأن يحصلوا على بيعة من حضر، فإذا بايعهم أناس من الأوس، فبالضرورة سيبايع الحاضرون من الخزرج حتى لا ينال الأوس الشرف وحده. وتصبح للمبايعين مصلحة بتثبيت الخليفة الجديد، فيخرج من يبايعه الحاضرون كخليفة، ويخرج المهاجران الاثنان كنائبين للخليفة وخلف الثلاثة يسير الذين بايعوا الخليفة كجيش له يأتمر بأمره، ومن يتصدى لمن بايعوه أو يعارضه فإنه لا يعارض شخصا عاديا، إنما يعارض خليفة النبي، ويخرج

عن طاعة ولي أمرها، ومن يفعل ذلك فلا غضاضة على الخليفة لو قتله حتى قتلا باعتباره خارجا على الجماعة وشاقا لعصا الطاعة، وطامع بالسلطة وحريص عليها وموقف الشرع واضح: " لا نولي هذا الأمر من طلبه..... الخ "وهذا ما حدث بالضبط.

ما هي الحجة الشرعية لهؤلاء الثلاثة

بماذا احتج هؤلاء الثلاثة حتى أعطتهم الأنصار المقادة ؟وهل كانت حجتهم شرعية فعلا ؟ بمعنى أن لها وجودا في الشرع ؟ احتج أبو بكر وعمر بالقرابة من النبي وأن أقارب النبي هم أولى بسلطانه.

ملخص حجة أبي بكر التي احتج بها على من حضر من الأنصار

قال أبو بكر: " فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، والناس تبع لنا، ونحن عشيرة رسول الله، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة ".

ملخص حجة عمر التي احتج بها على من حضر من الأنصار

" إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيها وأولو الأمر منهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أوليائه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة " [1].

جواب الأنصار

قالت الأنصار: " لا نبايع إلا عليا ". قال بعض الأنصار: " لا نبايع إلا عليا " [2] حدث هذا وعلي غائب بإجماع الأمة، فكيف لو كان حاضرا

---

(1) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص 6.

(2) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 198 وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 2 ص 265.

لهذا الاجتماع ؟.

تمن وتبرير

لو أن الثلاثة المهاجرين قبلوا خلافة علي لما حدث أي إشكال ولسار النظام السياسي الإسلامي سويا طبيعيا، ولكن يتعذر عليهم ذلك فلا يجوز أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة، فقد أخذوا النبوة وهي لهم خالصة لا يشركهم بها أحد، ويجب أن تكون الخلافة لبطون قريش خالصة لا يشركهم بها هاشمي قط.

الخليفة واحد من ثلاثة

تجاهل الثلاثة قول الأنصار " لا نبايع إلا عليا "، وقال أبو بكر: " إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم ". فقال عمر: " معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا..... أبسط يدك أبايعك ".

أول من بايع

لما رأى بشير بن سعد أن المهاجرين الثلاثة لم يقبلوا ولاية علي أدرك أن البيعة واقعة لا محالة، فأراد أن يكون له السبق فقال: " إن محمدا رسول الله رجل من قريش وقومه أحق بميراثه، وتولي سلطانه..... " ثم قفز وكان أول من بايع أبا بكر. [1]

ويجدر بالذكر أن بشوا هذا هو ثاني اثنين من الأنصار وقفا مع معاوية ضد علي فيما بعد.

تنصيب الخليفة ومبايعته

لمارأت الأوس موقف سعد بن عبادة سيد الخزرج ورأت موقف المهاجرين الثلاثة وما آلت إليه الأمور أدرك أسيد بن حضير أن أبا بكر سيكون الخليفة فقال لجماعته: قوموا بايعوا أبا بكر ففعلت الأوس ذلك، وحتى ينال الخزرج جزءا من هذا الشرف ولا يأخذه الأوس وحدهم بايع أكثرية من حضر.

(1) راجع في كل ما تقدم الإمامة والسياسة ص 8 - 9.

المكافأة

أصبح بشير بن سعد من أقرب مستشاري الخليفة ونائبيه، فهو نفسه الذي أشار على أبي بكر وعمر بعدم قتل سعد بن عبادة، وأصبح أسيد بن حضير قائد قوى الأمن الداخلي – إن صح التعبير – فهو نفسه الذي ساعد عمر بقيادة السرية التي ذهبت لتطويع بني هاشم والزبير والممتنعين عن البيعة وأخرجتهم بالقوة، يساعده في ذلك سلمة بن أسلم [1].

شروع الخبر والمبايعة

أقبل الخليفة وأبو عبيدة وعمر، وقد بايع الصديق من بايع، وكان الناس مجتمعين في المسجد الشريف فصاح بهم عمر: ما لي أراكم حلقا شتى، قوموا بايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا... ومن الطبيعي أن من كان في المسجد من الأنصار بايعوا أيضا عندما أشيع أن الأنصار قد بايعت، خاصة وهم يرون بشير بن سعد، وأسيد بن حضير، وسلمة بن أسلم يتصرفون وكأنهم جزء من السلطة الجديدة.....

أما علي والعباس ومن معهم من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام، مما اضطر نائب الخليفة أن يتحرك بسرية من المؤيدين فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم ويذهبوا لإخراجهم للبيعة بالقوة ولو استدعى الأمر أن يحرقوا بيت فاطمة بنت محمد الذي اجتمعوا فيه. ولكن الله سلم وخرجوا لما شاهدوا الحطب وأدركوا عزم عمر على إحراق بيت فاطمة فبايعوا. وقد أثبتنا حادثة التحريق أكثر من مرة ولا عجب في ذلك، فإن فاطمة ليست أعظم من أبيها محمد رسول الله ومع هذا حيل بينه وبين كتابة ما يريد وقيل عنه حاشا له: " هجر استفهموه إنه يهجر " كما وثقنا ذلك.

(1) راجع الإمامة والسياسة ص 9 وما فوق.

المواجهة الغير متكافئة بين الولي والسلطة الجديدة

الولي من بعد النبي قد جرد من كل سلطاته، وأتي به إلى أبي بكر بالقوة وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله) وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الأمارة وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا تبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

كلام الولي هذا لا يستحق حتى رد السلطة، فقال له عمر على الفور: إنك لست متروكا حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا، ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا ابن عم إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور رأى أبا بكر أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واضطلاعا به فسلم لأبي بكر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال علي عليه السلام: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ولا تدافعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أولى بهذا الأمر ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، والمدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى،

فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا.

حكم لأول من بايع

من الطبيعي أن السلطة لا تملك ردا على حجة الإمام لأنها قاطعة، وكان بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر حاضرا لمواجهة الإمام المنطقية مع السلطة، فقال لعلي في حضرة أركان السلطة الجديدة: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان [1].

تحرك

خرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة عليها السلام على دابة ليلا في مجالس الأنصار يسألهم النصرة، فكانوا يقولون: قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم. [2] وأدرك الإمام أن الأمة قد غدرت به كما يبين رسول الله (ص).

إذلال الولي وتهديده بالقتل إن لم يبايع

هددت السلطة – كما أسلفنا – بحرق بيت فاطمة على من فيها إن لم يخرج المتعاطفون مع الولي، فقيل لعمر: إن في البيت فاطمة، فقال: وإن. وأترك المتواجدون في بيت علي أن عمر جاد في عزمه على حرق بيت فاطمة فخرجوا فبايعوا بالقوة، إلا عليا صاحب البيت، فوقفت فاطمة على باب بيتها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا... وأرسل أبو بكر من يدعو عليا وعلي يرفض، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب

---

(1) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص 11 - 12.

(2) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص 11 – 12.

وابن أبي قحافة ؟ فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتفطر. إلا أن عمر القوي الذي لا يعرف اللين ولا تأخذه في الحق لومة لائم بقي ومعه قوم فأخرجوا عليا فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا: بايع، فقال: إن لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. قال علي: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا (أخوة النبي لعلي ثابتة). فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال: لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمة إلى جانبه. فلحق علي بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي: " يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ".

محاولة لاسترضاء الزهراء

بعد إلحاح تمكن الفاروق والصديق من مقابلة الزهراء، فقالت لهما:

نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: "رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ". قالا: نعم سمعناه. قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه. فأخذ أبو بكر ينتحب وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكيا [1].

أبو بكر يهم بالتنازل عن الخلافة

فاجتمع الناس إليه لما خرج فقال لهم: " يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه. لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني ببيعتي ".

ومن الطبيعي أن من حوله سيرفضون ذلك ويعللون هذا الرفض تعليلا شرعيا [2].

(1) راجع فيما تقدم الإمامة والسياسة ص 12 - 13.

(2) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص 11 وما فوق وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

الموقف النهائي للولي

لقد استقر الأمر للسلطة الجديدة، وأصبح الولي مجرد مواطن عادي لا حق له على أحد، إن شاءت السلطة قربته منها وإن شاءت أبعدته عنها، فهي صاحبة الحق الواقعي بذلك بحكم الغلبة، لقد ضاعت الخلافة منه مع أنها حق خالص من الله ورسوله له. واستمراره بالمعارضة قد يؤدي لقتله، ومبررات القتل كثيرة فيمكن أن يسند له جرم شق عصا الطاعة والخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله..... الخ.

ثم إنه لا أحد معه إلا أهل بيته، وهو يصف حاله بتلك الفترة فيقول:

" ونظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى وشربت على الشجا وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم " [2].

وقال يوما " فجزت قريش عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي (فهو مؤمن أن الحق له) [2]، وأجمعوا على منازعتي أمر هو لي.... وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، بل أنتم والله الأحرص، وإنما طلبت حقا لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض رسول الله حتى يومنا هذا " [3].

ولم يكن أمامه إلا الاحتفاظ بحقه في الخلافة والاحتجاج على من عدل عنه بها على وجه لا تشق بها للمسلمين عصا، ولا تقع بينهم فتنة ينتهزها عدوهم، فقعد في بيته حتى أخرجوه كرها، ولو أسرع إليهم ما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان، لكنه جمع بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين، وحين رأى أن حفظ الإسلام ورد عادية أعدائه موقوف في تلك الأيام على الموادعة والمسالمة شق بنفسه طريق الموادعة وآثر مسالمة القائمين في الأمر احتفاظا بالأمة واحتياطا على الملة

(1) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج 1 ص 62.

(2) راجع شرح النهج ج 3 ص 67.

(3) راجع شرح النهج ج 2 ص 103 و ص 37 ج 1 ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 135.

وضنا بالدين وإيثارا للعاجلة على الآجلة وقياما بالواجب شرعا وعقلا من تقديم الأهم في قيام التعارض على المهم [1].

سر كراهية قريش لولاية علي

مكمن السر في التربية السياسية القريشية القائمة على اقتسام البطون القريشية لمناصب الشرف في الجاهلية بحيث يختص كل بطن بنصيب ما من هذه " الشركة " التي لا غنى عن وجودها، فجاءت النبوة الهاشمية فنسفت صيغة قريش السياسية، واختص الهاشميون بالنبوة بحكم القدر الذي لا مفر منه ولا محيد عنه رغم كفاح بطون قريش المرير لإبطال هذه النبوة، فحاز الهاشميون شرف النبوة وحدهم ولم يشركهم بهذا الشرف أحد وحال حياة النبي نصب عليا بن أبي طالب ليكون الولي والخليفة من بعده بأمر من ربه، لأن عليا هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب والأقدر على قيادة سفينة الإسلام

الخوف من وقوع المحظور

فإذا تمت مبايعة علي كخليفة من بعد النبي، فمعنى ذلك أن الهاشميين قد جمعوا الخلافة مع النبوة وذهبوا بالشرف كله، ولم يتركوا لبطون قريش شيئا من هذا الشرف، وهذا أمر لا يمكن قبوله بكل الموازين، ولا يمكن التسليم له بأي ثمن، فقد دخلت قريش بالإسلام، والإسلام سلوى بينها، والإسلام يجب ما قبله، فما الداعي لاستئثار الهاشميين بالسبق والتمييز والانفراد ؟

القسمة العادلة

لقد أخذ الهاشميون النبوة واختصوا بها وحدهم ولم يشركهم بها أحد من بطون قريش، ولن يشركهم بها أحد مستقبلا، وهذا شرف ما بعده شرف. والهاشميون والبطون أخوه.

---

(1) المراجعات للإمام شرف الدين العاصمي ص 332 - 334 وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص 33 وما فوق

فما هو الغلط إذا اختصت بطون قريش بالخلافة وحدها ولم يشركها أحد من بني هاشم بهذا الشرف ؟ إن هذه القسمة هي الحل وهي أقرب الحلول للعدل.

للهاشميين النبوة وحدهم ولا يشركهم بها أحد من البطون، والخلافة لبطون قريش تتداولها بينها ولا يشركهم بها أي هاشمي.

بطون قريش تتصرف كفريق واحد

ومن هنا فإن كافة بطون قريش تصرفت طوال التاريخ كفريق واحد لا فرق بين بطن وبطن طالما أن للجميع هدف واحد وهو منع الهاشميين من الجمع بين الخلافة والنبوة.

ففي سقيفة بني ساعدة قال أبو بكر مخاطبا الحاضرين من الأنصار: " إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم منهما "، فقال عمر: " معاذ الله أن يكون ذلك، وأنت بين أظهرنا " [1]. ومن الطبيعي أن لأبي عبيدة نفس الموقف، فلا فرق بين الثلاثة فكلهم أخوة وكلهم من قريش، ولكن عندما قالت الأنصار: لا نبايع إلا عليا، رفض الثلاثة هذا العرض مجتمعين [2].

وعندما هم أبو بكر بالتنازل عن الخلافة تصدت له قويش وأبت عليه ذلك، فقويش مجمعة على ذلك. انظر إلى قول الولي: " فجزت قويش عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي " [3] . وقال مرة: " اللهم إني أستعينك على قويش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمرا لي " [4] . ثم إنه عندما أراد أبو بكر أن يستخلف من بعده كتب له الوصية عثمان فقال أبو بكر: أكتب ثم أغمي عليه فكتب عثمان: " إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا "، وعندما أفاق الخليفة من إغماءته قال له

(1) الإمامة والسياسة ص 9 (2) تاريخ الطبري ج 3 ص 198 وشرح النهج ج 2 ص 265.

(3) ج 3 ص 67 من شرح النهج.

(4) راجع شرح النهج ج 2 ص 103 و ج 1 ص 37 من الشرح.

اقرأ.... فقال أبو بكر: " لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها " [1] . فلا فرق على الاطلاق بين عمر وعثمان فكلاهما أخوة ومن نفس الفريق، وقبيل وفاة عمر قال: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقيا استخلفته ووليته، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته، ولو أدركت خالد بن الوليد... ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة...

إنه لا فرق بين أبي عبيدة وخالد فكلاهما من نفس الفريق، ولا يوجد أي خطأ بتولية معاذ بن جبل وهو من الأنصار، وما كان جائزا أن يتولى أنصاري الخلافة لأنها محصورة بمن كانت النبوة فيهم حسب رأي الفاروق آنذاك، وما هو الخطأ بأن يتولى الخلافة رجل من الموالي كسالم مولى أبي حذيفة، المهم أن لا يتولاها علي بالذات أو أي هاشمي. ويوم تشاور الخمسة لأن طلحة كان غائبا، لو لم يكن علي بالصورة لما تعقدت الأمور ولبايعوا عثمان فورا فهو أول من بايع الصديق بعد عمر وأبي عبيدة من المهاجرين، وهو الذي كتب، إني أستخلف عليكم عمر، وهو المرشح الوحيد لخلافة عمر، فقد كان يعرف بالرديف في زمن عمر ومن يدقق بوصية عمر يكتشف بأقل جهد بأن عثمان هو الفائز بكل الحالات.

وعند عودة طلحة أعلن عثمان عن استعداده للتنازل لطلحة إن رغب بذلك، ولم لا فكلهم أخوة، وكلهم فريق، وغايتهم واحدة، وهي عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة. بل ولا مانع من أن يتولى الخلافة عبد الله بن عمر بعد أبيه، بل شاروا على الفاروق بذلك فقالوا له: يا أمير المؤمنين استخلفه إن فيه للخلافة موضعا، فكل قويش فريق ولا فرق بينها على الاطلاق.

(1) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص 429 وسيرة عمر لابن الجوزي ص 37 وتاريخ ابن خلدون ج 2 ص 85.

الفصل الحادي عشر

تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية

لم تكتف بطون قويش بالحيلولة بين علي ورئاسة الدولة الإسلامية بل حومت على أي هاشمي ممارسة أي وظيفة عامة، فأبو بكر لم يستعمل أي هاشمي، وعمر كذلك وعثمان كذلك [1].

قال عبد الرحمن بن عوف: " أبايعك على شرط أن لا تجعل أحدا من بني هاشم على رقاب الناس "، أي عدم توليه هاشمي، فقال علي عند ذلك: " ما لك ولهذا إذا قطعتها في عنقي فإن علي الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم "، قال عبد الرحمن: " لا والله حتى تعطيني هذا الشرط "، قال علي: "والله لا أعطيكه أبدا " [2].

ومعنى ذلك أنه لا يجوز للخليفة أن يستعمل هاشميا حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة وتلك منتهى الصرامة، ولا داعي للتذكير بأن عبد الرحمن نفذ بدقة وصية عمر.

ما هي الغاية من عدم استعمال الهاشمي ؟

الفاروق يجيب على ذلك، فقد هم مرة أن يستعمل ابن عباس ولكنه تردد وأخبر الفاروق ابن عباس بتردده ولما سأله ابن عباس لماذا يخشى منه ويتردد في توليته فقال الفاروق: " يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت – يعني يموت –

---

(1) الإمامة والسياسة ص 24.

(2) الإمامة والسياسة ص 26 – 27.

وأنت على عملك فتقول: هم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم..... " [1].

معنى ذلك أن الفاروق يريد أن يطمئن أنه حتى بعد موته بأن الخلافة لن تؤول لعلي أو لأي هاشمي، وهذا قمة الوفاء لشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة.

روح الخفاء وباحت الأسوار

قسمت بطون قويش قسمة خارجية، فخصصت لبني هاشم النبوة لا يشاركهم بها أحد من هذه البطون. فالنبوة خالصة لبني هاشم أما الخلافة – حسب هذه القسمة – فهي خالصة لبطون قويش مجتمعة تتداولها بينها لا يشاركها فيها هاشمي على الاطلاق. واعتقدت هذه البطون أن هذه القسمة عادلة تماما لذلك قررت بالإجماع أن لا تمكن الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة. ولكنها لا تدري كيف تفعل، هل تجعل هذه القسمة ملزمة للجميع ؟ولا تدري كيف تضع قرارها موضع التنفيذ، لأنها أسلمت متأخرة فتأخرت. وبينما كانت البطون حائرة في أمرها لا تدري ماذا تفعل، برز ابن قويش البار عمر بن الخطاب معبرا عن ضميرها ومتوجما قسمتها، ومنفذا لقرارها ومبررا القسمة وشرعية القرار، فاستحق بحق لقب ابن بطون قويش

البار.

فعمر هو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة ما يريد بحجة أن المرض قد اشتد برسول الله، وأن كتاب الله وحده يكفي ولا حاجة لكتابة الكتاب الذي أراد رسول الله كتابته، وأعوان عمر هم الذين أيدوا رأيه وتطوعوا بتأييد هذا الرأي حتى بلغ بهم التطرف حدا أن قالوا: هجر رسول الله، استفهموا إنه يهجر، وحتى اختلفوا وتنازعوا مع الفريق الذي أيد رسول الله، وما كان لهذا الفريق أبدا أن يقول ما قال لولا ثقته المطلقة بالفاروق ومعرفته اليقينية بمضمون هذا الكتاب. فقد أدرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي (ص) يريد أن يجدد عهوده للولي، فحال بينه وبين كتابة ما

(1) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353 - 454 وقد نقلنا حرفيا هذه القصة في باب المرجعية.

يريد بحجة أن المرض قد اشتد به، فرأى أنه ليس من الصواب أن يكتب النبي وصيته لأن المرض قد اشتد به والفاروق نفسه لا يرى غضاضة من أن يكتب الصديق وصيته عند اشتداد المرض، ولا حرج على الفاروق نفسه لو كتب وصيته عند اشتداد المرض به مع أن المرض قد اشتد به وبالصديق أكثر مما اشتد برسول الله. وحادثة الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد ثابتة لم يختلق بعد الذي سينكرها أو سيقوى على تبريرها، وحادثة وصية الصديق أثناء مرضه، ووصية الفاروق أثناء مرضه ثابتة كطلوع الشمس من المشرق، وهاتان الوصيتان هم أسس نظام الخلافة التاريخي.

تصريح الفاروق بأسباب المنع

حاور الفاروق يوما ابن عباس فقال له: كيف خلفت ابن عمك ؟ قال: فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قال: فقلت: خلفته مع أترابه، قال عمر: لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قال: قلت: خلفته يمتح بالضرب وهو يقرأ القرآن قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شئ من أمر الخلافة ؟ قلت: نعم. قال: أتزعم أن رسول الله نص عليه ؟ قال ابن عباس قلت:

وأريدك: سألت أبي عما يدعي من نص رسول الله (ص) عليه بالخلافة فقال:

صدق. قال عمر: قد كان من رسول الله في أمره ذروا – أي المكان المرتفع – من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا، ولقد كان يربع – يمتحن في أمره – وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته [1].

رأي الفاروق بشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة

قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما: يا ابن عباس، أترى ما منع قومكم منكم بعد محمد (صلى الله عليه وآله)، قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أرى فإن أمير المؤمنين يرى، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا ؟، فاختارت قريش

(1) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة مجلد 3 ص 105 وقد نقلها عن تاريخ بغداد.

لأنفسها فأصابت ووفقت. قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت، قال: تكلم، قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريش اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك:

إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال:

* (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) *.

فقال عمر: هيهات يا ابن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك فتزيل منزلتك مني. فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كانت حقا فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنك تقول: حرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما. قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والعالم، وأما قولك حسدا فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لا يزول.

قال فقلت: مهلا يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [1].

فرط الوفاء لهذا الشعار

لم يكتف الفاروق بالعمل على ترجمة شعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة " إلى واقع وسيادة هذا الشعار في حياته، إنما عمل الفاروق وبكل قواه حتى يسود هذا المبدأ حتى بعد وفاته، فهو حريص كل الحرص على أن لا تؤول رئاسة الدولة الإسلامية لعلي أو لأي هاشمي بعد وفاته مثل حرصه على أن لا يتولى

(1) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 24 آخر سيرة عمر من حوادث سنة 23 وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد 3 ص 107 أخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس وراجع شرح النهج تحقيق أبي الفضل ج 12 ص 52 وراجع تاريخ الطبري ج 4 ص 223 و ج 2 ص 289 وراجع عبد الله بن سبأ للعسكري ج 1 ص 114 وملحق المراجعات ص 262.

أي هاشمي أي عمل من أعمال الدولة الإسلامية حتى ولو كان هذا الهاشمي ذا قوة وذا أمانة. فشرط عدم توليه الهاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة لم يكن من عبد الرحمن بن عوف إنما كان تنفيذا حرفيا لوصية الفاروق وهو على فراش الموت، ونورد ثانية مقاطع من الواقعة التي رواها المسعودي في مروجه:

عندما مات عامل حمص، أرسل عمر إلى ابن عباس وهم بتوليته ثم عدل والسبب كما يذكره الفاروق:

" يا ابن عباس، إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت – يعني موت عمر – وأنت في عملك فتقول: هم إلينا ولا هم إليكم [1]

دون غيركم " .

فالفاروق يريد أن يموت وهو مطمئن البال بأنه أيا من الولاة لن يدعو لبني هاشم ولن يساعد دعوتهم لتوأس الدولة الإسلامية. ومن أجل هذا وضع الشوط " عدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة " كما وثقنا ذلك مرارا. وهذا منتهى الوفاء لشعار " لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة "ولا أحد من البطون يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الوفاء لهذا الشعار، ولم يفرض هذا القيد على أي بطن من بطون المسلمين قط إلا على الهاشميين.

هل أمر الله بهذا الشعار ؟

هذا الشعار جاهلي من كل الوجوه كما أثبتنا مرتين، فما أمر الله به،ولا أمر به رسوله،ولا تقره عقيدة الإسلام لا من قريب ولا من بعيد، بل وهو يتعارض تعارضا كاملا مع النصوص الشرعية القولية والفعلية كالنصوص المتعلقة بتنصيب علي بن أبي طالب وليا من بعد النبي (ص) والتي عرضناها ووثقناها، ويتعارض مع النصوص الواردة بضرورة التمسك بالعترة أهل البيت واعتبارهم أحد الثقلين، وسفينة النجاة وحزب الله، وأمان الأمة من الاختلاف، وأن الشرف والرئاسة لمحمد وآله، ولتأكيد هذه الحقيقة جعل الله الصلاة على محمد وآله ركنا من أركان الصلاة المفروضة، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة فارجع إليه.

---

(1) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 353 - 354.

إذا لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويخلص له ؟

لأن الفاروق – حسب اجتهاده – يرى أن هذه القسمة " النبوة للهاشميين والخلافة للبطون قسمة عادلة "وأن قريش عندما قسمت هذه القسمة قد اهتدت ووفقت تماما – كما وثقنا ذلك – ثم من باب سد الذرائع، فلو جمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فإن ذلك إجحافا ويؤدي لإجحاف بني هاشم على بطون قريش، والإجحاف ليس من الإسلام. أما علي بالذات فهو صغير السن بالنسبة لغيره، وهو غير مؤهل ليكون وليا على المسلمين من بعد النبي، ولكل ما أشرنا من أسباب، وللحرص على الإسلام تبنى الفاروق هذا الشعار وأخلص له بالرغم من إدراكه بأنه يتعارض مع ظاهر النصوص، لأن الفاروق لا يتعامل مع الظواهر إنما يتعامل مع البواطن ومآلات الأمور.

ما هو موقف الفاروق كحاكم وكنائب للحاكم من الولي ومن العترة الطاهرة ؟

الفاروق حريص على مستقبل الإسلام والمسلمين حتى عندما كان وزيرا فعندما أراد النبي (ص) أن يكتب وصيته، ورأى الفاروق أن هذه الوصية قد تشكل خطرا على مستقبل الإسلام والمسلمين تصدى للنبي الكريم نفسه وعارض كتابة الوصية واستقطب حوله مجموعة كبيرة من المعارضين، فتمادوا بمعارضتهم للنبي حتى قالوا للنبي (ص) ومواجهة: رسول الله هجر،

استفهموه إنه يهجر!!!

والفاروق هو نفسه الذي رتب أمر اختيار الخليفة وتابع الأحداث دقيقة بدقيقة حتى نصب الخليفة الجديد في غياب كل قريش وغياب العترة الطاهرة وغياب عميدها، وذلك حرصا على مصلحة المسلمين ووحدتهم. وحتى لا يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فيجحفوا على قومهم، والفاروق بطبيعته يكره الاجحاف والظلم.

والفاروق لا يتساهل في ما يمس أمن الدولة ووحدة الأمة، فأمن الدولة ووحدة الأمة فوق كل اعتبار، فإذا اعتقد أن الاخلال بأمن الدولة أو تعويض وحدة الأمة

للخطر يصدر عن بيت فاطمة بنت محمد نفسها، فلا مانع يمنع من حرق بيت فاطمة على من فيه، لأن القانون يسوي على الجميع بما فيهم فاطمة، وقد هم الفاروق حقيقة بحرق بيت فاطمة بعد أن جاء بالحطب، ولكن المعارضة خوجت وعدل عن حرق بيت فاطمة. وبالرغم من ذلك فإن الفاروق هو الذي اقترح على الصديق أن يذهب بعد الحادثة ويعتذر للزهراء.

والفاروق لا يتهاون بمن يتخلف عن البيعة كائنا من كان حتى ولو كان الولي من بعد النبي نفسه، فعندما رفض علي مبايعة أبا بكر هدده الفاروق بالقتل إن لم يبايع، ومع هذا يقول لمن استصغر شأن الولي: " هذا مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة ". وكان يرجع إليه يستشيره في كثير من الأمور، وكثيرا ما قال: اللهم إني أعوذ بك من معضلة ليس فيها أبو حسن، وقد وثقنا كل ذلك في هذه الدراسة وفي كتابنا " النظام السياسي في الإسلام ".

والفاروق نفسه هو واضح شرط عدم جواز توليه الهاشمي وتسليطه على رقاب الناس حتى لو كان هذا الهاشمي ذا قوة وذا أمانة، وذلك من باب سد الذرائع – حسب رأيه – حتى لا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا فيؤدي ذلك لإجحافهم على بطون قريش.

وبالرغم من ذلك كان يبدأ بآل محمد عند توزيع العطايا ويقدمهم على نفسه وعلى آل أبي بكر كما يروي البلاذري في فتوح البلدان.

وباختصار، فإن للفاروق أسلوبه ومنهجه الخاص بفهم الدين، ولا يجد حرجا ولا غضاضة بالجهر بهذا الأسلوب وهذا المنهج حتى بمواجهة النبي نفسه، وحادثة الرزية – كما يسميها ابن عباس – خير مثال على ذلك.

وقد يبلغ به الأمر حدا أن يواجه بأسلوبه ومنهجه النص القرآني نفسه وعلى سبيل المثال قوله تعالى * (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) *. فالنص القرآني يحدد الجهات المستفيدة من الصدقات وعلى سبيل الحصر ويعتبر هذا التحديد فريضة إلهية مثل أي فريضة.

ثم لاح للفاروق أن سهم المؤلفة قلوبهم لا ضرورة له، وهم لا يستحقونه، وإعطاء هذا السهم للمؤلفة قلوبهم بعثرة لمال الله، فالله نصر الإسلام وأعز دينه، ولا حاجة لتأليف القلوب بالمال، وبجرة قلم أسقط سهم المؤلفة قلوبهم، ومنع عنهم الحق الذي

رتبه الله لهم، ولم يمنعه عن ذلك علمه بأن الرسول نفسه قد أعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم بالرغم من مجئ نصر الله والفتح. وسهم الخمس مثال، ومتعة الحج شرعت على عهد النبي وظلت قائمة حتى نهى عنها الفاروق وفي زمن النبي وأبي بكر " الطلقات " يجب أن تكون متفرقة، فجاء عمر وقال: إن المسلمين يستعجلون الأمر وإن الأوفق أن يكون الطلاق ثلاث مرات، فجعل صيغة " أنت طالق ثلاثا " تحل محل الطلاق ثلاث مرات..... الخ.

الفاروق يندفع كالإعصار، فلا شئ يقف في طريقه ولا شئ يمنعه من أن يقول ما يعتقد أنه الحق بمواجهة أي كان، فقد كانت له الكلمة العليا في زمن الصديق، لأن الصديق مدين له باستخلافه، ولو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول بدلا من الصديق، وكانت له الكلمة العليا في زمنه لأنه هو الخليفة، وكانت له الكلمة المسموعة في كل بطون قريش، لأنها تعرف أنه وحده منع الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة والنبوة ولولاه لجمعوهما، وكانت له الكلمة العليا عند بني أمية بالذات، فهو الذي عين يزيد بن أبي سفيان ومعاوية وثبتهما على ولاية الشام، وهو الذي أوصى عمليا لعثمان الأموي، فقوت محبته قلوب قريش، وامتدت لبقية المجتمع المسلم، وسرت كالعافية، ومما ساعد على توطيدها أنه لم يتدنس بشهوة كما يقول الإمام العاملي.

على مفترق الطرق

الإنهيارات

اهتزت الأرض من تحت أقدام الذين آمنوا، ومادت بهم حتى والنبي على فراش الموت، وحدثت سلسلة هائلة من الإنهيارات المتلاحقة والانهيار يتبعه بالضرورة انهيار، والانهيار التام ولد لا محالة، أما متى ؟ فالله وحده هو الذي يعلم، وقد بدأت سلسلة الإنهيارات عندما حالوا بين الرسول وبين كتابة ما يريد،

وبموته وقبل دفنه، أيوم الذين حالوا بين رسول الله وبين كتابة ما يريد الأمر وقبضوا على زمام السلطة في غياب قريش كلها وغياب العترة الطاهرة، وغياب عميدها، وغياب الأكثرية الساحقة من المسلمين، وواجهوا الجميع بدولة حقيقية تلبس رداء الشرعية كاملا وبأمر قد أحكم تماما.

الحكم والمعارضة

برز القائمون على أمر كحكام حقيقيين بيدهم الحول والقوة، وقد استقام لهم الأمر وبايعهم الأتباع وسلموا لهم الأمارة والمرجعية، فهم حكم حقيقي وسلطة واقعية.

ووجد الولي من بعد النبي نفسه وحيدا مع القرآن، والقرآن معه يدور حيث دار [1]، وحيدا مع الحق والحق معه يدور حيث دار [2]، وقرار التعيين الإلهي بأنه الهادي [3]، وقرار الحق بالبيان عند الاختلاف بعد وفاة النبي [4]، وأنه كالنبي حجة على المسلمين يوم القيامة [5]، وأنه يتمتع بكافة المنازل التي كان يتمتع بها هارون مع

(1) راجع المناقب للخوارزمي ص 110 والمعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 55 والجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 56 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ج 2 ص 56... الخ.

(2)راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 14 ص 321 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص 119 ح 1162 وغاية المرام ص 539 ومنتخب الكنز ج 5 ص 30 من مسند الإمام أحمد الهامش..... الخ.

(3) على سبيل المثال ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 417 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 34 الهامش وتفسير الطوي ج 13 ص 108 وابن كثير ج 2 ص 502 والشوكاني ج 3 ص 70 والوافي ج 5 ص 271 والمستدرك ج 3 ص 129 – 130 ،والدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 45.... الخ.

(4) على سبيل المثال المناقب للخوارزمي ص 236، ومنتخب الكنز ج 5 ص 33 من مسند الإمام أحمد، وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر ج 2 ص 88 ح 1008 و 1009.

(5) على سبيل المثال ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 273 ح 793 – 795 ومسند الإمام أحمد ج 5 ص 94 ومناقب علي لابن المغازلي والميزان للذهبي ج 4 ص 128.

موسى باستثناء النبوة [1] . وجد الولي نفسه وحيدا مع كل هذا، ومجردا من كافة سلطاته،ولا أحد يصغي إليه، إنه مجرد مواطن عادي لا معين له إلا أهل بيته الطاهرين وبني هاشم الذين أنهكتهم مقارعة العرب. تلك هي التقاطيع الأساسية للمعارضة. ليست مرشحة لعمل الكثير، لكنها مرشحة ومؤيدة من الله تبين لنا الدين على حقيقته.

خياران أمام المعارضة

ليس أمام المعارضة بديل غير المواجهة أو المواجهة،والمواجهة بمثل الأوضاع التي كانت تحياها الأمة انتحار حقيقي، فبها قد يتعرض الدين نفسه للخطر وقد يتعرض الولي للموت وتتعرض الذرية المباركة للردى، فقدم الولي الأهم على المهم وشق طريق المواجهة بنفسه. لا يبخل بنصح ولا بيان للدين.

خياران أمام الأمة

والله لكأن الأمة كانت في حلم استفاقت مذعورة بعد موت النبي (ص) لتجد أمامها:

1 – سلطة قائمة وحكما حقيقيا يقوده ويرشده شيوخ كانوا من أبرز وزراء النبي ويعلنون أنهم على حق.

2 – معارضة محدودة ومحجمة يقودها ويرشدها الولي من بعد النبي ولا يقف معه إلا عترة النبي وأهل بيته وبنو هاشم التي واقفت العرب 23 عاما كاملة ويعلنون أن الحق معهم.

انقسام الناس

ففريق: آثر السلامة، وأدرك عدم جدوى المعارضة، فوادع السلطة (أهل السنة)، ووالاها لأنها ولية النعمة، وبيدها الحول والقوة ورمز وحدة الأمة، وعندما انتصر معاوية على علي وهزمت الشرعية أمام القوة سمي هذا العام بعام

(1) وثقنا ذلك أكثر من مرة فحتى معاوية روى حديث " أنت مني بمنزلة هارون من موسى ".

الجماعة، وسمي الذين والوا معاوية ومن غلب بأهل السنة. وهذا الفريق شيع وأحزاب يتفاوتون ولائهم للسلطة وتبريرهم لأفعالها، ويتفاوتون بدرجة تعاطفهم مع المعارضة وتفهمهم لموقفها وغالبتهم استقرت على أن الجميع صحابة ومن أهل الجنة وكلهم مجتهدون، والمجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطؤا، وارتاحت هذه الجموع لهذا الحل، وارتبط مصيرهم بمصير الحكام فدفعوا اللوم عن الحكام لا حبا بالحكام ولكن حتى يسلموا بأنفسهم من اللوم، لأنه إذا ثبت اللوم على الحكام فيثبت على من والأهم بالضرورة. وفي ما يتعلق برئاسة الدولة استقر هذا الفريق على رأي:

أنهم مع غلب، فهم يوالون الغالب، كائنا من كان، وحجتهم في ذلك مقولة الصحابي عبد الله بن عمر الذي قال يوم الحرة: " نحن مع من غلب " فصارت مقولته تلك قاعدة شرعية.

الفريق الثاني الشيعة هم الذين والوا الولي من بعد النبي، وآمنوا أن الحق معه يدور حيث دار، وأن الولي مع القرآن والقرآن معه، فوالوه ووالوا عترة النبي وأهل بيته، وصدقوا قول النبي إن القرآن هو الثقل الأكبر وإن عترة النبي وأهل بيته هم الثقل الأصغر، والهدى لا يدرك إلا بالثقلين معا: القرآن والعترة الطاهرة، فعميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم الشرعي وهو وليهم، يوالون من يوالي ويعادون من يعادي، وقد بلغ هؤلاء العمداء اثني عشر عميدا، وقد التزمت الشيعة بالشرعية الكاملة لا تحيد عنها ولا تخرج من دائرتها أبدا مهما كانت التكاليف، ومهما غلت التضحيات. والهدف الأعظم للشيعة هو توحيد الأمة الإسلامية تحت راية إمام أهل بيت النبوة الذي سيتولى بيان أحكام العقيدة الإلهية وتطبيقها وحمل رسالة الإسلام النقية إلى العالم لانتشاله من الظلمات إلى النور. والطريق التي اختارتها الشيعة طوال التاريخ هي طريق الآلام والمصائب وهي الضريبة التي يتوجب أن تدفعها الشيعة حتى تنال رضوان الله من خلال المرتبة السنية التي خلعها النبي عليهم. عندما نزل قوله تعالى:

* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) * قال النبي

(صلى الله عليه وآله): " يا علي هم أنت وشيعتك " [1]، ولأن الشيعة حزب معارضة، فهي تشكك بشرعية السلطة القائمة في كل زمان إن لم يكن إمامها ورئيسها من أهل بيت النبوة. فلذلك حدثت حالة من سوء الظن بين الشيعة والسلطة، وتعمقت هذه الحالة حتى تحولت إلى خصومة، فعداوة تمخضت عن الحقد المتبادل بين السلطة – أي سلطة – والشيعة طوال التاريخ.

فحاولت الشيعة كأفراد وجماعة أن تثبت أن السلطة قوة غاشمة وغالبة اغتصبت الأمر من أهله وفرضت نفسها على الأمة بحكم القوة والغلبة، وأنها حرمت المسلمين والإنسانية من الاستفادة من الحكم الإلهي بسبب حبها للجاه والسيطرة وإيثارها للعاجلة

على الآجلة. ووسائل الشيعة بإثبات وجهة نظرها هذه فودية وسوية، لأن السلطة صادرت حرية الشيعة طوال التاريخ ولاحقتهم وطاردتهم وضيقت عليهم الخناق.

وبالمقابل فإن السلطة القابضة بأيديها على زمام كل شئ في المجتمع، صادرت حرية الشيعة بطرح وجهة نظرها، واتهمت الشيعة بأنها خارجة على الجماعة، وشاقة لعصا الطاعة، وأحيانا اتهمتها بالمروق والرفض والزندقة والكفر.... الخ. وكانت وجهة نظر السلطة بالشيعة متاحة للجميع وتنقلها كافة وسائل إعلام السلطة بحرية ويروج لها العلماء المتعاونون مع السلطة فصورت السلطة الشيعة بأبشع الصور، وعمقت الهوة بين الشيعة والأمة، وماتت أجيال وجاءت أجيال فتصورت الأجيال اللاحقة أن التهم التي ألصقتها السلطة بالشيعة صحيحة، فأخذت تردد نفس التهم وتعزف على ذات الوتر بحكم التقليد والشيعة محتسبة صابرة ومثابرة وواثقة أن اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق ليس ببعيد.

---

(1) سورة البينة آية 7 ، وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص 96 وراجع الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 379، وراجع تفسير الطبري ج 3 ص 146 وفتح القدير للشوكاني ج 5 ص 477 ، وروح المعاني للآلوسي ج 30 ص 207، وغاية المراجع باب 28 من العقد الثاني ص 328 وفرائد السمطين ج 1 ص 156، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص 62 و 187 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 107..... الخ وراجع ملحق المراجعات ص 62.